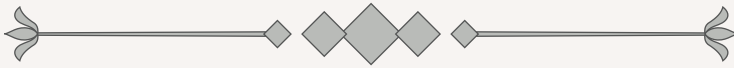
سِلْسِـــلَةُ تُرَاثِ فَضِيــلَةِ الشَّيْخِ ١

شَرْحُ حِلْيَةِ طَالِبِ العِلْمِ

الشَّيْخِ بَكْرٍ أَبُو زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّه

شَرْحُ رِسَالَةِ آدَابِ المُعَلِّمِينَ وَالمُتَعَلِّمِينَ

الشَّيْخِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّه



لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ العلامة

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ الْقُصَيِّرِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النسخة الأولى

(١)

شرح

حلية طالب العلم

تصنيف العلامة

بكر بن عبد الله أبو زيد

المتوفى سنة (١٤٢٩) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن صالح بن محمد القصير

حفظه الله

النسخة الثانية

المجلس الأول في شرح الحلية

القارئ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمؤمنين.

الشيخ: وللحاضرين.

الشيخ: قال المصنف **بكر أبوزيدٍ** -رحمه الله تعالى- في كتابه «**حلية طالب العلم**»:

المقدمة

الحمد لله، وبعد:

فأقيد معالم هذه الحلية المباركة عام ١٤٠٨ هـ، والمسلمون – ولله الحمد – يُعَايِشُون يقظة علمية تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تُنَشِّط – متقدمةً إلى الترقي والنضوج – في أفئدة شباب الأمة مجدها ودَمَها المُجَدِّد لحياتها، إذ نرى الكتائب الشبابية تترى، يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله يَعُلُّون منه وينهلون، فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش، والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصرًا، فسبحان من يُحيي ويُميت قلوبًا.

لكن لا بد لهذه النواة المباركة من السَّقي والتعهد في مساراتها كافة، نشرًا للضمانات التي تكف عنها العثار والتعثر في مثاني الطلب والعمل من تَمَوُّجاتٍ فكريةٍ، وعقديةٍ، وسلوكيةٍ، وطائفيةٍ، وحزبيةٍ.

وقد جعلت طوع أيديهم «رسالة في التَّعالم» تكشف المندسين بينهم خشية أن يُردوهم، ويضيعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب، فيستلُّوهم وهم لا يشعرون.

واليوم أخوك يشُدُّ عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالة تحمل «الصفة الكاشفة» لحليتك، فها أنا ذا أجعل سِنَّ القلم على القرطاس، فاتْلُ ما أرقم لك أنعم الله بك عينا.

لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهَدْى الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام، وأن العلم -وهو أثمن دُرةٍ في تاج الشرع المطهر- لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته، ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إمَّا على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص: كآداب حَمَلَةِ القرآن الكريم، وآداب المُحَدِّث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا، والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي.

وقد كان العلماء السابقون يُلقنون الطلاب في حِلق العلم آداب الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه يُدَرِّس طُلابه كتاب الزرنوجي -رحمه الله تعالى- المسمى: «تعليم المتعلم طريق التعلم».

فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، فيُدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدِّراسة النظامية، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خيرٍ في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تُهَذِّب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحَمْل العلم، وأَدَبِهِ مع نفسه، ومع مدرسه، ودَرْسِه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته.

فإليك حليةً تحوي مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فَاتَ أدبٌ منها اقترف المُفَرِّط آفةً من آفاته، فمُقلٌّ ومستكثر، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدةٌ إلى السُّنَّة فالوجوب، فنواقضها دركاتٌ هابطةٌ إلى الكراهة فالتحريم.

ومنها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلَّف، ومنها ما يختص به طالب العلم، ومنها ما يُدرك بضرورة الشرع، ومنها ما يعرف بالطبع، ويدل عليه عموم الشرع، من الحمل على محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ولم أَعْنُ الاستيفاء، لكن سياقتها تجرى على سبيل ضرب المثال، قاصدًا الدلالة على المهمَّات، فإذا وَافَقَتْ نفسًا صالحة لها تناولت هذا القليل فكثرته، وهذا المجمل ففصَّلته، ومن أَخَذَ بها، انتفع ونفع، وهي بدورها مأخوذةٌ من أَدَبِ من بارك الله في علمهم، وصاروا أئمةً يهتدى بهم، جمعنا الله بهم في جنته، آمين.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وبارك وسلم على عبده ورسوله نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل الضلال.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا واسعًا، وعملًا متقبلًا.

اللهم اسلُكنا في سلك ونِظام ورثة نبيك محمد ﷺ الذين يرثون علمه، ويعملون به ابتغاء وجهك، وعلى طريقة نبيك ﷺ ويبلغونه أجيال الأمة إلى آخر الدهر.

اللهم اهدنا وسددنا، ووفقنا وثبتا، وزدنا علمًا.

اللهم اجعلنا أئمةً هُدى، واجعلنا معالم حقٍّ، واجعلنا من هُداة الخلق وأنصار الحق.

ثم إن الله – عز وجل – قد بعث نبيه محمدًا ﷺ بأمرين:

بالهدى، ودين الحق.

كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:٢٨].

فالهُدى هو العلم النافع.

والدين الحق هو العمل الصالح بذلك العلم الذي جَمَعَ إصابة الشرع والإخلاص لله – عز وجل –، هذا هو العلم النافع.

من آتاه الله العلم النافع، فقد امتن عليه وهداه وزكاه.

كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

وامتن الله وتعالى على نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فالعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ؛ لأنه به صلاح العباد، وصلاح البلاد، وصلاح المعاش، وصلاح المعاد؛ هذا هو العلم النافع.

فأصل العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ.

جعل الله عز وجل مهمة نبيه ﷺ مع التبليغ أن يُبين ما أُنزل إليه من ربه، فكَلَّفه الله – عز وجلّ – بأمرين:

أن يبلغ ما أُنْزَل عليه.

وأن يُبينه للناس، بأقواله ﷺ وبأفعاله وبأحواله وبتقريره لِمَا فُعِل بحضرته موافقًا لِمَا جاء به، وبإنكاره على ما فُعل بحضرته مخالفًا لما جاء به، وبيان وجه الصواب فيه.

ولذلك جعل الله نبيه ﷺ هو الأسوة الحسنة والإمام المُكَمَّل، وأَمَر الله المؤمنين أن يتبعوه ﷺ على طريقه وهديه، كما قال سبحانه مُمْتَحِنًا لأهل الإيمان ومخاطبًا رسوله ﷺ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]، يخالفون ما جاء به النبي ﷺ.

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة:٩٢].

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين**».

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى**»، قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من شَرَدَ على الله تعالى شِراد البعير**».

فالله تعالى كَلَّف نبيه ﷺ بأن يُبين للناس ما أُنزل إليه من ربه، كُلَّ ما بلغه ﷺ فقد بَيَّنه، وجعله ﷺ أسوةَ الأمة، والإمام الكامل الذي يُقتدى به، وجعل أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعده أُسوة الأمة بعد الرسول ﷺ يقومون بمُهمته، ويُبلغون رسالته، وينصحون لأمته، ويجاهدون في سبيله، حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كله لله، وهكذا التابعون، وتابعوهم، ومَنْ جاء

بعدهم، وأئمة الهدى من بعدهم، يحمل هذا العلم من كل خَلفٍ عدوله، والله عز وجل لا يجعل ميراث نبيه ﷺ إلا في خِيار خلقه وأحبهم إليه، جعلنا الله وإياكم منهم.

فكما أن الله عز وجل أعلم بمَنْ هو أهلٌ لرسالته؛ يجتبي من يشاء من رُسله: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه تعالى أعلم حيث يجعل ميراث نبيه ﷺ.

قال سبحانه ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر:٣٢]، جعلنا الله وإياكم من المُصْطَفَين، فلا يُورِث اللهُ تعالى العلم الذي أنزله على نبيه ﷺ إلا مَنِ اصطفاه، ولذا قال ﷺ: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة**».

وقال ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ**»، ولهذا الله ﷻ ختم الآية بإدخالهم الجنة قال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ جلعنا الله وإياكم من السابقين ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [الحج:٢٤]، فبَيَّن سبحانه وتعالى أن هؤلاء الذين اصطفاهم الله هدوا إلى القول الطيب، وإلى العمل الصالح، وإلى طريق الجنة والرضوان.

فهذا يدل على شرف العلم بشرع الله ودينه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الفتح:٢٨]، ما الغاية؟

أن يظهره الله تعالى على الدين كله، أن يظهر دين الحق على سائر الأديان، وأن يظهر حَمَلَة دين الحق على سائر الناس.

قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

ويكفيكم في بيان شرف مَنْ يحمل هذا العلم أن الله – جل وعلا– جعلهم من الشهداء على وحدانيته، إذ يقول سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

وقال سبحانه في خبر يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ [الروم:٥٦].

وقال –جل وعلا–: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦].

فهذا يدل على محبة الله ﷻ لوَرَثة علم نبيه ﷺ، وعلى وَعْدِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتثبيتهم ومزيد هدايتهم، ورِفعة مقامهم في الدنيا والآخرة، وأنه تعالى يُسددهم ويُعينهم، ويَكلؤُهم ويحفظهم، ويجعلهم هُداةً للخلق، أنصارًا للحق، وهُداةً للخلق، فأجورهم على أعمالهم وعلى مِثْل من عمل بالعلم الذي بلغوه وبينوه إلى أن يأتي الله بأمره.

من دعا إلى هدى، كان له مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا،

من دَلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله

فهذا يدل على شَرَفِ العلم الشرعي، وعلو مرتبة أهله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، هذا الشرف العظيم، علو المقام عند الله –جل وعلا–، وعلو المقام عند عباده، وعلو المقام في الدنيا والآخرة؛ لأنهم يَحفظون العلم حتى يُبلغ إلى الأجيال، وتعمل به الخلائق لله –جل وعلا–، ولأنهم يصلون سند العلم، يصلون سلسلة سند العلم من أول الأمة إلى آخر الأمة، ولأنهم

يقومون أشرف مقامٍ في الدنيا، وهو مقام النبي ﷺ في تبليغ رسالته، وبيان ما أُنزل إليه من ربه، وهداية الخلق إلى ربهم، وهم أرحم الناس بالناس؛ لأنهم يُشفقون عليهم فيُعلمونهم ما يُسعدهم في الدنيا والآخرة، ويُنذرونهم مما يشقيهم في العاجلة والآجلة، فهم خير الناس للناس.

فالعلم رحمةٌ من الله تعالى لعباده، من آتاه اللهُ عز وجل إياه فقد رحمه، ومن رَحِمَ بالعلم عباد الله رحمه اللهُ ﷻ في الدنيا والآخرة، ولذلك لو أَنَّ الإنسان المؤهل لتلقي العلم تفرغ لتلقي العلم وحِفظه وفَهْمِه والعمل به، وأَخَذَ صدقات المسلمين مقابل ذلك التفرغ، ليس ذلك بكثير، وهي حلالٌ له؛ لماذا؟

لِعظم المهمة التي يقوم بها، ولا سيما في زمنٍ قُبض فيه كثيرٌ من العلماء، وقُبض فيه كثيرٌ من العلم، فالتفرغ لهذا العلم متعينٌ، والحِسبة في ذلك مما يرفع الله بها مقام صاحبها دُنيًا وآخرة، فلذلك ينبغي أن يتنافس أهل الإسلام في تلقي العلم وفَهْمِه والعمل به وتعليمه، وأن يكونوا أُسوةً للناس في تطبيقه وتحقيقه؛ لأن الناس يتأثرون بالفِعال أبلغ وأكثر مما يتأثرون بالمقال. هذا أمرٌ ينبغي العناية به، والاحتساب فيه والتجرد له، وأن الإنسان يتوكل على الله ﷻ ويعزم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]؛ ويَجِدُّ في الطريق وحسبه أنه في طريق الجنة، من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، فمتى ما جاءك الأجل، وإذا أنت في طريق الجنة، ومن سلك طريق الجنة، أوصله الله تعالى إياها.

وتعرفون قصة الرجل الذي قتل مائة نفس، وحضر أجله، وهو في طريق الهجرة إلى القرية الصالحة، واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ووَسَّط الله عز وجل بينهما ملكًا آخر، فحكم بينهم، وقال: قيسوا ما بين القريتين، فإلى أيتهما كان أقرب فهو من أهلها، فجعله الله تعالى أقرب إلى القرية التي كان مهاجرًا إليها فكان من أهل الجنة.

هذا أمرٌ ينبغي التفطن له.

ومن علامات الصدق في محبة العلم وتلقي العلم: أن يتأهل الإنسان له، وذلك بالنية الصالحة؛ الحسبة، أن يحتسب الإنسان على ربه تَعَبَه، وجُهده، وسهره، وتردده، وذُلَّه في طلبه، وتكلفه في الحفظ، وتفكيره في المسائل، وفي الدلائل حتى يستنبط منها أحكام المسائل، كل هذا مما يُؤجر الإنسان عليه، فيجتهد في هذا ويُؤهل نفسه لهذا، ويعلم أن العلم لا يحصل إلا بالتعب والجد والاجتهاد والضراعة الصادقة إلى الله -جل وعلا- أن يَرْزُقك العلم ويجعلك محلًا لفَضله، ويجعلك أُسوةً لعباده، ويجعلك علمًا من أعلام الهدى، وإمامًا من أئمة التقى – جعلنا وإياكم كذلك –، فيتأهل الإنسان لطلب العلم.

من ذلك: صلاح النية.

ومن ذلك: العمل بما علم من السنة.

ومن ذلك: الجد والاجتهاد، والمجاهدة للنفس.

ومن ذلك: التفرغ للعلم، فإن العلم إن أعطيته كُلَّك أعطاك بعضه، وإذا أعطيته بعضك لم يُعطك شيئًا.

ومن ذلك: أن الإنسان يتضرع لله عز وجل أن يعينه ويسدده، ويجمع عليه قلبه وحواسه، حتى يتلقى العلم.

ومن ذلك: أنه كلما عَلِم جديدًا من علمه عمل به، تأسيًا بالنبي ﷺ، وتقربًا إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك عُنِي العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بذكر آداب التعلم، وآداب الطلب، وآداب الطلاب.

هذا الذي يسمى أدب العلم، أدب الاستماع، حلية طالب العلم الأدب؛ لأن الأدب وعاء العلم، فمن حُرم الأدب حُرم العلم، ومن أساء الأدب فاته من العلم بحَسَب ذلك، ومن

اجتهد في حُسن الأدب رزقه الله ﷻ العلم، وكَمَّل له ما عجز عنه بحُسن قصده ونيته، فيُكمل الله له المثوبة على قدر نيته.

فلا بد من تَعَلُّم أدب الطلب، وهذا هو الخُلق الإسلامي، الذي هدى الله -جل وعلا- إليه في كتابه، والذي جعل نبيه ﷺ الأسوة فيه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] ، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان يعمل بما أمر به في القرآن، وينتهي عما نهي عنه، فكان ﷺ يُطبق القرآن العظيم.

فأنت تُطبق القرآن العظيم على منهاج النبي ﷺ، على السُّنَّة، فكلما تعلمت كلما ازدادت خشيتك، وعَظُمت تقواك، وكَثُر وقارك، وحَصَلَ لك الرفق، والطمأنينة، فتَجِلَّ في عيون الناس.

كما قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران، جل في أعيننا.

فلذلك عُنِي العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بتقييد آداب طالب العلم، آداب تلقي العلم، حتى يوفق الإنسان للعلم، ويُعطى العلم.

وأساس ذلك -كما سبق- القرآن العظيم؛ لأن الله عز وجل بين هذا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] ، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

وكذلك سنة النبي ﷺ، ومن ذلك ما جاء في قصة مجيء جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى النبي ﷺ وسؤاله عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان وما تلى ذلك، فإنه جاء يُعلم الناس الأدب، أدب العلم، وأدب التلقي، وأدب المجالس والمجالسة، وهكذا في أحاديث كثيرةٍ مبثوثةٍ في دواوين السنة، هي التي دَرَسَها أهل العلم واستخلصوا منها آداب التعلم والتعليم، آداب الشيوخ والطلاب، حُلَى أهل العلم، آداب الاستماع، إلى غير ذلك مما يسموه، فهم يَدُورون

على هذا الأمر؛ يُبينونه ليهيئوا أهله لحسن تلقيه والانتفاع به، ولا يكون الإنسان مباركًا أينما كان، إلا إذا كان على علمٍ بشَرْع الله عز وجل، وهدي نبيه ﷺ، وعلى عَمَلٍ بذلك، وتبيينٍ لذلك بمناسبته، فلا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ويجوز تأخير البيان لوقت حاجةٍ، وكل تعليم النبي ﷺ يكاد يكون بالمناسبة: إما إجابةً على سؤالٍ، أو لحادثٍ وقَع، أو لغير ذلك من الأمور، كل تعليم النبي ﷺ للأمة بالمناسبة، وهذا الذي ينبغي أن يتحراه طالب العلم. نعم.



الفصل الأول: آداب الطالب في نفسه

الأدب الأول: العِلم عبادةٌ

أصل الأصول في هذه الحلية، بل ولكل أَمرٍ مطلوبٍ علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: العلم صلاة السر، وعبادة القلب.

وعليه، فإن شرط العبادة:

أولها: إخلاص النية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لقوله –جل وعلا– ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ﴾ الآية [البينة:٥].

وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الأعمال بالنِّيَّات...» الحديث.

فإن فَقَدَ العلمُ إخلاصَ النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يُحَطِّم العلم مثل الرياء: رياء شِرْكٍ، أو رياء إخلاصٍ، ومثل: التسميع، بأن يقُول مُسَمِّعًا: عَلمتُ وحفظتُ.

وعليه فالتزم التخلص من كل ما يَشُوب نيتك في صدق الطلب: كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجَعْلِه سُلَّمًا لأغراضٍ وأعراضٍ، من جاهٍ، أو مالٍ، أو تعظيمٍ، أو سمعةٍ، أو طلب محمدةٍ، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحِمَى.

وللعلماء في هذا أقوال ومواقف بَيَّنْتُ طرفًا منها في المبحث الأول من كتاب «التعالم»، ويُزاد عليه نهى العلماء عن الطبوليات، وهي المسائل التي يُراد بها الشهرة.

وقد قيل: زلة العالم مضروبٌ لها الطَّبل.

وعن سفيان رحمه الله تعالى أنه قال: كنت أُوتيت فَهْم القرآن، فلما قَبِلْت الصّرَّة، سُلبته.

فاستمسك - رحمك الله تعالى - بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب، بأن تكون - مع بذل الجهد في الإخلاص- شديد الخوف من نواقضه، عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه.

ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري - رحمه الله تعالى - قوله: ما عالجت شيئًا أشد على من نيتي.

وعن عمر بن ذَرٍّ أنه قال لوالده: يا أبي، مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بنى، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

وفقك الله لرشدك، آمين.

الشرح:

يعني أن طالب العلم أول شيءٍ يُعِدُّ لطلب العلم: الإخلاص.

أن يبتغي بطلبه العلم وجه الله -جل وعلا-.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤].

قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٧٢] .

فيبتغي بالعلم وجه الله -جل وعلا-، أن يتعلم العلم ليعمل به لله عز وجل، ليُصحح عبادته، ويؤدي وظيفته، التي خَلَقَهُ الله تعالى ورزقه من أجل أن يقوم بها، والتي جعلها الله معيار الابتلاء، وآية الاصطفاء، وعنوان السعداء.

فلا تكون العبادة عبادةً إلا إذا كانت على الوجه الشرعي.

كيف تكون العبادة على الوجه الشرعي؟

ما يكون هذا إلا بالتَّعلُّم والعلم، وتحقيق العلم بالعمل.

فكيف تعبد ربك إلا بالعلم الذي علمك الله إياه، الذي بعث الله به نبيه ﷺ؟

لأن العمل يُشترط لصحته وترتب الثواب عليه ثلاثة شروط:

الأول: الإخلاص لله ﷻ، من حيث القصد والنية.

والثاني: اتباع الشرع من حيث أصل مشروعيته؛ أن يكون على وِفق ما ورد في الكتاب والسنة.

الثالث: الاقتداء بالنبي ﷺ من حيث الأداء والكيفية.

فهذا الذي تصح به العبادة؛ لأنه إذا فُقِد الإخلاص صارت العبادة شركًا، وإذا فُقِد أصل المشروعية صارت بدعةً في الأصل، وإذا فُقِدت السنة صارت بدعةً الكيفية، والله تعالى لا يقبل الابتداع، ولا يقبل الشرك.

فلا بد لك من هذا.

فلذلك أنت تعبد ربك تطلب العلم لتعبد ربك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به، حتى تعبد الله على الوجه الذي يرضاه، الذي شرعه.

قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

قال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

فهذا هو **الأمر الأول** الذي تبتغيه.

الثاني: أنك تُعَلِّم أخص أهلك بك؛ ووالديك وزوجك وولدك وأخاك وذا رحمك وجارك وصديقك وشريكك، فكل من لك به صلة تُعلمُّه مما عَلَّمك الله، فتكون مباركًا أينما كنت.

والغاية الثالثة: أن تنشر دين الله، وتهدي عباد الله تعالى إليه، رجاءً لربك، وشفقةً على الخلق:

رجاء لربك: أن يُثيبك سبحانه وتعالى ثوابًا جزيلًا كريمًا يليق بكرمه وجوده.

وشفقة على الخلق: أن تأخذ بحُجَزهم عن النار، وتهديهم إلى الجنة التي أعدها الله تعالى للأخيار.

فهذا هو الغرض من طلب العلم، وليس الغرض التباهي، ولا حظوظ الدنيا، ولا التَّصُّدر في المجالس.

لأ؛ هذا حظ المفلسين، ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣ - ١٠٤].

فأول شيءٍ: الإخلاص.

ثاني شيء: أن تتحلى بأدب تلقيه، كيف أدب التلقي؟

لسمع إلى قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٢٦ - ١٩] .

فكان النبي ﷺ حريصًا على حفظ الوحي وتلقيه، وكان مما يفعل أن يقرأ على جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يقرأ عليه، فنهاه الله ﷻ عن ذلك، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، لا تقرأ مع الملك حتى يفرغ، استوعب ما يقول لك الملك، ولا تخف النسيان، تعهد الله له بالحفظ، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ علينا عهد أن نجمعه لك في قلبك، وأن نقرأه عليك، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، فإذن اطمئن وأحسن في التلقي؛ فإذا قراناه بواسطة الملك جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاستمع وأصغي، فإذا انتهى فاقرأ عليه، صَحِّح، فإذا قرأناه فاتبع قرانه، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، وقد وَفَى الله ﷻ بعهده؛ قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ، فحَفِظ الله القرآن وجمعه في صدر النبي ﷺ، وجمعه في صُدور أصحابه، ثم كُتب في الأرض كما كُتب في السماء، ولم يُترك حرفٌ واحدٌ من القرآن، كُتب في الأرض كما كُتب في السماء، مطابقٌ لِما كُتب في السماء، ثم إن الله عز وجل بينه وفسره، بما أوحى إلى نبيه ﷺ من بيانه، والنبي ﷺ بينه بأقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته وبيانه ما وقع من خطأٍ من الناس مخالفةً لما جاء به، وهكذا تلقاه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ، وتلقاه التابعون، وهكذا تُلِقِّي العلم بسنده.

إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وفي «سنن الدامي» بسندٍ صحيحٍ: «**لا يزال الناس بخيرٍ ما بَقِي الأكابر، حتى يتعلم الأصاغر**».

وهذه من نعمة الله –جل وعلا– أن أبقى سند العلم موصولًا منذ عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، وسيستمر –وإن قَلَّ– سيستمر، إلى أن يأتي الله بأمره، في الصحيح عن النبي ﷺ قال: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي الله بأمره.

فأنت تَتَعَرَّف على هذه الطائفة المنصورة، وتلقَ عنها، واحذر مخالفتها، فهذه نعمةٌ: أن العلم نُقِل إلينا بسنده نظريًا وحفظًا وتلقينًا، ونُقِل إلينا بسنده عملًا وتطبيقًا، لذلك أن النبي

ﷺ وصف هذه الطائفة بقوله: «هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، «هم الذين يَصلُحون عند فساد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس».

فتلقَ العلم بنفس الطريقة هذه، بأن تستمع وتُحسن الاستماع، واضح.

أن تحسن الاستماع أول شيء.

فإذا أحسنت الاستماع، فاكتب أحسن ما تسمع، واضح، أكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وبَلِّغ أحسن ما تحفظ.

خذ السلسلة هذه، كيف؟

اكتب أحسن ما تسمع، تَخَيَّر أطايب الكلام.

واحفظ أحسن ما تكتب: يعني ما كُلَّ ما تكتب تحفظ؛ كثيرٌ، فاكتب أحسن ما تسمع.

واحفظ أحسن ما تكتب.

وحدث بأحسن ما تحفظ، يعني تُراعي مقتضى الحال، فالبلاغة: مراعاة مقتضى الحال، فتُحَدِّث الناس على قدر الحاجة، وعلى قدر عقولهم، وتحدثهم ما أقبلوا عليك، ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى:٩]، ما نفعت ما وَجَدَّتَ إقبالا.

أو: ذَكِّر قد نفعت الذكرى، تحقق نفعها. **نعم**.

ثانيها: الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة:

محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وتحقيقها بتَمَّحض المتابعة وقفو الأثر للمعصوم.

قال الله -جل وعلا-: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١].

وبالجملة فهذا أصل هذه «الحلية»، ويقعان منها موقع التاج من الحُلَّة.

يعني التزم بالسُّنَّة، بسنة النبي ﷺ وهديه في التعلم وفي العمل وفي التعليم، في التلقي، وفي التطبيق والتحقيق، وفي التعليم والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

كل واحد منكم لو قِيل له: **ما تتمنى من جهة العلم؟**

لقال: أتمنى أن أكون من صحب الرسول ﷺ، وتلقى عنه مباشرةً من غير واسطة. واضح، هكذا.

نقول لك: الحكمة في ما اختار الله عز وجل، فكَمْ ممن عاصر النبي ﷺ وصار من الأشقياء الكافرين، ومن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ومن الناس الذين فاتهم شَرَفُ الصحبة وهم في الزمان، أسلموا ولكن ما رأوا النبي ﷺ، فلا تدري؛ ربما لو كُنْتَ في عصر النبي ﷺ لكنت أحد هؤلاء، وأحسنهم من هداه الله للإسلام، وإن لم ير النبي ﷺ.

فأنت الآن عندك سنة النبي ﷺ مدونةً في دواوينها المعتبرة، التي تعب جهابذة أهل العلم في ضبطها كتابتها وتنقيتها وتدوينها والتعليق عليها وبيان المراد منها.

فأنت الآن إذا كُنت تحبُ النبي ﷺ، فأحبب سننه وحديثه، وكن من أهل الحديث، فإنهم هم سادة الطائفة المنصورة، ولذا قال عددٌ من الأئمة الكبار: **كأحمد والشافعي وابن مبارك وغيرهم** قالوا: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا ندري.

فاصحب حديث رسول الله ﷺ إن كنت صادقًا في محبته.

ويكفيك أنك تصلي على النبي ﷺ بعدد ما تقرأ من الأحاديث أو تَسْمع، وكل صلاةٍ تصليها على النبي ﷺ يُصلي الله عليك بها عشرًا، ويُكتب لك بها عشر حسناتٍ، ويمحى عنك عشر خطيئاتٍ، ويرفع لك عشر درجاتٍ، وتعدل عشر صدقات.

الزم الحديث والزم السنة، إذا كنت تحب النبي ﷺ، فصاحب أنفاسه ما دام قد فاتتك صحبة نَفْسِه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، صاحب أنفاسه، صاحب أهل السنة، صاحب الحديث، حتى أنك تُوفق لمعرفة السنة وللعمل بالسنة ولفهم السنة وللدعوة إلى السنة.

ويقول ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، فأداها كما سمعها، فربما مبلغٍ أوعى من سامع**».

يقول ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**».

فهذا عندك الآن، موجود المجال، مفتوح، ومهيئ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فتحرى السنة. **نعم**.

فيا أيها الطُلَّاب، ها أنتم هؤلاء تربعتم للدرس، وتعلقتم بأَنْفَس عِلْق طلب العلم، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله – تعالى - في السر والعلانية.

ما في الدنيا أجمل ولا أحسن ولا أحَظّ ولا أسعد ممن ديدنه ليل نهار تلاوة كلام الله عز وجل وتدبره، وقراءة سنة النبي ﷺ وتفهمها، والعمل بها، والدعوة إليها، وأن يكون أسوةً في ذلك، حتى يُحَبِّب الناس إلى الكتاب والسنة، ويُحبب الكتاب والسنة إلى الناس، هذا أسعد الخلق وأحظ الناس، جعلنا الله وإياكم كذلك. **نعم**.

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -تعالى- في السر والعلانية، فهي العُدَّة، وهي مهبط الفضائل، ومُتَنَزَّل المحامد، وهي مَبْعَث القوة، ومعراج السمو.

وهي مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تُفَرِّطوا.

التقوى: هي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، على طريقة رسوله ﷺ، هذه التقوى؛ أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله، على وفق الكتاب المحكم وهدي النبي ﷺ، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله.

وهي لها غاية: ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يَفْقِدك حيث أمرك.

وهي في كل مقامٍ بحسبه: فإذا كُنْتَ في الصلاة، فالتقوى أن تخشع في صلاتك وتُقبل على ربك، وإذا كُنت في مجلس العلم، فالتقوى أن تحرص على التلقي بسلامة النية وصحة النية وتحري السنة، والتقوى عند الوالدين البر، والتقوى مع الزوجة حسن العشرة، والتقوى مع الشريك في التجارة الصدق والبيان، والتقوى مع الجار حسن الجوار، والتقوى مع الصاحب في السفر حسن الصحبة، والتقوى إذا عُرض عليك الخير أن تقبله أو تقول خيرًا، وإذا عُرض عليك الشر أن تنصرف عنه وأن تتشاغل عنه وتنهى عنه. وهكذا.

في كل مقام لله عليك تقوى، فتفَكَّر ما هي وأد ما استطعت منها.

لو عُرض عليك المال الحرام، ما التقوى؟ أن تتركه وتُعرض عنه وتزجر من يعرضه عليك.

إذا مَرَّت أمامك المرأة، التقوى أن تغض البصر وتعرض.

وهكذا، إذا عُرضت عليك المعصية تقول إني أخاف الله، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأنعام:١٥].

إذا دُعيت للخير أن تستجيب بقدر ما تستطيع، وهكذا.

فالتقوى في كل مقامٍ بحسبه، دائمًا في كل مقام استحضر؛ فمثل ما إن التقوى في عامة الأحوال أن تذكر الله في مقاماتك، فإذا كنت على حاجتك في الحمام، فالتقوى ألا تذكر الله إلا بقلبك لا بلسانك.

وهكذا، فعند دخول الحمام تقوى، وفي الحمام تقوى، وعند الخروج من الحمام تقوى.

ما هي التقوى؟ اسأل، وهكذا، عند دخول المسجد أشرف المواضع تقوى، وفي الطريق إليه تقوى، وفي انتظار الصلاة تقوى، وفي حال الصلاة تقوى، وبعد الصلاة تقوى، وعند الخروج من الصلاة تقوى.

التقوى ما هي؟ اسأل نفسك، فإن عَلِمْتَ فاعمل، وإن لم تعلم فاسأل وتعلم.

وهكذا؟ في كل مقام، التقوى بحسب ذلك المقام.

ولهذا الله عز وجل أوصى بالتقوى كثيرًا حتى وصى به الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] ، وكان النبي ﷺ يُوصي بها المؤمنين وخصوصًا عند توديع المسافر وغير ذلك، وتجهيز الجيوش وغير ذلك. **نعم**.

الأدب الثاني: كُنْ على جادة السلف الصالح

كن سلفيًا على الجادة، طريق السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم فمَنْ بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد، والعبادات، ونحوها.

الشرح:

أول ميزة الصلف الصالح، هي حسن التلقي للعلم.

أن يقولوا سمعنا وأطعنا، أن يقبلوا العلم إذا جاءهم، ما يَرُدُّونه بالرأي، ولا يردون بالجدل، ولا يردون بترك العمل، حتى لما نزل قول الله عز وجل ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]؛ شق عليهم ذلك: كيف نحاسب على ما في صدورنا من الخواطر التي قد لا نقدر على دفعها؟، ماذا قال لهم الرسول ﷺ؟ قال: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»، حتى وإن كان في نفوسكم شيء، حكة من ذلك؛ لأنهم قالوا: حملنا ما نطيق وهذه الآية لا نطيقها، فزجرهم النبي ﷺ زجرةً شديدةً، قال: «**قولوا: سمعنا وأطعنا**»، فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقَرَأُوها؛ قابلين لها، ملتزمين بما تدل عليه، وإن كان في نفوسهم ما فيها؛ أدبٌ مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، فلما اقترؤوها وذلت بها ألسنتهم من كثرة الترديد، أنزل الله في إثرها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال ﷺ: «**إن الله عفى لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل**»، من الخواطر والوساوس التي يلقيها الشيطان، لا تسترسل معها، ولا تتكلم بها، ولا تعمل بمقتضاها.

ولذلك جاؤوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه ما أن يخر من السماء فتخطفه الطير أهون من أن يتكلم بذلك. فقال النبي ﷺ: «**أوقد وجدتموه؟ الله أكبر،**

ذاك صريح الإيمان»، وفي رواية قال: «**الحمد لله الذي در كيده** -وهو الشيطان- **إلى الوسوسة**».

وقال ﷺ مبينا ذلك، والمنهج الذي ينبغي معه، قال: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ وتقول الله، يقول: من خلق كذا؟ وتقول الله، فيقول: من خلق الله؟ قال: فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**». وفي رواية: «**فليقل: الله خالق كل شيءٍ**»، في رواية: «**فليقل: آمنت بالله ورسله**»، فهذا الحاجز الذي حَجَزَ من الاسترسال وراء الوساوس من التكلم بها فضلًا عن العمل بها؛ هذا هو الإيمان، ولذا قال ﷺ الحديث الثاني: «**الله أكبر، ذاك صريح الإيمان**».

فالإنسان المسلم عامةً وطالب العلم خاصةً يتلقى ما يأتيه عن الله ورسوله بالقبول والتسليم، فإن عَلِمَ معناها والمراد به عَمِل به، وانشرح صدره له، وإن لم يعلم ذلك وَكَلَه إلى عالمه، ولا يعترض على النصوص، لا برأيه ولا بمذهب غيره، ما يعترض على النصوص، التسليم.

الآن الكثير من الطلبة الذين يُحبون العلم أول ما يبدؤون بعلم يبدؤون بالجدل، ويتكلمون في مسائل الكبار، التي لو وردت على **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجَمَعَ لها أهل بدر، ويتكلمون بها وهم صغار في المتوسط، العذر بالجهل، العذر بالجهل، يُعذر بالجهل أو لا يُعذر بالجهل، وصلت إلى هذا!، هذا المفتي هو المسؤول عن هذا، القاضي الذي سيحكُم، وليُّ الأمر الذي سيُنفذ، وأنت يا بُني في أول الطلب اصبر، وستصل – إن شاء الله – إلى القول الراجح، وستعرف أن أحدًا يُعذر بالجهل وآخر لا يُعذر بالجهل، وانتهى الموضوع. واضح.

وتجد هذا خلافٌ يُرَتَّب عليه ولاءٌ وبراءٌ وتبديعٌ وتفسيقٌ وتكفير، فيُنشغل عن العلم، وتقسو القلوب، وتكون آية الضلال: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا في الجدل في الدين،

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧] ، قبل أن يصلوا إلى تأويله، ما يَحْصُلون على التأويل.

وقال النبي ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه» أي من الوحي، «فأولئك الذين سمى الله» الذين في قلوبهم زيغ؛ «فاحذروهم»، فتأدب بأدب العلم.

وأهم من الأدب: أن تترك الجدل، تسمع وتتأمل، وتُناقش مع أهل العلم والفضل بأدب ما أشكل عليك، حتى يُوجهونك، أما تتناقش مع من مثلك، أو مع من دونك، أو مع خصمك، فهذا ضلال بَيِّنٌ وهلاكٌ وخُسران. **نعم**.

متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

قال الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: وَصَحَّ عن الدارقطني – رحمه الله تعالى – أنه قال: ما شيءٌ أبغض إلى من عِلم الكلام. قلت: لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا. انتهى.

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المُتَّبِعون آثار رسول الله ﷺ، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأهل السنة نَقَاوَةُ المسلمين، وهم خير الناس للناس انتهى.

فالزم السبيل ؛ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

يعني: خلاصة المسلمين، هم خلاصة المسلمين؛ لأنهم تحروا الإخلاص لله –جل وعلا– في القصد والنية، وتحروا الشرع بأصل المشروعية والأداء والكيفية، اجتهدوا في هذا، وجَدُّوا، وغيرهم يخلط ولا يبالي. **نعم**.

الأدب الثالث: ملازمة خشية الله جل وعلا

التحلي بعِمَارة الظاهر والباطن بخشية الله – تعالى –، محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السُّنَّة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها، دالًّا على الله بعِلمك وسمتك وعملك، مُتحليًّا بالرجولة، والمُساهلة، والسمت الصالح.

ومِلَاكُ ذلك خشية الله – تعالى –، ولهذا قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – أصل العلم خشية الله تعالى.

الشرح:

وفي روايةٍ: **إنما يراد من العلم الخشية** .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧ – ٨].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨].

فالخشية: هي خوفٌ من الله عز وجل ورهبةٌ مقرونٌ برجاءٍ ورغبةٍ، بحيث أن هذا يحملك على الإقبال على الطاعة، والمداومة عليها، والإحسان فيها، والانكفاف عن المعصية، والبعد عن مظانها ووسائلها، والتوبة إلى الله عز وجل مما اقترفت منها، والندم على ذلك؛ يكون في قلبك خوفٌ وخشيةٌ ووجلٌ من الله عز وجل، ولذلك ما عَلِمْتَ عَمِلْتَ به، وما عَمِلْتَ به تُبينه للناس، ولا سيما عند الحاجة إليه.

وتكون أحرص على هداية الناس منك على المعذرة عند الله وإقامة الحجة عليهم، تكون تتشوق إلى هدايتهم، أن يعبدوا الله هم راغبين راهبين، وأن يرضى الله عز وجل عنك وعنهم، ما يكون تلقي كلمة عشان تقول: أُعْذَرُ عند الله.

لأ، أبعد من هذا؛ أن تُعَبِّد الناس لله -جل وعلا-.

يقول بعض السلف: وددت أن لحمي قُرِض بالمقاريض، وأن الناس أطاعوا ربهم، فلذلك؛ وأن تدعوا الآخر المُخَالِف للشرع، تدعوه برفقٍ رجاء أن يقبل، تستعين الله عليه؛ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ [طه:٢٥ - ٢٨]، تلقاه بوجهٍ طليقٍ، يشعر فيك الحنان والشفقة والرفق، يُحبك قبل أن يسمع منك، إذا رآك ذَكَرَ الله، هذا الوصف، هذا وصف أهل الخشية؛ الذين إذا رُأوا ذكر الله، والذين في مجالسهم يُذكرون بالله عز وجل، وهم في سائر أوقاتهم يذكرون الله -جل وعلا-، حَوْلَهَا الخشية. **نعم**.

فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله – تعالى -، وما يخشاه إلا عالِمٌ، إذن فخير البرية هو العالِم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يُعَدُّ عالمًا إلا إذا كان عاملًا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – بسندٍ فيه لطيفةٌ إسناديةٌ برواية آباءٍ تسعة، فقال: أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن أُكَيْنَة ابن عبد الله التميمي من حفظه، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – يقول: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل انتهى.

وهذا اللفظ بنحوه مَرْوِيٌّ عن سفيان الثوري – رحمه الله تعالى –.

الأدب الرابع: دَوَامُ المُرَاقَبَة

التَّحلِّي بدوام المراقبة لله -تعالى- في السِّرِّ والعلن، سائرًا إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر.

فأقبل على الله بكُلِّيَّتِك، وليمتلئ قلبك بمحبته، ولسانك بذِكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحِكَمه - سبحانه-.

الشرح:

ومن ذلك: أن تخاف الله عز وجل أن يَحْرِمك العلم بسبب سوءِ أدبك، مع القرآن العظيم، مع السُّنَّة النبوية، مع أهل السلف الصالح من الأُمَّة، مع أكابر أهل العلم، مع مجالس العلم، مع كُتُب العلم، مع العمل بالعلم؛ أن تُحرم العلم بسبب سوء أدبك، وترجو الله عز وجل لأنك دخلت في العلم بنيةٍ صالحةٍ، وترجو أن الله يتمم لك ويعطيك من فضله، ما يجعلك به إمامًا من أئمة التُّقَى، فإذا ذَكَرْتَ فضل الله -جل وعلا- وسعة رحمته، وعِظم حلمه وكرمه؛ رجوت، وإذا ذكرت دَخَائِن نفسك وما فيها من الآفات والعيوب؛ خفت؛ أن تُؤَاخَذَ بذلك.

فهذا مهمٌ جدًّا.

ومن ذلك: أن تُراقب الله عز وجل في الأحكام، فلا تقول هذا حلالٌ وذاك حرامٌ إلا بحجة؛ لأنك إذا قُلتَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، تقول عند الله هذا حلال وهذا حرام.

والله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٤].

فالتَّعَجُّل في الأحكام هذا خطيرٌ.

راقب ربك قبل أن تُصدر الحكم، أنت أهلٌ لإصدار الحكم؟، هذا أهلٌ لإصدار الحكم عليه؟

فراقب ربك، لا تَتَقَوَّل على الله في دينه بغير علمٍ، اتق الله، أخطر ما عليك.

من أمثلة ذلك الآن: بإجماع المسلمين أن من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها كَفَرَ، وهكذا كل من جَحَد معلومًا من الدين بالضرورة، معلوم الحل أو التحريم من الدين بالضرورة؛ فإنه يَكْفُر، لكن من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا، هذه لو وَرَدَتْ على **عمر** جَمَعَ لها أهل بدر، أنت تحكم عليها كلمة واحدة: هذا كافر هذا كذا.

كيف؟.

العلماء الكبار إلى الآن: الاختلاف موجودٌ إلى الآن، من أهل الحديث من يُكَفِّره، ومن أهل الفقه من لا يُكَفِّره.

والتكفير أيضًا عند أين؟

عند الحُكم عليه؛ يستتاب ثلاثًا ويُعرض السيف على رقبته، فإذا لم يصل -مع عَرْض السيف على رقبته- يُحكم بكفره، ما في قلبه مثقال ذرة من إيمان هذا.

لكن الآن: الإشارة؛ نظام الوقوف عند الإشارة، أي أعظم هو ولا الصلاة؟

الصلاة صح!،

لكن الآن نظام الإشارة أَحْسَنَ الناس إذا مَرَّ على الإشارة في وقتٍ ما فيه زحمة مرور ولا فيه مُراقب، يُفكِّر بقطع الإشارة، هو فاجر هو؟

ما هو بفاجرٍ، لكن نفسه تُغريه.

فتارك الصلاة كسلًا لو رأى من ولي الأمر عصى كذا ما ترك الصلاة، لو قيل خمسة ريال تؤخذ من راتبه ما ترك الصلاة، كل الناس.

والله تعالى يَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

فإذا تُرِك هو وهواه لعب عليه هواه، واضح.

فأنت إذا جاءك السؤال عن حكم تارك الصلاة، ويش تقول؟

تقرأ عليه النصوص: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، وش معناه؟

هذا ما يصلي ما هو من إخوانكم.

يكفيه هذا النص.

الثاني: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**».

«**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**».

«**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»، قل: كَفَرَ، من ترك الصلاة كَفَرَ، يسعك أن تقول غير هذا؟

ما يسعك، من ترك الصلاة كَفَرَ، ما يسعك غير هذا، لكن هل هو كفرٌ ناقلٌ عن الملة أو لا؟،

ولهذا اتفق الفقهاء أن تارك الصلاة بعد الاستتابة يُقتل، في كل حالٍ يُقتل.

لكن اختلفوا: هل يقتل كُفرًا ردةً يعني، أو يُقتل حدًّا؟

ها انظر الخلاف!، واضح.

فهذا حُكْمُ الحي في الدنيا، وأنت كمفتي أو طالب علمٍ ما يسعك إلا هذا، لكن أمر الخواتيم وأمر الآخرة على الله.

واحد قالوا لك: والله أنه توفي فلان الله المستعان، وكان والله كسلان في الصلاة. تقول: والله تَرْكُ الصلاة كفرٌ، لكن ما ندري الله يُخرج من النار من في قُلوبهم مثاقيل ذر، واضح.

ما هو عزيز على الله عز وجل أن يُنجيه من النار، هذا ما دام يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ما هو عزيز، ما نحكم عليه بالنار؛ ما ندري، واضح.

نقول بمقتضى النصوص.

واحمد الله أن الله عافاك، لا أنت مفتي ولا أنت قاضي ولا أنت ولي الأمر، واضح.

لأن القاضي يَحْكُم قد يُسْتَرْشَدُ في حكمه بفتوى المفتي، وولي الأمر ينفذ.

عافاك الله من الثلاثة، اترك؛ لست أحد الثلاثة، احمد ربك، لا تدخل نفسك.

لكن من سألك؛ اقرأ عليه النصوص، هي تَزْجُر بحد ذاتها، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، يعني بالدليل: قال الله وقال الرسول وقال السلف.

جملة الناس يكفيهم هذا، يعرفون هذا حلال وهذا حرام.

واحدٌ عنده نوع شهوة، يدري عن الحكم لكن عنده نوع شهوة، فتأتي بالترغيب والترهيب، بالموعظة، ذِكْر العقوبات المرتبة على هذا، ذِكر سنن الله في العصاة.

واحد يترك أشياء وهي شبهة، عنده شبهات، فهذا هو الذي يُناقش ويُناظر، حتى تقام عليه الحجة، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

آخر لا هذه ولا ذي، هذا لا ينفع فيه إلا السيف، الذي يسوؤه؛ احمد ربك إنك ما جهة تنفيذية، لا جهة إصدار حكم ولا جهة تنفيذ. **نعم**.

الأدب الخامس: خَفْضُ الجناح ونَبْذُ الخيلاء والكبرياء

تحل بآداب النفس، من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر، من الوقار والرزانة، وخفض الجناح، متحملًا ذل التعلم لعزة العلم، ذليلًا للحق.

وعليه، فاحذر نواقض هذه الآداب، فإنها مع الإثم تُقيم على نفسك شاهدًا على أنَّ في العقل علةً، وعلى حرمان من العلم والعمل به.

الشرح:

يعني في العقل نقص.

إذا خالفت هذه الآداب، دلت على نقص عقلك، ترضى أن يفهم الناس أنك ناقص عقل؟، خَبِل يعني، تأدب بأدب العلم، تأدب بأدب الشرع، فالله تعالى أَدَّب المؤمنين، اسمع.

اقرأ سورة الحجرات، كم فيها من ادب؟

اقرأ سورة النور، كم فيها من أدب؟

اقرأ سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة النساء، كم فيها من آداب؟

فتأدب بالشرع، إذا تركت آداب الشرع دل ذلك على نقص عقلك؛ لأنك تَعَلَّم ولا تبالي، والدَّواب إذا عُلِّمت تعلمت، واضح.

فَرْقٌ بين العسيف والصعب:

العسيف: الذي عُلِّم.

والصعب: الذي لم يُعلم.

والخيل ما تكون خيل يستفاد منها في الجهاد في سبيل الله إلا بعد التعليم والترويض، ولا لأ، فإذا كانت الدواب تتعلم، وأنت ما تتعلم، دل ذلك على نقص عقلك ونقص دينك. **نعم**.

فإياك والخُيلاء، فإنه نفاقٌ وكبرياء، وقد بلغ من شدة التوقي منه عند السلف مبلغًا.

اسمع لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء:٣٧] ، هذه الخيلاء.

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩] ، فانظر الأدب، هذه آداب الشرع، **نعم**.

ومن دقيقه ما أسنده الذهبي في ترجمة عمرو بن الأسود العَنْسِيِّ المُتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان – رحمه الله تعالى – أنه كان إذا خرج من المسجد قَبَضَ بيمينه على شماله، فسئل عن ذلك؟ فقال: مخافة أن تُنافق يدي، قلت: يُمسكها خوفًا من أن يَخْطِر بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء. انتهى.

وهذا العارض عَرَضَ للعنسي – رحمه الله تعالى –.

واحذر داء الجبابرة «الكبر»، فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنبٍ عُصي الله به.

الكبر عَرَّفَهُ النبي ﷺ بأنه: «**بطر الحق**»، يعني دفعه ورده.

«**وغمط الخلق**»، احتقار الخلق، لا تحتقر المريض، ولا تحتقر الفقير، ولا تحتقر الجاهل، ولا تحتقر كبير السن، ولا تحتقر المجنون.

احمد الله الذي أعطاك، فأنت لا تحتقر أحدًا، كل إنسانٍ ارحمه وأحسن إليه، وعامله بما يقتضيه الشرع، هذا هو التواضع، أن تعاملهم بمقتضى الشرع، حتى لا تعامله بما تَعْلِم، عامله بمقتضى الشرع أبرأ لك.

والله عز وجل شَرَعَ لك من شرعه في كتابه العظيم وفي سنة نبيه الكريم، أن تُوقر الكبير، وأن ترحم الصغير، وأن تمسح على رأس اليتيم، وأن تَعطف على الفقير، وأن تُعلم الجاهل،

وأن تُرشد الضال، وأن تَهْدي من يستهدي الطريق، اشكر نعمة الله عليك، وأحسن كما أحسن الله إليك. **نعم**.

فتطاولك على مُعلمك كبرياء، واستنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حَمْأَةُ كبرٍ، وعنوان حرمان.

تجد من ينتسب للعلم والدعوة من أهل الألقاب، إذا صار لهم مقابلةٌ ولا شيء، وتعلم القرآن عنده مُحَفِّظ في القرية، ما يسميه؟، عَلَّمَك القرآن ولا تسميه، شيخك هذا!، عَلَّمَك كلام الله عز وجل، ما يسميه، عنده مطوع المسجد، وتعلم من مطوع المسجد، ما يسميه، ليش؟

لأنه يرى أن تسمية هؤلاء تُنقص من قدره.

من علمك آية أو حديث فأنت له عبدٌ، في المعروف يعني، له فضلٌ – بعد الله عز وجل – عليك، لا بد أن تعترف بفضله؛ لأن من الفضل الاعتراف بالفضل لذي الفضل، كذلك يتلقون العلم على المشايخ في المساجد ويتنكرون، كل هذا من التكبر.

الكبر غمط الخلق، وبطر الحق إذا جاءه الدليل عليه، قال: لا، هذا عام، أكيده له مقيدٌ، أو لا يصح الحديث، لكن له وجه؛ ما يسلم بالحديث، ما يسلم لله في قيله، ولا يسلم لرسول الله في بيانه، بكل وقاحةٍ وهو على الشاشة وأمام الناس، هذا كبر.

الإنسان إذا قال كلامًا، وجيء له بدليلٍ من القرآن والسنة، يَظْهَر أن قوله مخالفٌ ترتعد فرائصه، ويخشى من عقوبة تنزل عليه حالًا أمام الملأ، وهذا بكل استرخاء يَرُدُّ النصوص ولا يبالي. **نعم**.

العلــم حــربٌ للفتــى المتعــالي ... كالسَّــيل حــرب للمكــان العــالي

فالزم – رحمك الله تعالى – اللُّصوق إلى الأرض، والإزراء على نفسك، وهضمها، ومُراغمتها عند الاستشراف لكبرياءٍ أو غطرسةٍ أو حب ظهورٍ أو عجبٍ، ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المُذهبة لهيبته، المُطفأة لنوره، وكلما ازددت علمًا أو رفعةً في ولايةٍ، فالزم ذلك، تُحرز سعادةً عظمى، ومقامًا يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله ابن الإمام الحجة الراوية في الكتب الستة بكر بن عبد الله المزني – رحمهما الله تعالى – قال: سمعت إنسانًا يُحَدِّث عن أبي، أنه كان واقفًا بعرفة، فَرَقَّ، فقال: لولا أني فيهم، لقُلتُ: قد غُفِرَ لهم.

خرجه الذهبي، ثم قال: قلت: كذلك ينبغي للعبد أن يُزْرِي على نفسه ويهضمها. انتهى.

يعني: إنه في عرفة، رجلٌ عالمٌ مشهورٌ متدينٌ عابدٌ، ومع ذلك يقول: كم من عرفة من هو خيرٌ مني، أنا لي من الذنوب ما لا يعلمها إلا علام الغيوب، أخشى والله أنه بسبب ذنوبي يُحرمون الخير كوني بينهم؛ شوف هضم النفس والتواضع، لكن يخشى.

وفي الحديث «**ذو طِمْرَين**» ثوبين باليين خلقين «**مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»، لصلاحه وتقواه وتواضعه وزَكَاة نفسه وطيب قلبه. **نعم**.

الأدب السادس: القناعة والزهادة

التحلي بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد: الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماه، بالكَفِّ عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس.

الشرح:

هذا الزهد زهدان:

زهدٌ واجبٌ: وهو تَرْكُ الحرام، هذا واجبٌ وعبادةٌ.

وزهدٌ مستحبٌ: وهو تَرْكُ فُضُول الحلال والمباح.

أن الإنسان يُرَبِّي نفسه على التحمل والجلد، بعض الناس اللي يقرؤون كتاب «**بلوغ المرام**» ولا غيره، لازم يصير عنده مكيفين باردات، ما يُطيق الحر، طيب العلماء الأولين كيف تعلموا؟

في شدة الحر، وشدة الجوع، وشدة الخوف، وقلة ذات اليد، وأهلهم يُتعبونهم بالعمل، أهلهم يَستعملونهم بالعمل، في رعي الماشية وفي سَقْي الزرع وفي العمل بالدُّكان، ومع ذلك يتعلمون.

والآن لأ؛ الآن يريد مكيفين في الغرفة، وفراشًا وثيرًا، وثلاجة جنبه وكرسي، ولا ما يتعلم، ما يصلح هذا؛ وين الزهد؟، وإذا أراد ثوب، بدل ما يكفيه ثوب بسبعين ريال، يرتدي ثوب بخمسمائة ريال بألف ريال، ويخرج للمسجد أو للجامعة أو للمدرسة كأنه طاووس.

وين ذل التعلم؟ وين الزهد في الدنيا؟، وين الرغبة في الآخرة، فهذا وين راح؟،

هذا موجودٌ في بطون الكتب الآن، التطبيق قليل، فينبغي التوسط والاقتصاد في جميع الأمور.

فالزهد الواجب ترك الحرام.

والزهد المستحب ترك فضول الحلال والمباح، ما هو لازمٌ كل يوم تأكل لحم، ما هو لازم كل وجبة تشبع، ما هو لازم مشروبات، سبحان الله.

فهذا طالب العلم لازم يُهيئ نفسه على التحمل؛ لأنك ستجد مشادةً وأمور طارئة تحتاج إلى جلدٍ وصبرٍ، فإذا ما تصبر على حَرِّ الغرفة، فكيف ستصبر على الأمور الأخرى؟، هذا ميوعة، ما يليق هذا، يتعود الإنسان الجلد ويتعود الدأب ويتعود الصبر ويتعود الخشونة، كل هذا مطلوب.

النبي ﷺ مشى حافيًا ومنتعلًا، والثوب الذي يرتديه ﷺ يكون عليه أثر المَنِيِّ، والمني قذرٌ مثل البصاق، فإن كان يابس يُفرك، يروح الجرم ويطلع يصلي فيه، وإذا كان رطب ينضح بالماء ويطلع يصلي فيه وبقع الماء في ثوبه.

أتحدى أن واحد يجي اليوم بهذا المسجد؟

الناس يناظرونه.

أنت طاووس ولا ملك ولا إيش؟،

وين التواضع، وين التعلم، وين الزهد؟

النبي ﷺ نام على الحصير حتى أَثَّر في جنبه، في غرفة فراش النوم حصير، ما تذكر هذا، إذا تذكرت الفراش الوثير والغطاء الوثير، تذكر اللحد في القبر، إيش حالك فيه؟

فلا بد للإنسان يتعود على مثل هذه الأمور. **نعم**.

ويؤثر عن الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: لو أوصى إنسانٍ لأعقل الناس، صُرِف إلى الزُّهاد.

إن لله عبـــــــادا فُطنًـــــــا طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا

نظـــروا فيهـــا فلمـــا علمـــوا أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ ســـكنا
جعلوهـــا لجـــةً واتخـــذوا صـــالح الأعمـــال فيهـــا سُـــفنا

فطالب العلم والرجل العابد الصالح ينظر إلى الآخرة، ينظر إلى الدنيا بلغة.

لما ذهب **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام، واستلم مفاتيح بيت المقدس، ووجاءه أمراءه، على مختلف أحوالهم، أحدهم في أُبَّهة الملوك والقياصرة، وأحدهم في مظهر العُبَّاد والزهاد. فاختار **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يذهب مع مين؟ **مع أبي عبيدة،** قال: تذهب معي تُعَصِّر عينيك يا أمير المؤمنين، تبكي، ما عندي لك شيء، قال له: أذهب معك، فلما دخل جلس في المجلس، ما في المجلس كنبات ولا مثل اليوم، جاءه بكسر خبز وماء وملح، فبكى **عمر**، قال هذا زادك؟، قال: هذا يُبلغنا المقيل، يُوصلنا للآخرة هذا. فبكى **عمر**، قال: أما قُلت لك تُعصر عينيك، تذهب معي فتعصر عينيك.

وها الحين طالب العلم اللي الآن وين، ويتزاحم على حِلق المشايخ، وعنده الهمبرجر حتى يسد الشارع، وإذا ما حصل، وقالوا له: امش ما أكل الوجبة ولا ارتاح، تَكَدَّر؛ كيف بده يحفظ!، كيف يقرأ!، ما يصلح وهكذا.

هذا طلب علم هذا؟،

هذا ترف، فلا بد من الزهادة، أن الإنسان يُوطن نفسه على الزهادة، على القناعة، على القَبول بالميسور، لازم؛ فالدنيا ما هي على حالٍ واحدة، متقلبة؛ الله يكفينا شرها، فوطن نفسك حتى تتحمل تغير الدنيا وتقلباتها. **نعم**.

وعن محمد بن الحسن الشيباني – رحمه الله تعالى – لما قيل له: ألا تُصنف كتابًا في الزهد؟ قال: قد صَنَّفْتُ كتابًا في البُيوع، يعنى الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف. انتهى.

قال: صنفت كتابًا في البيوع، اللي يخاف الله يتقيد بأحكام البيوع، يترك الحرام ويترك المُشتبه، ويترك الحِيل، ويترك الربا، ويرضى بالميسور من الربح، ويَضَعْ عن المُعسر، ويُحسن معاملة المعسر، وهكذا.

هذا الزهد، التقيد بأحكام الشرع في المعاملة مع الناس، ولهذا يقال: الدين المعاملة.

نعم.

وعليه، فليكن معتدلًا في معاشه بما لا يُشينه، بحيث يصون نفسه ومن يعول، ولا يَرِدُ مواطن الذلة والهُون.

وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - مُتقللًا من الدنيا، وقد شَاهدُّتُه لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: لقد جِئتُ من البلاد (شنقيط) ومعي كنزٌ قَلَّ أن يُوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أُوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية. فرحمه الله تعالى رحمةً واسعةً آمين.

بركة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وثبتنا على الحق في الحياة، وعند الممات، وبعد الممات، ويوم يقوم الأشهاد.

اللهم زحزحنا عن النار وأدخلنا الجنة والفردوس الأعلى مع الأخيار، الله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

المجلس الثاني في شرح الحلية

القارئ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى- في «الحلية»:

الأدب السابع: التحلي برونق العلم

التحلي برونق العلم حُسن السَّمْت، والهدى الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها.

وعن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - قال: كانوا يتعلمون الهَدْى كما يتعلمون العلم.

وعن رجاء بن حَيَوة - رحمه الله تعالى - أنه قال لرجل: حدثنا، ولا تحدثنا عن مُتماوتٍ ولا طعَّانٍ.

رواهما الخطيب في الجامع، وقال: يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس، بالسُّخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التَّنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يُستجاز من المُزاح بيسيره ونادره وطَرِيفة، والذي لا يُخرج عن حدِّ الأدب وطريقة العلم، فأما مُتَّصِلُه وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر، فإنه مذمومٌ، وكثرة المزاح والضحك يضع من القَدْرِ، ويُزيل المروءة. انتهى.

وقد قيل: من أكثر من شيءٍ، عُرف به، فتجنب هاتيك السقطات في مُجالستك ومُحادثتك، وبعض من يجهل يظن أن التبسط في هذا أريحية.

وعن الأحنف بن قيسٍ قال: جَنِّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أُبغض الرجل يكون وصَّافًا لفرجه وبطنه.

وفي كتاب المُحَدِّث المُلهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القضاء: ومن تزين بما ليس فيه، شانه الله. وانظر شرحه لابن القيم رحمه الله تعالى.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد: ففي هذه الفقرة يُنبه المؤلف – رحمه الله تعالى – طالب العلم على أن يتحلى بوقار العلم، وجَلاله، وأدبه، وسَمْتِ أهله؛ بحيث يكون مُهتمًّا بأداء الفرائض، مُسابقًا إليها مُبَكِّرًا لها، مُؤديًا لها على أحسن وجوهها، مُجتهدًا في الاستزادة من النوافل: من نوافل الأذكار، ونوافل الصلاة، ونوافل الصدقة، ونوافل الصوم، وهكذا كل عبادةٍ فرضها الله –جل وعلا– جعل لها نافلةً من جنسها، تُكَمِّل نَقْصَ العمل، وتزيد في الأجر فضلًا من الله عز وجل، وترتفع بذلك الدرجة، ويَزْداد حُبُّ الله –جل وعلا– لعبده، وَحُبُّ العبد لربه.

وهكذا يجتنب المحرمات والمحظورات، ولا يُحدث نفسه بها ولا بمواطنها، ولا يحب أهلها ولا يخالطهم إلا من حاجةٍ، ويبتعد عن الشبهات وأُمور الريبة، لا يتواجد في مواطنها، ولا يُصاحب أهلها، ولا يتعاطى وسائلها، ويكون مُشتغلًا بذِكر الله –جل وعلا–، حتى يُذكر اللهُ إذا رُئي، وحتى يُذكر بالله الغافلين.

ومثل ذلك: أن يتعاطى الوقار في مِشيته، إذا مشى في أي أمرٍ، من البيت للمسجد، من البيت لشغله، يكون عنده هِمَّة في مشيه وعزمٌ، ما يكون مُتراخيًا مُتماوتًا، ولا يكثر الوقوف والالتفات، ولا يضحك مع الذي معه ويقهقه، ويظهر بمظهر الغفلة.

ومثل ذلك: أن يكون معتزلًا لفضول المجالس، مجانبًا لفضول المجالس ولأهل الفضول.

وكذلك: لا يكون في مظهرٍ من مظاهر الغفلة مع الناس، يُقهقه ويستلقي على ظهره، ويأتي بأمورٍ تافهةٍ لا تستحق الذكر، أو أمور تدل على غفلة.

ومن ذلك: الأمور التي تدل على الولع بالشهوات.

ولذلك يكره أهل العلم من طالب العلم أن يتحدث عن النساء وأوصاف النساء، يتحدث عن الأطعمة وفنون الطعام وطرائق الأكل، ما يكون همته فرجه وبطنه.

لا؛ ما ينبغي هذا.

يكون عليه جلال العلم ووقار العلم وبهاء العلم، يَظهر من وجهه الخشية، يظهر من جوارحه السكون والخشوع، ويَشْغَل لسانه بذكر الله عز وجل، فيكون كلامه ذكرًا، وسكوته تفكرًا، تأسيًا بالنبي ﷺ، ولا يُحَدِّث بالمجالس إلا لما تدعو له الحاجة، من بيان شيءٍ، أو نصيحةٍ من شأنٍ، أو نوعٍ من المزح الذي فيه فائدةٌ يستفاد منها؛ لأن الشيء بالشيء يُذكر، فيكون في المزح الذي يريد فائدةً، يُنبه على فضيلةٍ، ويُحذر من رذيلة، يُؤنس ويُبعد الوجوم ويبعد الجفاء، فيكون عنده الحسبة في كل شيء، فيظهر عليه جلال العلم وهيبة العلم ووقار أهله، هذا هو الذي ينبغي أيضًا.

والمرء حيث يَضَعُ نفسه: إن جعلت نفسك في منزلة أهل العلم، رفعك الله عز وجل، ويَسَّر لك أسباب الرفعة، وجعل الهيبة لك في صدور الناس، حتى الفُسَّاق يهابونك، وإن ابتذلت نفسك وتواجدت مع الفَسَقَة والمُجَّانِّ ومع العوام فيما يلهون به، يجترؤون عليك، ويفعلون بعض الأمور اللي ما تليق بمقامك؛ امتُهنت وابتُذلت، وذهبت قيمتك، وتجرأ عليك من يُحرجك، فالمرء حيث يضع نفسه، إن رفع نفسه بالعلم رفعه الله عز وجل، وإن وضعها بالامتهان والتَّبَذُّل والشهوات البهيمية، وضعه الله، وما ظلمه الله.

فينبغي على الإنسان أن يتحلى بأدب العلم، فكلما ازداد علمًا ازداد فضلًا.

في مجلس من مجالس العلم عرفت فضائل أذكار الصباح والمساء، تقول: سبحان الله وبحمد مائة مرة، وتقول: لا إله إلا هو وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، منذ عَرَفْتَ ذلك تلتزم به.

يكون لك خلوة مع ربك.

عرفت فضيلة صلاة الضحى، وأنها ركعتان منها تُجزي عن ثلاثمائة وستين صدقة، وأنها صلاة الأوابين، والله تعالى يقول ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء:٢٥]، وعرفت أن النبي ﷺ كان في الغالب يُحافظ على ست ركعات من الضحى، ركعتان بعد طلوع الشمس، وأربع حين يشتد النهار، وربما صلى ثمانية، فحافظ عليها كالفريضة، لكن أنت يكون لك ولعٌ بها لفضلها، ولأجل أنك تحتاط، فحافظ عليها اليوم وغدًا وبعد غدٍ وبعد غدٍ، فيأتي يومٌ تُشغل فيه تراجع مستشفى، مرتبط أو مشغول، فتأخذ من الفراغ للشُّغل.

وهكذا عرفت صيام ثلاث أيام من الشهر فضيلة، وأنه يعدل صيام الشهر، منذ عرفت ذلك تلتزم به، فتصوم ثلاثة أيام، وتُفرق بين صوم النبي ﷺ وبين صوم العوام، فالنبي ﷺ كان يصوم الثلاثة من أول الشهر، أول اثنين من الشهر إذا كان أول الشهر اثنين، ثم الخميس الذي يليه، ثم الاثنين، وإن كان أول الشهر الخميس، صمت الخميس ثم الاثنين ثم الخميس، هكذا كانت طريقة النبي ﷺ، وإنما حُدِّدَت الأيام البيض لأجل أنها في منتصف الشهر وفي اكتمال القمر بَدْر، ولياليها مقمرةٌ، فالعوام يَسْهُل عليهم التذكر ولا ينسونها.

وهكذا نوافل الصلوات: مثل ما تتعاهد صلاة الضحى، تتعاهد أن تؤدي السُّنن الراتبة والنوافل كاملة، قبل الفجر ركعتين بين الأذان والإقامة، وأربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعد الظهر، وأربع قبل العصر، وتصلي قبل المغرب، وتصلي بعد المغرب ركعتين أو أربعًا أو

ستًا، وربما تواصل بين المغرب والعشاء، وكذلك العشاء تصلي قبلها ركعتين بعدها ركعتين، وتصلي من الليل قبل النوم أو بعد النوم، أو عند النوم.

لكل إنسانٍ منهج، طالب العلم يكون له منهجٌ مستقلٌ واضحٌ بَيِّنٌ؛ يعرفه الناس منه دون سؤال، يكتسبون منه: مِن أخلاقه ومن عمله ومن هديه ومن طريقته وسمته.

وهكذا في لُبسه للثياب يتقيد بالسنة، فلا يُسبل ولا يلبس ثوب شهرة، ولا يلبس الثوب الذي فيه الغلاء الفاحش، ولا يلبس الثياب الدَّنِسة، لا تكون له روائح كريهة، ويتطيب عند الجمعة والعيد، وعند حضور مجالس العلم، ومجتمعات الناس، يكون نظيف البدن نظيف الثياب، طيب الرائحة، فيتحرى ذلك.

كل هذا من هَدْي أهل العلم.

يتصدق في طريق المسجد إن تيسر له، يجمع صدقات الأسبوع في يوم الخميس مثلًا، صدقات في آخر الشهر، لو كل يوم يتصدق بريالٍ؛ خَيْرٌ، يتصدق بدرهمٍ، يتصدق بمتاعٍ، يتصدق بطعامٍ، بأي شيءٍ، كان أحد السلف إذا خرج للمسجد لابد أن يأخذ شيئًا، شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن الله تعالى شرع الصدقة بين يدي مناجاة رسوله ﷺ، فالصدقة بين يدي مناجاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولى، ولو لم يجد إلا بَصَلَةً أخذها معه، وتصدق بها على أحدٍ في الطريق، أو كسرة خبز .

أنت لا تأخذ صدقة ولا كسرة خبز؛ تَصَدَّق بريال؛ تجده عند الله ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥] ، فسمى الله الصدقة قرضًا تحبيبًا لها، وتأكيدًا على أنها مردودةٌ محفوظةٌ لصاحبها، ويَكتب له أجرها، ويخلف الله عليه أَبْرَك مما بذل؛ لأن الله هو الكريم وأنت تتعامل مع الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فينبه الشيخ على أن يكون طالب العلم ذا هديٍ وسمتٍ، متميزًا، على قدر ما حَصَّل من العلم، حتى يُعرف بذلك، وحتى يُذَّكر بحق الله عز وجل وحتى يُذْكر الله إذا رُئي، فخير عباد الله الذين إذا رؤوا ذُكر الله، جعلنا وإياكم كذلك. **نعم**.

الآن مِن أبسط المسائل: **السواك**.

صلاةٌ بسواكٍ تَعْدل صلواتٍ بغير سواك، الله أعلم قيل سبعين، أو أكثر.

وقال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، وفي الحديث الآخر: «**عند كل وضوء**»، ويعني عند الوضوء وعند الصلاة، عند الوضوء تتسوك عند المضمضة، وعند الصلاة عند تكبيرة الإحرام، هذا السواك بنصف ريال، كم تُحصل به من فضيلةٍ كل شهر، أظنك ما تستعمل السواك إلا مدة شهرٍ، ثم ترميه وتأخذ جديد، بنصف ريال، كم تصلي فريضةً ونافلةً تستاك معه، فكم من أجر؟، لماذا تضيع هذا؟

كثيرٌ من طلبة العلم لا يعنى بالسواك، ولو أَخَذه يوم أو يومين تركه، ما هو شغله؛ النبي ﷺ جعل له واحدًا من الصحابة مسؤولًا عن السواك، يعني بالسواك، **عبد الله بن مسعود** صاحب السواك والنعلين، إلى هذا الحد الاهتمام، كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ يجعلون السواك منهم موضع القَلَم من الكاتب، يجعلونه على أذنهم، ما عندهم مخابئ مثلًا، حتى يكون قريب، ما يغفل عنه، فإذا كنت أنت ما تتسوك عند الصلاة، ما تُذكر الناس، وبعدين لا يبالي الناس بالسواك؛ لأنهم يعرفون أنك طالب علم ولا تهتم بهذه السنة، ما يهتمون بالسنة، ولو أنك تسوكت أمامهم؛ تسوك عشرة، لك مثل أجرهم.

فكم يحصلك من الفضيلة في عود سواك بنصف ريال؟،

صلاة بسواك أفضل قطعًا بالإجماع من صلاة بلا سواك، لماذا تترك الفضيلة؟، فإذا تأسى بك غيرك فلك مثل أجره، هذا مثالٌ.

الأذكار عند دخول المسجد والخروج من المسجد، تجد بعض الناس يدخل المسجد ويتحدث، ما جاء بِخَبَر المسجد أبدًا، وربما أنه إذا دخل وصل الصف وقف ينتظر الإقامة يبخل على نفسه بركعتين، هذا جفاء؛ ما يليق بطلاب العلم، تجدهم إذا دخلوا المسجد في طرف المسجد هناك وراء يقضون، والله لو مشيت على عدة مساجد فيها طلبة علم لتراهم من أكسل الناس فيها، أين المسؤولية الشرعية؟، أين البلاغ عن النبي ﷺ؟، أين هداية الخلق الحق؟،

فإذا لم يقوموا بهذا، فغيرهم أولى ألا يقوم.

فيحتسب الإنسان؛ كل شيء يحتسبه، التواضع في لباسه، المشي بِهُونٍ وسكينة، ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

التزام السنة في المظهر.

الدعوة إلى الله عز وجل إذا من كان من عن يمينك وعلى شمالك المسجد يحتاج إلى تنبيه، تُنبهه على الشيء الذي يَحتاج إليه برفقٍ ولطفٍ، بحيث أنك ما تفرغ من حديثك إلا وقد أَحَبَّك وانجذب بقلبه إليك، ولا ينسى تذكيرك له.

والناس إذا لم يحبوك لم يقبلوا منك، فيكون طالب العلم عنده تحري، عنده حسبة، يُجَمِّع هذا شيء ومن هذا شيء من الفضائل، يكتمل عمله، يتجر مع الله عز وجل ما دام على قيد الحياة.

فهذا منهج أصيل وكان علماء السلف عليه، وأئمة العلم والدين عليه، ولا يزالون والحمد لله لهم بقايا.

لكن هذا المثال السواك بنصف ريال، كم تستفيد فيه من سُنَّة، بكم تبيع ثواب السنة يوم القيامة؟

ما تبيعه أصلًا، فلماذا تبخل على نفسك؟

فهكذا ينبغي للإنسان أن يهتم بهذا، في مظهره، في مخبره، في تعامله، يُشعر الناس بالرفق، يشعر الناس بالحنان، يتميز بعفة اللسان، والسلامة من الوقيعة بين الناس، يتميز بالسلامة من الغلظة، الله عز وجل وصف أهل الإيمان بأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، الآن كثير ممن ينتسب للعلم أشداء على إخوانهم في العلم خاصة، مُتسلطون عليهم، سَلِم الفساق منهم والكفار، وتسلطوا على الأخيار، نقيصة، كيف يكون هذا؟

يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، هكذا يوجه الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ إلى هذا.

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] ، فينبغي للناس أن يُراجعوا أنفسهم، وأن يُكثروا من قراءة آداب التعلم والتعليم، وآداب مجالس العلم، وأن يكثروا من قراءة السُّنن وسير أهل العلم والعباد، اقرأوا في «**سير أعلام النبلاء**» تجدون كيف كان أئمة هذا الشأن، العبادة والذكر والإحسان والخير والغيرة على دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة للخَلْق، هكذا يكون طالب العلم، يكون متميزًا، منذ أن يَشْرع في العلم يتميز، كل يوم هو في ازدياد؛ لأن فضيلة العلم الشرعي أنه يتحول إلى عمل، والعمل مع طول الوقت يتحول إلى عادةٍ سجية، يفعله الإنسان من غير كلفة، وهو على أجره؛ لأن نفسه تروضت على هذا، فتصير السُّنن سجايا له، لو تركها أحس بفقدها مثل ما لو أنه ترك الطعام والشراب يومين، يحس بالحاجة إليه، فتتحول السنن إلى سجايا، ويكون هذا عملًا مستمرًا له، ومَنِ اتبعه على ذلك له مثل أجره.

والدعوة إلى الله عز وجل بالأفعال والأحوال أبلغ من الدعوة بالأقوال؛ لأن الإنسان قد يقول ما لا يفعل، وقد عاتب الله أهل الإيمان بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ - ٣]، ولو ذَكَرنا -والله الذي لا إله غيره- لا يتجرأ خطيبٌ ولا واعظٌ ولا مُدرس والله ما يتجرأ يتصدر في مجلس وهو لا يعمل؛ لأنه مسؤول يوم القيامة، وأول شيء هذا السؤال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾، ما يصير الإنسان يُنَظِّر في المجالس ويأتي بمثاليات وهو أبعد ما يكون عن تطبيقها وتحقيقها، هذا خسران، هذا غبن؛ هذا من حجج الله على العبد، هذا خطر عليه يوم القيامة.

تمنى بعض المحدثين – رحمة الله عليهم – أنهم لم يحفظوا كثيرًا من الحديث، فقيل له كيف؟، قال: هل كل حديث حفظته عملت به؟، يعني: أخشى من السؤال عليه.

انظروا كيف.

فالمهم: أن الإنسان يكون له سيرةٌ نقيةٌ جميلةٌ مغريةٌ؛ تحبب الناس في الحق، وتهدي الناس للحق، والدعاء بالأفعال والأحوال أبلغ من الأقوال، والناس إذا لم يُحبوك ولم يألفوك، لم يأخذوا عنك، وإذا ظهرت للناس بمظهر الجفاء، اكتسبت شماتتهم وشناعتهم، وتسببت في جفائهم وبُعدهم، فتكون من الصادين عن سبيل الله وهُدى الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فاحذر هذا. **نعم**.

الأدب الثامن: تَحَلَّ بالمروءة

التحلي بالمروءة وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتَحَمَّل الناس، والأنفة من غير كبرياء، والعِزَّة في غير جبروت، والشهامة في غير عصبيةٍ، والحميَّة في غير جاهلية.

وعليه فتنكَّب خوارم المروءة، في طَبْعٍ، أو قولٍ، أو عملٍ، من حرفةٍ مهينةٍ، أو خَلَّةٍ رديئة، كالعُجْب، والرياء، والبَطَر، والخيلاء.

الشرح:

المروءة أن تكون مستعدًا لبذل الخير بحسب الحال.

وتكون حريصًا على السَّبق إليه، مبتدأً به أصلًا.

ومن ذلك أنك إذا عرفت أن جليسك مريض، تُشعره بحنانك، وتسأل عن حاله، وتُطمئنه: أبشر أنت على خير، ويجمع الله لك بين الأجر والعافية، أنت الآن يُعطيك الله على نيتك، ويكتب لك من الأجر مثل ما إن كُنْتَ صحيح، ولا تدري وين الخير فيه.

وتدعو له، وتُشعره برقة قلبك نحوه، وشفقتك عليه.

إذا رأيت الإنسان بحاجةٍ، إن استطعت أن تشفع له فاشفع له، ما استطعت تُحيله على أحد، ما استطعت تدعو له أن الله ييسر له أمره ويقضي حاجته.

إذا كان متعطلٍ بسيارته ولا كذا، تعرض عليه الخدمة أن توصله وتساعده، الشخص الذي تطمئن إليه، تعرفه وتطمئن إليه، أو ترى من حاله ما يدل على ما يقتضي الرحمة به والإحسان إليه؛ فتكون مبتدأ.

لو احتاج قرض في أَمْرٍ تقدر عليه أنت تبادر بقرضه، تعتبر هذا إن جابها حسن؛ وإن ما جابها صدقة، تُعيره القلم، تعيره الكتاب إذا كانت عندك نسخة أخرى.

وهكذا يكون الإنسان باذل.

أن تكرم جارك، وتحسن إلى صاحبك في السفر أو في الطريق، زميلك في العلم، بحيث أن كل أحدٍ يُعاملك يرتاح لك ويطمئن من جانبك ويحبك ويعرف معروفك، هذا كله من هدي النبوة، فكان النبي كذلك ﷺ. **نعم**.

وعليه فتنكب خوارم المروءة، في طبعٍ أو قولٍ، أو عملٍ، من حرفةٍ مهينةٍ، أو خَلَّةٍ رديئةٍ، كالعُجْب والرياء والبطر والخيلاء واحتقار الآخرين وغِشْيَان مواطن الرِّيب.



الأدب التاسع: التمتع بخصال الرجولة

تمتع بخصال الرجولة من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال.

وعليه، فاحذر نواقضها، من ضَعْفِ الجأش وقلة الصبر وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قولة الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تَلْفَحُ بسمومها في وجوه الصالحين من عباده.

الشرح:

كل الناس جعل الله عز وجل فيهم سجايا وأخلاق مغروزة في النفوس، يتفاوتون.

فمثلا: الشجاعة.

موجود في كل الناس نسبةٌ منها، فأحد شجاعته معتدلةٌ، وأحدٌ شجاعته متهورة، وأحد شجاعته ناقصةٌ إلى حد الجبن، فجاء الإسلام: القرآن الكريم والشَّرع الحكيم وبيان الرسول الكريم ﷺ، فرَجَّع المتهور إلى الاعتدال، وحافظ على اعتدال المعتدل، ورفع الجبان إلى التوسط، ولذلك تَقَارَب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الشجاعة.

الكرم: فيه أحد متوسط، وفيه أحد مُسرف، وفيه أحد شحيح، وأحد بخيل، فالإسلام قَارب بينهم، وجعلهم من حد الوسط وزيادة على وفق الشرع.

الغضب: الغضب خصلة حميدة في الإنسان، جعلها الله حميدة في الإنسان، لكن إذا تعدت إلى حد الإفراط، وقع الإنسان في الجنون والانفعال، وجنى على نفسه، وإذا نقصت أدت إلى الجبن والخنوع والذل والانقباض والانطواء، فجاء الشرع وَهَدَّى الغضب، وأن الإنسان إذا غضب وهو قائمٌ يجلس، وهو جالس يضطجع، ما نفع يتوضأ ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى يعتدل.

فالغضب هو الدافع على الجهاد في سبيل الله، لولا الغضب ما جاهد أحد في سبيل الله، يغضب لله عز وجل، والغضب المخالف للشرع يُؤدي إلى طلاق الزوجة، وإلى تنفير الولد، وإلى إساءة التعامل مع الجار، وإلى الظهور بمظهر الحماقة والسَّفه والجنون، بل يُسبب زيادة في الضغط والسكر، أو وجود الضغط والسكر عند الإنسان.

فجاء الشرع في معادلة هذه والموازنة فيها، وهكذا سائر الخصال هكذا.

ولذلك روي عن النبي ﷺ قال: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم**».

وقال: «**من يتصبر يُصبره الله**».

وقال: «**ما أُعطي أحدٌ عطاء خير وأوسع من الصبر**».

وقال: «**يطبع المؤمن على الخلال كلها، ما خلا الكذب والخيانة**»؛ لأنهما تنافيان الإيمان.

فكل الناس ما هم على درجة واحدة؛ لكن الإسلام هذبهم، فكلما تمسك الإنسان بهدي القرآن الكريم وسنة النبي الكريم ﷺ، كلما اعتدل واستقام، كلما اطمئن، كلما انشرح صدره، كلما تيسر أمره، كلما كان مباركًا أينما كان، فهكذا الإنسان يجاهد بنفسه، على جميع السجايا الطيبة أن يأخذ كمالها، والسجايا الرديئة أن يتخلص منها، وهذا لا يكون إلا بالمجاهدة، دوام المجاهدة.

ولذا يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ويقول: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، فكل هذه تحتاج إلى جهاد؛ الصبر يحتاج إلى جهاد، الغضب يحتاج إلى جهاد، الكرم يحتاج إلى جهاد، الإخلاص يحتاج إلى جهاد، الصدق يحتاج إلى جهاد،

الكذب يحتاج إلى جهاد، بحيث تجاهد نفسك وتتمرن على الأخلاق والخلال الحميدة، وعلى التخلص من الأخلاق والخلال الرديئة، وهكذا.

والأسوة في ذلك النبي ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] ، ويكفي قول الحق ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، كل ما ذَكَرَهُ الله عز وجل في القرآن العظيم من صفات المتقين، وصفات المؤمنين، وصفات المحسنين، وصفات الأبرار، وصفات عباد الرحمن، كل هذا تنبيه على أخلاقٍ عاليةٍ، جاهدوا أنفسهم عليها واستقاموا عليها، مُحتسبين لله ومُستعينين بالله وصادقين مع الله، متأسيين بالنبي ﷺ، حتى صارت سجايا راسخةً فيهم، وجانبوا ما يَنْقُص ذلك أو ينافيه.

هذه الطريقة، كل شيء بالجهاد، من لم يجاهد لم يحصل شيء، فتجاهد نفسك على الحلم، على الكرم، على التفقه في الدين، على العفو، على الشجاعة، فلا بد أن يكون الإنسان شجاعًا، ومن ذلك أن يكون قوالًا بالحق، ويكون عنده رغبة في الجهاد في سبيل الله تعالى ليشفي غليله من أعداء الله، لا لذاتهم، لكن لأنهم كَذَبُوا لأنهم كفروا؛ لأنهم حادوا الله ورسوله، فهكذا.

ولذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما كانوا يتدبرون القرآن العظيم، ويعملون به، ويتأسون بالنبي الكريم ﷺ، وروضوا أنفسهم على ذلك، صاروا متقاربين؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤] ، فصاروا متقاربين في الفقه، متقاربين في العبادة، متقاربين في الكرم، متقاربين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متقاربين في الدعوة إلى الله عز وجل، متقاربين في النصيحة، متقاربين في الشجاعة، تجدهم متقاربين كأسنان المشط.

وهذا كله من آثار ترويض النفس صدقًا مع الله واستعانة به سبحانه وتعالى، ومجاهدةً فيه وله، وتأسيًا بالنبي ﷺ. **نعم**.

الأدب العاشر: هَجْرُ التَّرَفُّه

لا تسترسل في التنعم والرفاهية، فإن البذاذة من الإيمان، وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه المشهور، وفيه: وإياكم والتنعمَ وزي العجم، وتَمَعْدَدُوا، واخشوشنوا.

وعليه، فازْوَرَّ عن زيف الحضارة، فإنه يُؤنث الطباع، ويرخى الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، ويصل المُجِدُّون لغاياتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغولٌ بالتأنق في ملبسك، وإن كان منها شياتٌ ليست محرمةً ولا مكروهةً؛ لكن ليست سمتًا صالحًا، والحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، بل تحديدٌ له، وهل اللباس إلا وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؟!

فكن حذرًا في لباسك؛ لأنه يُعبر لغيرك عن تقويمك، في الانتماء، والتكوين، والذوق، ولهذا قيل: الحلية في الظاهر تدل على ميلٍ في الباطن، والناس يُصنِّفونك من لباسك، بل إن كيفية اللُّبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من: الرصانة والتعقل، أو التَّمَشيخ والرهبنة، أو التصابي وحب الظهور.

فخذ من اللباس ما يُزِينك ولا يُشينك، ولا يجعل فيك مقالًا لقائلٍ، ولا لَمْزًا للامِزٍ، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لُبسك بما يلتقي مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحُسن نيتك يكون قُربةً، إنه وسيلةٌ إلى هداية الخلق للحق.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحبُّ إليَّ أنْ أَنْظُرَ القارئ أبيض الثياب. أي: ليَعْظُم في نفوس الناس، فيُعظَّم في نفوسهم ما لديه من الحق.

والناس – كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – كأَسْرَاب القَطَا، مَجْبُولون على تَشَبُّه بعضهم ببعض.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي، أما اللباس الإفرنجي، فغير خافٍ عليك حُكمه، وليس معنى هذا أن تأتى بلباسٍ مُشَوَّه، لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع، تحفُّه بالسمت الصالح والهدي الحسن.

وتَطَلَّب دلائل ذلك في كتب السُّنَّة الرِّقَاق، لا سيما في «الجامع» للخطيب.

ولا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم يُنبهون على هذا في كتب الرقاق والآداب واللباس، والله أعلم.

الشرح:

قال الله -جل وعلا-: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف:٣١].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : كُلْ ما شِئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت، ما اجتنبت إسرافًا ومخيلة.

فالأكل والشُّرب حاجةٌ، يُؤخذ من ذلك بقدر الحاجة.

قال النبي ﷺ: «**المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر في سبعة أمعاء**».

وأرشد النبي ﷺ إلى أن الإنسان عند الأكل إذا كان لابُد فثُلُث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه.

قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ : «**ما ملأ أدمي وعاءً شَرًّا من بطنه**»، والنصوص في هذا كثيرة، فهو حاجة.

النوم حاجة، فينام الإنسان بقَدْر حاجته، جُملة الناس يكفيهم من النوم ثمان ساعات في أربع وعشرين ساعة، وقد يكفيهم خمس ساعات، وقد يكفيهم بعضهم عشر ساعات، فإذا قُسِّمت الساعات هذه على الليل والنهار، أربع ساعات في الليل؛ ثلاث، وساعة في أول النهار

من الضحى إذا تيسر لك بعد طلوع الشمس والسُّنَّة الراتبة، وإذا ما تيسر فمن الظهيرة، فهذا تستطيع تُقَسِّم النوم، وتستفيد بحيث أنك تحافظ على وقتك بأن تُنفقه فيما ينفعك من مصالح دينك، ومن مصالح دنياك، ولا خير في النُّوَمَة، ومَنْ كَثُر أَكْلُه كثر شُربه، ومن كَثُر شُربه كثر دَمُه، ومن كَثُر دمه كثر نومه، ومن كثر نومه وكَسَلُه لا خير فيه.

فالأكل حاجة والشرب حاجة.

اللباس حاجة وزينة؛ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ [الأعراف:٢٦]، سترةٌ يعني، ﴿وَرِيشٗاۖ ﴾ يعني جمالًا عند الناس، متوسطًا؛ في الأعياد في الجمع والاجتماعات؛ في المناسبات، قال: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾، فلباس الباطن التقوى، وهذا خيرٌ، ومع ذلك الله عز وجل يَسَّر اللباس الظاهر: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٦ – ٢٧].

فاللباس أيضًا مطلوبٌ، فشيءٌ يتجمل به في الجمعة والأعياد والمناسبات واللقاءات والاجتماعات، وشيءٌ يكون عاديًّا، وشيءٌ يكون للمهنة، وصاحب المهنة ينبغي أن يكون له ثوبٌ لمهنته وثوبٌ لصلاته غير ثوب الجمعة، يعني ثوب للعمل وثوب للصلاة، وثوب للنوم، فلا يُسرف الإنسان في الثياب، إنما يجعلها على الحاجة، فإن وَسَّع الله عليه توسع، يكون له ثوب لنومه، وثوب لعمله مهنته، وثوب لصلاته واجتماعاته العادية، وثوب للعيد، هكذا.

وهكذا الفُرُش، على قدر الحاجة، وما زاد فهو للشيطان، فراش لهُ وفراش لزَوْجِه والثالث لضيفه والرابع للشيطان، فيكون الإنسان مُتَّزِنًا مقتصدًا، لا بخيلًا شحيحًا ولا مُسرفًا مُبذرًا؛ بحيث أنه في بيته يتخفف من الملابس؛ لأنه عند زوجته وعند أولاده وأهله، وفي عمله

وَأَخَف له، وأبعد عن الحر، وإذا أراد أن يخرج إلى المسجد يخرج بثوبٍ لائق بالمسجد كما يخرج للاجتماعات، أما أن يأتي بسروالٍ وفانلة للمسجد!، فهذه من نواقص المروءة، هذا من الحماقة والغباء والجهل، أو يأتي بقميص النوم مُتبذلًا!، ما يليق هذا، يُفَرِّق بين صلاته وبين الأمور الأخرى.

إذا ذهب للمدرسة أو ذهب لدوامه يلبس أحسن ما يجد وإذا جاء المسجد يلبس أسوأ ما يجد؟!،

هذا ما يليق؛ ما يليق لا بالكبار ولا بالصغار، هذا امتهان للمسجد؛ والله ﷻ يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف:٣٢] ، في الدنيا يَشْرَكُم غيرهم، أما في الآخرة لا يشركهم غيرهم، فهذا من الأمور المطلوبة.

والإنسان يقتصد من غير بخلٍ ومن غير شحٍّ، يتجنب الإسراف، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧] ، يعني وسطًا وسدادًا، فهكذا يكون الإنسان.

كذلك الوقت: نفيسٌ عند المؤمن عامَّةً، وعند طالب العلم خاصَّةً؛ لأن عُمُر الإنسان هو تجارته، فعلى قَدْر ما ينتفع به في الصالحات يسعد في عمره، وعلى قدر ما يفوته يخسر، فلذلك العمر يُقتصد فيه، لا يُنفق إلا فيما ينفع، فيما يُعين على طاعة الله، فيما يُسْتَجَمُّ به لأجل الطاعة، وكان للسلف أحاديث عجيبةٌ في حِفظ الوقت.

يقول أحدهم: أني لأختار سف الفتيت -دقيق الخبز-، وأشرب الماء على الخبز في الإدام، قيل لماذا؟، قال: بينهما خمسون آية. قدر خمسين آية.

والثاني يقول: أنه يقتصد في الأكل والشرب، قالوا: لماذا؟ ليش تضيق على نفسك؟ قال: أخشى أن أطيل الجلوس في الحمام. انطقع عن العلم والعمل.

انظر الحسابات كيف!

ولهم في ذلك أخبار من جهة الاستفادة من الوقت، ولا يُمكن أحدٌ يَنتفع بوقته كما ينبغي إلا أن يَشغل لسانه بذكر الله، فإنه إذا شغل لسانه بذكر الله عن حضورِ قلبٍ، انتفع من سائر وقته، صارت أنفاسه في موازينه، وهذه الغنيمة، فلذلك ينبغي للإنسان أن يُعود نفسه ذِكْرَ الله عز وجل.

فيه كلمة من الذكر أنت أحوج ما تكون إليها، لماذا؟

لأنك ستحتاج إليها في أصعب وقتٍ يمر بك وهي حال النزع، ما هي الكلمة؟

لا إله إلا الله؛ تدرون هذه الكلمة أنها كلمة الإخلاص، ومن أجل كونها كلمة الإخلاص جعل الله تعالى حروفها مُضْمَرةً، ما تُحرك شفتيك، تقولها دون أن تُحرك شفتيك، حتى لا تُرائي، فتقولها في المجلس ألف مرةٍ، ما يشعر بك أحدٌ، فإذا عَوَّدت لسانك عليها في دنياك وفي رخائك وفي سعتك، سَهُل عليك تردادها عند الأجل، عند النزع.

ولذلك روي عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «**يا بني عَوِّد لسانك (لا إله إلا الله)، فإنها لو كانت السماوات والأرض حلقة من حديدٍ، لقصمتها لا إله إلا الله**».

و(**لا إله إلا الله**) من خاصيتها أنها تُبعد عنك الشيطان، الشيطان لا يُطيق لا إله إلا الله أبدًا.

فهذا يحتفظ الإنسان بوقته لصالحه هو.

ومن ذلك: أن يتقلل من الأمور المُشْغِلة، الأمور المُكَسِّلة، الأمور المُلهية، الأمور التي تُقَسِّي القلب؛ الترف في اللباس يُقسي القلب، الترف في الأكل والشرب والزيادة تقسي القلب وتُبَلِّد الطبع، فليحذر الإنسان هذه الأشياء؛ لأنها تَعُوقه؛ تضره؛ تُثقله، تُدخل الشيطان عليه.

ذُكِرَ أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأى الشيطان إبليس، ومعه تعاليق، شيء يحمله معه تعاليق يعلق به شيء، قال: ما هذا الذي معك؟ قال: هذه الشهوات، أفتن بها الناس؛ لكل واحدٍ تُناسبه شهوة، فهكذا الشيطان يزين للناس.

وذُكر عن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه رأى الشيطان كذلك، قال له: هل فتنتني يعني؟، قال نعم. قال: كيف؟، قال: أُوتيت بطعامٍ لذيذٍ فأغريتك بالإكثار منه، فنِمت عن قيام الليل. فقال: والله لا شَبِعْتُ يومًا قط، فقال له الشيطان: والله لا نصحت أحدًا بعدك قط.

انظر مداخل الشيطان، يدخل عليك وأنت ما تدري، فعند الذِّكر عند النوم يُكسلك، يجيب لك النوم.

مما ذكر النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال معقبات**»، ثم قال: «**أجرهن كثيرٌ ومن يعمل بهن قليلٌ**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟، قال: «**يأتي الشيطان أحدكم فينومه**».

وهكذا في الصلاة يُذكرك نسيت في السيارة شيء، فيه أحدٍ يَنْتَظِرُك، ولذلك تجد الإنسان يذهب على التليفون يطلع على طول؛ كأنه مجنون! من المسجد، هذا من الشيطان.

فالمهم: أن الشهوات وأمور التَّرفَه كل هذه تُسبب قسوةً القلب، وتسبب ضعف في البصيرة؛ ما هو في البصر، وتسبب كسل وخمول في الجوارح، وتسبب غفلة عن ذكر الله عز وجل، ولذلك ينبغي على الإنسان ما يأخذ إلا قدر حاجته من هذه الأشياء، يحذر من الزيادة؛ لأنه بالزيادة من هذه يحصل النقصان، فما ينام الإنسان على مزاجه.

يعني أحيانًا كثيرًا من الناس خصوصا الشباب النوم عندهم هواية، خلاص ينام ما يقوم انتهى، الأكل هواية، التفنن في الأكل والمعروضات هواية عند الناس، إذا عُرِض الكثير أكل الإنسان أكثر، وهذا على حسابك في عاجل أمرك وآجله.

فلذلك يكون الإنسان على حذر من هذه الأشياء، ويتأسى بسنة النبي ﷺ والسلف الصالح، يترك الشيء وهو يريده ويحبه، خوفًا من تبعته، ومن أخطر ذلك الاعتياد عليه، الاعتياد خطير، والركون للدنيا والراحة والدَّعة، هذا لا يليق ولا يصح.

ولذلك أنا عندي مثال -من باب التذكير يعني-:

الدروس العلمية الشرعية حضورها المغرب والعشاء كثيرٌ والفجر قليلٌ، ليش؟ لأنهم يحبون النوم، أكثر الشباب يحبون النوم.

طيب: وين الأوراد والأذكار، في الصباح وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها؟

فهذا أقرب شيء؛ مثال قريب الآن محسوس جدًا، تجد رجلًا فاضلًا يعجبك في منظره تُحِبُّه، لكنه ما يملك نفسا من جهة النوم، ليش؟ لأنه يَسْهر على غير الشرع؛ لأنه يسهر؛ فإذا سهر احتاج النوم، ولهذا النبي ﷺ كره النوم قبل العشاء والحديث بعدها السهر بعدها، ولم يُرَخِّص في ذلك إلا سَمَر الرجل مع أهله، أو مع ضيفه، أو في أمرٍ من أمور المسلمين، أو في العلم، ولذلك أوصى **أبا هريرة وأبا الدرداء** وغيرهما من شباب الصحابة بأن يُصلوا الضحى تعويضًا عما يفوتهم من صلاة الليل؛ لأنهم يسهرون على حفظ الحديث ومراجعته، يكتبون ويَقرؤون ويَتَحَفَّظُون.

والآن الناس صاروا على أمرٍ آخرٍ، انقطعت الصلة بالأمر القديم؛ وجدت هذه الأجهزة اللي يسمونها أجهزة التواصل وفَتَنَتِ الناس، صار الإنسان يتصل بالشياطين، ويتلقف النُّكات ويتلقف أشياء ولا يتأثر بها ولا يستفيد منها، وتمر به العِبر والعظات، وآخر شيء

عنده أن يُرسلها لغيره؛ يتفرج فقط!، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥]، فما يتعظ الناس، شوف الحوادث الآن، حوادث ووفيات، حوادث حروب وحوادث كذا وكذا، وأقصى ما عنده وأكنف ما عليه أنه يرسلها لغيره يتفرج وبس، ما يكون اتعظ، لا الاتعاظ يكون في الأحاديث المكذوبة؛ يُرْسِل حديثًا ما يدري أيش أصله! ويقول: انشر تؤجر!، هذا اللي جيدين الناس فيه!

فما ينبغي هذا، فالإنسان يشح بوقته، يشح بدينه، يشح بقلبه، يشح بجوارحه، جوارحك النشيطة هذه إذا ما عَوَّدتها اليوم على طاعة الله لن تستطيع في آخر عمرك على الطاعة؛ لأنها تضعف وتعجز، وبعدين تَمَلَّ؛ لأنها ما تعودت، عودها حتى تسهل.

أنا أعرف شِيبان كبار الواحد يمشي خمسة كيلو يوميًا ولا يستطيع ينتظر في المسجد عشر دقائق، كل صلاة يقضي، ليش؟ لأنه يوم كان شباب كل صلاةٍ يقضيها، تفوته الصلاة، فتَعَوَّد على هذا وصار عمره ثمانين على نفس السجية، يجلس في المجلس، يجلس عند باب المسجد ساعتين يرفع قدم ويضع الأخرى، ما يمل، وفي الصلاة: لا؛ طَوَّل الإمام، إذا قَرَأ من طوال السور في الفجر: هذا يُطول، هذا فتان هذا! يَقُولونها الشِّيبان لأنهم يوم كانوا صغار ما عودوا أنفسهم على الطاعة، فعود نفسك تجدها.

ولما كان شيخٌ كبيرٌ صالحٌ يمشي عثر في مشيته، فوقع فقال له أحد إخوانه: لا بأس عليك، قال: نعم لا بأس عليَّ، تلك الجوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا في الكبر.

نعم.

الأدب الحادي عشر: الإعراض عن مجالس اللغو

لا تطأ بساط من يَغْشَوْن في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، مُتغابيًا عن ذلك، فإن فعلت ذلك، فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

الشرح:

اللغو، كان من الأَوَّل أحدٌ يجلس يسُولف على الناس في أساطير فارس والروم، وربما أحدٌ يستعمل الدف أو شيء من آلات اللهو والغناء، كل هذا منكرٌ، والله عز وجل وصف أهل الإيمان بأنهم: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧٢]، لم يتدنسون به، وأنهم عن اللغو معرضون، وأنهم لا يشهدون الزور، لا يشهدون الباطل، لا يشهدون به يقولونه ولا يحضرون مجالسه، ولما جاءت ما يُسمونها وسائل التواصل الاجتماعي صار الناس يتلقفون اللغو، هذا محشش سوى كذا، وهذا سوى كذا، وصار الإلحاد يُحكى، الإلحاد يحكى، تجد شاب طالب العلم يحكي الإلحاد، وربما يُرسله لغيره ليتفرج عليه، وصارت الأجهزة هذه الآن مَشغلةً للناس، حتى تجد أهل البيت بالكامل كل واحدٍ معه جهاز، وكل واحد ما يدري شو الآخر عليه، ولو صوتت طول صوتك ما أحد يسمعك، ففُتن الناس بهذه، وصارت تُعَرِّف على الكفار والملاحدة، من الفنانين المغنيين الماجنين، ومن الزُّناة ومن لاعبي الكرة، ومن لاعبي كذا، ومن كذا، كل مُتفننٍ بفَنٍّ ماجنٍ وخبيثٍ صار الآن يُعرف، ولا يعرف الناس من سير الصحابة الكبار شيء، ولا يعرفوا عن سير أهل العلم، ولا يتعرفون على أحوال العباد والزهاد ولا شيء، حتى صاروا يدخلون الآن بملابس عليها أسماء كفار وصور كفار عادي، وصار يغضب الأخ ويهجر أخاه من أجل كافر لاعب، أو من أجل نادي، صار الولاء ما هو لله الآن، هذه خطيرة، هذه قوادح في العقيدة، هذا انحراف، هذا اتباع للكفار، هذا تولي للكفار؛ لأنها محبة للكفار، يحب نصراني لاعب النادي الفلاني يهودي وثني، يُحِبُّه ويتعصب

له، ويُعظمه، ويأخذ تذكرة بعشرة ألاف ريال حتى يحضر عنده، سبحان الله، كيف يكون هذا؟، ويعادي طالب العلم ويعادي المستقيم ويعادي كذا وكذا، ويهجره ويجفاه، فأمور كهذه حدثت في الناس خطيرة نعوذ بالله من سوء عواقبها. **نعم**.

الأدب الثاني عشر: الإعراض عن الهَيْشَات

التَّصَوُّن من اللغط والهيشات، فإن الغَلَط تحت اللغط، وهذا يُنافي أدب الطلب.

ومن لطيف ما يُستحضر هنا ما ذكره صاحب «الوسيط في أدباء شنقيط»، وعنه في «معجم المعاجم».

الشرح:

ومن أماكن الهَيْشات: هذه الاستراحات.

ومنها: اللي يسمونها أماكن اللياقة وغيرها، كل هذه تَجْمَعُ غُثاء الناس، وخلطتهم وصحبتهم تقسي القلب، وتصد عن ذِكر الله.

ومن ذلك: المقاهي التي تجمع أخلاط الناس غثاء الناس.

فهذه كلها يجب على الإنسان أن يعرض عنها، وينأى بنفسه عنها، ولا يخالط أهلها.

والسهر كذلك يكون الإنسان عنده برنامج شهر مع أصدقاءه، اليوم عند فلان، وبكره عند فلان، وبعده عند فلان، كل هذا من الغفلة؛ وأن الناس يسهرون طول الليل وينامون عن الفجر، أو يصلون الفجر وينامون طول النهار، ويضيعون الفرائض؛ حتى والعياذ بالله أن بعض الناس فَرَّط في عِرضه، فرط في أهله؛ بسبب الغفلة، وربما يسهرون على محرماتٍ ومنكراتٍ وفواحش.

وأناس كانوا محسوبين من أهل الحِسبة، ولما جاءت القنوات والاستراحات والمقاهي، خالطوا هؤلاء وفجروا، أنا أعرف ناس فجروا، تركوا الدين كليةً؛ بسبب الصحبة والمواطن المشؤومة هذه.

وأخطر من هذا: دعاة الفتنة والضلال، دعاة التكفير والتفجير وغير ذلك، بحيث أن الإنسان يُعير سَمْعَه إلى من لا يعرف.

في **الأثر**: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فيُعير سمعه ويحضر المجلس يتحدث فيه خارجيٌّ من الخوارج، أو من البُغاة، وغير ذلك، ثم -والعياذ بالله- يخسر الإنسان الدنيا والآخرة، يتلقف الأفكار المنحرفة، والعقائد الضالة، ويتنكر لما عليه السلف الصالح؛ بالشبهات والأهواء، فهذا خطيرٌ جدًّا، فلا تحضر إلا عند من تثق في علمه ودينه؛ لأن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولا تحضر مع أُناسٍ لا تعرفهم؛ لأنهم يفاجئونك بما لا تدري، تارةً يفاجئونك بالمخدرات، بدعوى أنها مُنشطةٌ وأنها تُعين على الحفظ والمذاكرة، وتارةً يفاجئونك برؤية أفلامٍ حماسية عن التكفير والفتنة، ويظنون أنه جهاد في سبيل الله وهو جهاد فتنةٍ والعياذ بالله، وأخرى يَعرضون عليك شبهاتٍ تُشكك في دينك، هذه أمور بُلي بها الناس اليوم.

وما أشبهها بقول **ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أنه يأتي الشيطان الناس بصورة إنسانٍ، فيحدثهم الحديث، فينصرفون، فيقول أحدهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أعرف اسمه قال كذا وكذا.

قال **عبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: إن في البحر شياطين موثقة منذ عهد سليمان عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يوشك أن تخرج على الناس فتقرأ عليهم قرآنا، فالآن صار الناس يُبتلون بهذه الأمور وهم في غفلةٍ، يُحْسِنُون النية وكذا، ثم يُفاجؤون بأمورٍ -والعياذ بالله- تؤدي بهم إلى الفتن والشرور والنار، لازم الإسنان يحذر هذا الشيء.

هذه كلها مواطن هيشات؛ لأنها مواطن فتن، ومواطن جفاء، مواطن شبهات، ومواطن فجور، فيحتاج الإنسان أن يكون على حيطةٍ وعلى حذرٍ، لا تصاحب إلا مؤمنًا، لا يأكل طعامك إلا تقي. **نعم**.

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب «الوسيط في أدباء شنقيط»، وعنه في «معجم المعاجم»: أنه وقع نزاعٌ بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلةٌ أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع.

اعقلوا القصة هذه؛ أعدها.

أنه وقع نزاعٌ بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلةٌ أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكّموا عالمًا، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى.

وقع خلاف بين قبيلتين أدى إلى الاقتتال، فقُتل من هؤلاء، فسعت قبيلةٌ أخرى في الصلح، فسَمِعوا وقَبلوا الصلح على أن ينزلوا على حكم القاضي، القاضي نفسه جاهلٌ، كيف يكون إذا صار القاضي جاهل؟.

فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى.

قال: خلاص، هذه القبيلة قُتل منها أربعة، يَقتلون أربعةً من القبيلة الثانية؛ هذا صلح ذا!، يقتلون من؟، يعني يقتلون إنسانًا بريئًا، هذا ثأر الجاهلية هذا ما هو بحكمٍ شرعيٍّ، لكن هو جاهل أصلًا، لو كان عنده عقلٌ كان يقول: خلاص، يُجْمع ديات القتلى وتعطى أهلها، وانتهى الموضوع، لكن لا عنده عقلٌ ولا عنده علمٌ، وهو المرجع اللي يتحاكموا إليهَ؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالًا، فيفتون بغير علم فيَضِلون ويُضِلون. **نعم.**

فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه.

اعترض هذا العالم، وقال: هذه فتنة، ما فيها قصاص، هذه تطفئ الفتنة بأن يُرضى المختلفون، وتُدفع دية القتلى من بيت المال إن كان فيه سعةٌ، أو يُجمع لها من الناس، وينتهي الموضوع؛ لأن هذا هو الذي عليه أهل العلم وأهل الفتوى من لدن النبي ﷺ إلى

اليوم؛ أن الحروب التي تكون في الفتن ما يُؤخذ فيها قصاص، يُصلح بين الناس فقط، ولذلك الغارمون الذين يتحملون أموال الإصلاح بين الناس يُعطون نصيبًا من الزكاة. **نعم**.

فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب.

شوف القاضي قال: ها الفتوى اللي جبت!، أن الثارات والنزاعات ما فيها قصاص، وين مرجعك؟، ما فيه مرجع؛ لأنه جاهلٌ هو. فقال له المفتي: هذا موجود في أي كتاب؟، يعني أي كتاب من كتب الفقه، المذاهب الأربعة، هذا الذي يعني هو؛ يعني: هات أي كتابٍ من كُتُب فقه المذاهب الأربعة والأئمة المعتبرين غيرهم تجد فيها الكلام هذا، في كتاب الحدود والقصاص.

فتحدى القاضي المُفتي وقال: هذا عندي، القاموس أو اللسان العربي، مفردات اللغة العربية، طلع لي. **نعم**.

فقال: بل لم يخل منه كتاب. فقال القاضي: هذا «القاموس» - يعنى أنه يدخل في عموم كتاب - فتناول صاحب الترجمة «القاموس».

أنت كنت تقول أي كتاب، هذا كتاب، افتح وطلع لي.

القاضي جاهل والمفتي عالم؛ ولذلك سدده الله؛ لأن القاضي طالبه بعموم قَوْله، إنه أي كتاب، هو يقصد من قَوْلِه كُتُب الفقه المعتمدة، كتب المذاهب الأربعة، الحنفية والمالكية والحنبلية والشافعية، أو الأئمة أقران هؤلاء المعتمدين المُعتبرين، وهذا طالبه إنه أي كتاب فهذا كتاب، الله؛ هذا اللغة فطلع لي، فسدده الله. **نعم**.

فتناول صاحب الترجمة «القاموس»؛ وأول ما وقع نظره عليه: والهَيْشة: الفتنة، وأم حُبَيْن، وليس في الهيشات قود.

هذا تعريف الهيشة في اللغة: الفتنة التي تكون بين طرفين من الناس، هذه تسمى هيشة، ولذا جاء في الحديث النهي عن الهيشات في الأسواق؛ لأنها مظان الفتنة، وأم حبين: حشرة سحلية في البر معروفة. **نعم**.

أي: في القتيل في الفتنة لا يدري قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج. انتهى ملخصًا.

ولذلك قتال الخوارج والبغاة، وهم مُسلمون متأولون عندهم شبهات وأهل الهوى، لا يُجْهَز على جريحهم؛ لا يُمَوَّت، ولا يُتَّبع فارهم، ولا تُغْنَم أموالهم، ولا تُسبى حريمهم وذراريهم؛ لأنها فتنة هذه؛ فهذا قتال بين المسلمين فتنةٌ، الغنيمة من أموال الكفار، ما هو من أموال المسلمين، والسبي من الكفار ما هو من المسلمين، وهذا نادى به **عليٌّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في زمانه بعد قتال الخوارج، وهو الذي عَلَّم الناس هذه الأحكام. **نعم**.

الأدب الثالث عشر: التَّحَلِّي بالرِّفق

التزم الرفق في القول، مجتنبًا الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألَّف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة.

الشرح:

يقول النبي ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**».

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه**».

ولما بال الأعرابي وانتهر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**دعوه دعوه، لا تزرموا عليه بوله**»، وأمر بذنوبٍ من ماءٍ وصَبَّ على بوله تطهيرًا للمكان، ودعا الأعرابي وقال له برفق: إن هذه المساجد إنما بُنيت لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن، ولا يصلح فيها شيء من هذا البول والقذر.

فكانت سياسته ﷺ الرفق، ولا يستعمل الشدة إلا حيث يقتضي المقامُ الشدةَ والغلظة.

الأدب الرابع عشر: التَّأمل

التحلي بالتأمل، فإن مَنْ تأمل أدرك، وقيل: تَأَمَّلْ تُدرك.

وعليه، فتأمل عند التكلم: بماذا تتكلم؟ وما هي عائِدته؟ وتحَرَّز في العبارة والأداء دون تعنتٍ أو تحذلقٍ، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تَتَفَهَّم السؤال على وجهه؟ حتى لا يحتمل وجهين، وهكذا.

الشرح:

كان من صفة النبي ﷺ أن كلامه ذَكْرٌ، وسُكوته فِكْرٌ، تَفَكُّر وتَأَمَّل، الإنسان المؤمن عامةً وطالب العلم خاصةً يكون كثير التفكير مشغولٌ دائمًا، إذا قرأ تستوقفه آيات، يُسجل أرقامها وينظر في أقرب تفسيرٍ لها ليعرف المراد، إذا مَرَّ به حديثٌ كذلك، يتفكر في أحوال الناس: أحوال الأغنياء، أحوال الأمراء، أحوال العامة، أحوال الفساق، أحوال الأخيار، حتى يستنتج العبر ويهتدي، يتذكر إذا مرت به مشاكل الناس، يعرف مَصْدَرها ويعرف كيف حَلَّها، وهكذا يكون دائمًا مشغولًا، باله مشغول؛ دائمًا يُفكر، ويفكر في مآلات الأمور، أنا الآن بين الناس وأتحدث معهم، وغدًا إذا مرضت، سيمل الناس مني ويعرضون عني؛ فتَعَوَّد ذِكر الله عز وجل، وتعود طاعة الله حتى تسهل عليك في ذلك الظرف، أنا اليوم على قيد الحياة، وغدًا في الأرض، ما أستطيع أخرج أصلي ولا أستطيع أتنفل الضحى ولا بالليل، حتى يَعتبر وينشط، إذا أنه صار فقير، وضاق صدره بقِلَّة ذات يده، يقول: الحمد لله، الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، الفقر أخف في الحساب، الفقر أنك لا تقدر على كل ما تريده؛ من العصمة ألا تقدر، ويتفكر في سير السلف في هذا:

كيف من السلف من أَهَمَّه الغنى أشد من العدو، لعظم البلوى به.

كيف من الناس من السلف من أنس بالفقر، يقول: الحمد لله حاجتي مقضية، أنا والله لا أخشى الفقر، قالوا كيف؟، قال: إذا احتجت حاجةً ضروريةً، سألت ربي فأعطاني، واثقٌ، يقول: فاتني العشاء أصوم بكره، أخذت يومين طاوي، أصوم اليوم الثالث عادي، ما فيه شيء.

يقول بعض السلف: ما أحب أن لي دُكانا في سُدَّة المسجد -على باب المسجد على يمينك ويسارك-، أَكْسِبُ منها في اليوم ألفين وخمسمائة دينارٍ، أتصدق بها في سبيل الله، يقول ما أريد. قالوا: كيف؟، قال: لأن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب، فأنا إذا سلمني الله من الحرام، ما نجوت من الحلال في حسابه.

قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كنت تاجرًا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام عجزت أن أجمع بين الإسلام والتجارة فتركت التجارة. ما يحتاج.

فيتفكر الإنسان ويدرك أن الله عز وجل ما أغناه لحكمةٍ؛ رفقًا به، حتى لا يقدر على كل ما يريد، وحتى ما يتبع هواه، وحتى لا يقع في الإثم.

كذلك لو كان مريض، الإنسان مبتلى بالمرض، يذكر أن النبي ﷺ كان مِمْراضًا، كثير المرض، كثيرًا ما تفد عليه الأعراب تَصِفُ له الدواء من شجر البادية، فتُصَنِّعه **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فتعلمت الصيدلة من هذا، وتَعْجَب أن النبي ﷺ كذا ممراضًا ويقود الجيش بنفسه، ويتصدر الجيش، ويتقون به الصحابة إذا حمى الوطيس، من شجاعته وقوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأنت لك أسوة بالنبي ﷺ.

وبعدين: الله الحكيم العليم الذي خلقك، هو الذي أمرضك؛ لأنه في الأثر أن الله تعالى يقول: أنا طبيب عبادي، من عبادي من لا يَصْلُح له إلا الصحة ولو أسقمته لأفسدت عليه دينه، من عبادي من لا يصلح له إلا السَّقم ولو أصححته لأفسدت عليه دينه، من عبادي من

لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، أنا طبيب عبادي؛ فإذا كنت عندك شيء من المرض تحسه، وتعاطيت الدواء وما أذن الله عز وجل، ما تدري وين الخير فيه؟، فيُعوضك الله؛ لأن الأجر الذي تحصل عليه بالصبر يكون رفعةً للدرجات وحطًّا للخطيئات وكثرةً في الحسنات، يَحُول الله بسببه بينك وبين كثير من الشهوات والشبهات.

ومن العصمة ألا تَقْدِر.

ولما ذُكِر للنبي ﷺ قيل له: لو فتح الله عليك بلد كذا فعليك بابنة فلان، فإنها لم تُصَب بصداعٍ قط، قال: «**لا حاجة لي فيها**».

ومر عليه رجلٌ شديدٌ قويٌّ، فقال له النبي ﷺ: «**تعرف أم ملدم**؟» يعني الحمى، فقال: لا ما هي أم ملدم؟، قال: «**شيءٌ يأخذ بين العظم واللحم**»، قال: لا ما أعرفه، فلما انصرف قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا**».

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مثل المؤمن**» يعني في البلاء؛ «**كخامة الزرع**» عيدان الزرع مجتمعة، «**تفيئها الريح هكذا وهكذا تميلها**» يعني ما يصيب المسلم من الهموم والأحزان والأمراض هكذا، «**ومثل الكافر كالأرزة**»، الشجرة القوية الصلبة «**يكون انجعافها مرةً واحدةً**».

فالإنسان يتذكر، إن كان صحيحًا يتفكر في صحته، وإن كان مريضًا يتفكر في مرضه، فمهما كنت مريضًا في من هو أمرض منك، ومهما كنت صحيحًا فهناك من هو أصح منك، ومهما كنت فقيرًا فهناك من هو أفقر منك، ومهما كنت غنيًّا فهناك من هو أغنى منك؛ ولا تدري عن العواقب أيضًا.

كم منحةٍ في طيها محنةٌ، وكم محنةٍ في طيها منحةٌ.

قَـــدْ يُـــنْعِمُ اللهُ بِـــالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَـــتْ   وَيَبْتَلِـــي اللهُ بَعْـــضَ الْخَلْـــقِ بِـــالنِّعَمِ

فما تدري؛ فيما تحب أو ما تكره؛ سَلِّم لله عز وجل في قضائه، واصبر له على بلائه، واشكر له نعماءه. **نعم**.

الأدب الخامس عشر: الثَّبَات والتَّثَبُّت

تحل بالثبات والتثبت، لا سيما في المُلمَّات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وَطَيُّ الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من ثَبَتَ نبت.

الشرح:

يعني أول شيء تثبت، أن تعود نفسك التأني.

ومن ذلك: الأخبار، أن الأخبار إذا وردت عليك تسمعها وتحللها، ما تصدقها لأول وهلة، وما تردها لأول وهلةٍ، وإذا صحت عندك ما تُحَدِّث بها إلا بما فيه مصلحةٌ، وعند مَنْ يحتاج للحديث بها ويستفيد، أما من يُفْتَن بها فلا تحدثه، وإذا كان فيها مفسدةٌ عليك وعلى غيرك لا تتحدث بها، واثبت في حِلق العلم، وتلق العلم شيئًا فشيئًا مبتدأً بصغاره منتهيًا بكِباره حتى تكون من الربانيين.

فالتثبت مهم جدًا، عود نفسك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء:٩٤] فتَثَبَّوا، فالتبين والتثبت مهمٌ جدًّا.

كثيرٌ من الناس الآن عقله في أذنه، جاءه الخبر يُحلل ويُطلع، اصبر وتأمل.

ومن ذلك يعني كمثال بسيطٍ إذا صار ليلة (٢٩ من شعبان)، أو ليلة (٣٠ من رمضان) تجد في الجوالات: فلانٌ رأى الهلال، رُؤِي هلال كذا! صدر الحكم الشرعي؟، صدر بيان مجلس القضاء؟، اعتمده ولي الأمر؟، ليش الكلام هذا، إيش تستفيد؟، إذا جِئْت بخبرٍ ما صُدِّق إلى الآن، إيش الفائدة؟، خِفَّةٌ وعجلةٌ في أمرٍ شرعيٍّ، قد يسمع الإنسان كلامك ويثق

بك، وينوي إنه يُفطر بكره، ويصير فيه صيامٌ، رمضان لا بد تبيت له النية ولا لأ؟، فإذا تم الشهر وهو ناوي أنه يفطر بناءً على قولك، مشكلة هذه، فما يجوز هذا.

سَبْقَ الأحداث وترويج الإشاعات: مات فلان، صار كذا، صار كذا، ليش؟ إذا مرت بك الأخبار ما فيه مانع، استمع واحفظها معك، لكن حَلِّل وفكر، لا تُحدث، إذا ثبت عندك الشيء يقينٌ مثل الشمس، حَدِّث به من ينتفع به، من يحتاج إليه، ولا تحدث بكل ما تعلم.

كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمعه.

لا تُحدث من لا يعقل حديثك.

ما أنت بمُحَدِّثٍ قومًا حديثًا لا تكاد تبلغه عقولهم، إلا لكان لبعضهم فتنة.

لا تروج الإشاعات، لا تروج الأكاذيب، لا تكن سببًا في إيصال المعلومات المُحْزِنة للناس، خل غيرك: مات فلانٌ، ولي أمرٍ، عالمٌ، كذا، لا تكون أنت من تُبَشِّر به؛ اتركه، خله لغيرك.

لكن خبر به بُشرى، وثبت عندك، والناس يحتاجونه ويشتاقون إليه، بشرهم: فلانٌ طلع من المستشفى، الحمد لله. فلان رُزق ولدٌ اللي ما يجيه ولد عشر سنين وجاب الله الولد؛ ثبت عندك فبشر به.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «**إنما بعثتم مبشرين، ولم تبعثوا منفرين**».

وقال: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**».

فيتعود الإنسان الثِّقَل والثبات، والتأمل والتفكر، ولا يخرج منه كلام إلا لمصلحةٍ، ولَّا يكتم الكلام، فإنه يجوز تأخير البيان لوقت الحاجة، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، هذا أمرٌ مهمٌ جدًّا يعني.

وهذا يحتاج ممارسةً ورياضةً ومجاهدةً، تعود نفسك هذا الشيء، حتى أنك تعتاد هذا الشيء.

من صفة أصحاب النبي ﷺ أنهم ليسوا بالعُجل، متعجلين، وليسوا بالمذاهيل الذين يطيرون بكل خبرٍ، وليسوا بالبَذَرَة الذين يُلقون بالكلام على غير أهله، على من لا يستفيد من الكلام، أو على من لا يستوعب الكلام، أو على من يَتضرر ويَفتتن بالكلام، هذه سيرة السلف ليسوا بالعُجل، وليسوا بالمذاهيل، وليسوا بالبَذرة، فيتكلمون على قدر الحاجة، وإذا دعت الحاجة، بالأسلوب القريب السهل، وبالذي يفيد ولا يضر، فإذا كان يضر ؛ لا؛ لا تتحدث، ولو صدق؛ له عقلٌ؛ فهكذا يكون الإنسان.

وهذا يحتاج إلى ممارسة ومجاهدة؛ العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتصبر يصبره الله، وهكذا.

وللحديث صلة إن شاء الله. والله أعلم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

المجلس الثالث في شرح الحلية

القارئ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف -رحمه الله تعالى وإيانا-:

الفصل الثاني: كيفية الطلب والتلقي

الأدب السادس عشر: كيفية الطلب ومراتبه

من لم يُتقن الأصول، حُرم الوصول، ومَنْ رَام العلم جملةً، ذهب عنه جملةً، وقيل أيضًا: ازدحام العلم في السمع مَضَلَّةُ الفهم.

وعليه، فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، أخذًا الطلب بالتدرج.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٢١].

فأمامك أمورٌ لابُدَّ من مُراعاتها في كل فَنٍّ تَطْلُبه:

أولها: حِفظ مُخْتَصَرٍ فيه.

ثانيها: ضبطه على شيخ متقن.

ثالثها: عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

رابعها: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

خامسها: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

سادسها: جَمْعُ النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرك للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابِلَةٍ مُوْثَقَةٍ.

وكان من رأي ابن العربي المالكي ألا يخلط الطالب في التعليم بين عِلمين، وأن يُقَدِّم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن، لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تُساعد على هذا، وأن المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحِجْر ينقاد للحُكم، فإذا تجاوز البلوغ صَعُب جَبْرُه.

أما الخلط في التعليم بين عِلمين فأكثر، فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط.

وكان من أهل العلم من يُدَرِّس الفقه الحنبلي في «زاد المستقنع» للمبتدئين، و«المقنع» لمن بعدهم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فالمؤلف يُبين في هذا الفصل طريقة التلقي، وأن الأصل في ذلك بأن يوطن طالب العلم نفسه على ذُلِّ التَّعَلُّم، وعلى طول النفس، وسعة الصدر بحيث أنه يتلقى العلم تدريجيًا، يبدأ من أدناه ويترقى فيه؛ حتى يصل أعلاه، كما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾

[آل عمران:٧٩] أي: تُعَلِّمون الناس صِغار العلم قبل كباره، والمعنى: تتدرجون في تعليم الناس.

فهكذا طالب العلم يتدرج في التعلم، ولذلك جرت عادة المصنفين – رحمة الله عليهم – في العلم الشرعي أنهم يقسمون المُصَنَّفات إلى كُتُبٍ وأبواب وفصول ومسائل وتنبيهات وتذييلات وتفريعات وإلى ما غير ذلك، من فنون التأليف التي يُراد منها أن تتمايز مسائل العلم الواحدة عن الأخرى؛ حتى تُفهم كل واحدةٍ منها على حده، وأن يشعر طالب العلم بتجدد النشاط وهو يقطع العلم مرحلةً بعد أخرى.

وكذلك قسموا فُنون العلم بحسب الأهمية، فابتدأوا:

بأصول الاعتقاد، مصنفات في العقيدة وأفردوها في كُتُبٍ مستقلة.

ثم ذكروا **العبادات العملية** ورتبوها بحسب الأهمية: فابتدأوا **بالصلاة** ثم **الزكاة** ثم **الصوم** ثم **الحج والجهاد**.

ثم **المعاملات**: ذكروا البيوع والشركات وما يتعلق بذلك.

ثم **نظام الأسرة**: النكاح والطلاق والرجعة والنفقات والعدد ونحو ذلك.

ثم **الحدود**.

ثم بعد ذلك ما يتعلق **بالقضاء** وما يتعلق به.

فهكذا فَصَّلوا العلم، حتى يُفهم بالتدريج، فيقول لك أنه من أفضل شيء: إن طالب العلم يأخذ متنًا من المتون المختصرة في فنٍّ من الفنون، يبدأ مثلًا في العقيدة، يأخذ متنًا مختصرًا في العقيدة، ثم يأخذ متنًا في الفقه، متنًا في أحاديث الأحكام، متنًا في كذا، بحيث يتدرج شيئًا فشيئًا.

مختصر يقرأه على شيخ متقن، بحيث يصحح له الغريب من الألفاظ، ويصحح له التصحيح الخطأ الكتابي أو المطبعي، ويُوضح له المُشكل، ويُفصل له المجمل، ويُقيد له المطلق، ويأخذ هذا بالتدريج شيئًا فشيئًا، فإن لذلك فوائد:

منها : أنه إذا حفظ هذا المتن صار عنده قاعدة في هذا الفن من العلم، صار له أصل عنده أصل في هذا الفن.

ومن ذلك: أن تتوثق صلته بهذا الفن، ثم يترقى منه إلى ما هو أعلى.

ومن ذلك: أنه يتنبه للمهمات في هذا المتن؛ لأن المتن فيه شيءٌ مهمٌ وفيه شيءٌ دون ذلك، يصير يتأسس أنه يَعرف المهمات، والتي تحتاج إلى تَوَسُّع وإلى مزيد من العناية، وهكذا.

ومن ذلك: أنه يُقيد بعض الجمل التي تُعجبه ويرى فيها تأصيلًا أو يرى فيها اختصارًا لجُمل من العلم، أو مفاتيح للعلم.

يقوم بهذه الطريقة: يأخذ متن مختصر في العقيدة، ثم ما هو أوسع منه، ثلاثة متون على الأقل، وهكذا في الفنون الأخرى.

وهذا يحتاج طول بال وسعة صدر، وطول مُدَّة.

ولذلك العلماء – رحمة الله عليهم – كانوا يلازمون المشايخ عشر سنوات، عشرين سنة، كل هذا في الطلب والتلقي، ولا يتخرج إلا بعد العشرين أو الخمس وعشرين، مع أنهم يقرؤون على أكثر من شيخ، فلذلك عندهم سعة بال وطول نفس.

وقد قيل:

أخـي لـن تنـال العلـم إلا بسـتة ... سـأنبيك عـن تفصـيلها ببيـان
ذكـاءٌ وحـرصٌ واجتهـادٌ وبُلْغَـةٌ ... وإرشـاد أسـتاذٍ وطُـول زمـانٍ

وبُلْغَةٌ -أي نفقة-.

والربيع تلميذ **الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لزمت الشافعي ثمان عشرة سنة.

وإلى الزمن القريب يأخذون يعني عشر سنوات خمس عشرة سنة عشرين سنة وهم يتلقون، بل بعضهم أطول من ذلك.

فلذلك لا بد من طول النفس، وسعة الصدر، طول البال، والحرص.

فتأخذ عند شخص من المشايخ له اهتمام بالعقيدة متن في العقيدة.

وآخر شهرته وإتقانه في الفقه أكثر متن في الفقه.

وثالث في أصول الفقه والقواعد الفقهية كذلك.

وفي النحو والصرف، تأخذ متن كذلك.

في مفردات اللغة يكون عندك أو لك عدة شيوخ، كُلٌّ في فَنٍّ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، والناس ما هم على درجة في التحصيل وفي الفنون، كل يُجيد ما لا يُجيد غيره، ويُفوته أو لا يُحسن ما يُحسنه غيره، فلا بد من هذا.

ويبين لك ما عليه أهل العلم – رحمة الله عليهم – في نجد، في السنين الماضية منذ دعوة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** أو قبل ذلك، إلى هذا الزمن القريب؛ على طريقة في التعليم ما يُبينه لك الآن. **نعم**.

وكان من أهل العلم من يُدَرِّس الفقه الحنبلي في زاد المستقنع للمبتدئين، والمقنع لمن بعدهم للخلاف المذهبي، ثم المغني للخلاف العالي.

الخلاف المذهبي: يعني الخلاف في المذهب، الوجوه في المذهب.

والخلاف العالي: هو الخلاف بين المذاهب، بين المذهب الحنبلي والشافعي والمالكي والحنفي، وهكذا يعني. **نعم**.

ولا يُسْمَحُ للطبقة الأولى أن تَجْلس في دَرْس الثاني وهكذا دفعًا للتشويش.

يقول لك أنه كان في الزمان الماضي يشترطون لابتداء الطلب حفظ القرآن، ما يجلس في حلقة الطلب إلا بعد أن يحفظ القرآن، فإذا استنكر الشيخ صوت القارئ قال: من؟ قال: فلان؛ عَرَف أنه جديد، قال: حفظت القرآن؟، قال: لأ، قال: احفظ القرآن، فيترك الحلقة ويذهب إلى محفظ القرآن في جانب من المسجد، ثلاث أشهر أو سنة ويحفظ القرآن كاملًا ويعود إلى الحلقة، أما الآن يقول أنهم اكتفوا بتجويد التلاوة، أنه يفترض في طالب العلم أن يكون جَوَّد التلاوة نظرًا، صاروا يتساهلون نظرًا لعُزوف كثيرٍ من الشباب عن الطلب، فلذلك صاروا يتساهلون ويَقبلون الطالب على عِلَّاته وعواهنه، ويقولون يهتم فيما بعد؛ أن طلبه العلم يُؤثر في صاحبه الرغبة في العلم، وبعدين هو يهتم في حِفظ القرآن. **نعم**.

واعلم أن ذِكْرَ المختصرات والمطولات التي يُؤسس عليه الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالبًا من قُطرٍ إلى قطرٍ باختلاف المذاهب.

من ذلك أنه من طريقتهم في الحِلق تُقرأ عليهم المتون، المتون تُقرأ على المشايخ، ويُبدأ بالمتن المُختصر الأقل الأدنى للمبتدئين، فإذا انتهى دَرْسُهم قاموا، ثم المتوسطون مَتنٌ لهم، ثم الأَعْلُون لهم متنٌ.

وأما الكتب المُطولات والشروح المُفصلَّة فهذه تُقرأ في حلقاتٍ خاصةٍ بالكبار، كبار الطلبة، يصير في وسط الضحى، يصير بعد الظهر، بعد العصر، أما الحلق اللي في أدبار الصلوات فهذه في الغالب تكون للمبتدئين والعامة والمتوسطين. **نعم**.

واعلم أنَّ ذِكْرَ المختصرات والمطولات التي يُؤسس عليه الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالبًا من قُطْرٍ إلى قطرٍ باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القُطر من إتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره.

والحال هنا تختلف من طالبٍ إلى آخر باختلاف القرائح والفُهوم، وقوة الاستعداد وضعفه، وبُروده الذهن وتَوَقُّده.

وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأَخْذِ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد.

مرحلة الكتاتيب اللي هي الكتاب يكون فيه إنسانٌ يُعَلِّم الصغار والشباب، يُعلمهم حروف الهجاء، القاعدة البغدادية وما أشبه ذلك، ويُعلمهم الأمور الضرورية من ناحية كيفية الوضوء، كيفية الصلاة الأمور الضرورية التي يحتاج إليها ابن سبع سنين وابن عشر سنين.

ثم بعد ذلك يلتحقون بحِلق الطلبة؛ أما الأول يُعلمهم الكتابة، والقراءة، هذا الكتاب ويُعلمهم قصار السور، قصار المُفَصَّل التي لا بد منها في الصلاة، بعد ذلك يلتحقون في الطلب بحلق العلم، يصيرون مبتدئين، يسمونهم مبتدؤون. **نعم** ..

وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد: للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المُتمكنين.

ففي **التوحيد**: ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –، هذا في **توحيد العبادة**.

وفي **توحيد الأسماء والصفات**: العقيدة الواسطية، ثم الحموية، والتدمرية ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –، فـ الطحاوية مع شرحها.

وفي **النحو**: الأجرومية، ثم مُلحة الإعراب للحريري، ثم قَطْرُ الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عَقِيل.

وفي **الحديث**: الأربعين للنووي، ثم عُمدة الأحكام للمقدسي، ثم بلوغ المرام لابن حجر، و المنتقى للمجد ابن تيمية – رحمهم الله تعالى –، فالدخول في قراءة الأُمَّات الست وغيرها.

وفي المصطلح: نخبة الفكر لابن حجر، ثم ألفية العراقي - رحمه الله تعالى -.

وفي الفقه مثلًا: آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستنقع للحَجَّاوي - رحمه الله تعالى -، أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبي.

آداب المشي إلى الصلاة فيها ذِكْر العبادات الأربع: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، لكنها اشْتُهِرت بآداب المشي إلى الصلاة. **نعم**.

ثم المقنع للخلاف المذهبي، والمغنى للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة - رحمه الله تعالى -.

وفي أصول الفقه: الورقات للجُويني - رحمه الله تعالى -، ثم روضة الناظر لابن قدامة - رحمه الله تعالى -.

وفي الفرائض: الرحبية، ثم مع شروحها، والفوائد الجلية.

وفي التفسير: تفسير ابن كثير - رحمه الله تعالى -.

وفي أصول التفسير: المقدمة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -.

الرحبية أكبر من الفوائد الجلية وأَعْقَد، لكن الفوائد الجلية ما وجدت إلا متأخرة؛ لأنها من تأليف سماحة شيخنا الشيخ **عبد العزيز ابن باز** رحمة الله عليه، لو كانت موجودة قبل لكانت هي قبل الرحبية، منظومة الرحبية وشرحها. **نعم**.

وفي السيرة النبوية: مختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفيه زاد المعاد لابن القيم - رحمه الله تعالى -.

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها، كـ المعلقات السبع، والقراءة في القاموس للفيروز آبادي - رحمه الله تعالى - ....

وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولات؛ مثل تاريخ ابن جريرٍ، وابن كثيرٍ، وتفسيريهما.

وكانوا نفس الشيء يعني، يعني كان أحد يصير في الفقه، معروف أنه يُؤخذ عنه الفقه عمومًا، وأحد يُدَرِّس الإعراب واللغة مفردات اللغة والتصريف، وأحدٌ يُدَرِّس أصول الفقه وقواعد الفقه، يعني تَخَصُّصات، وأحدٌ يُدَرِّس الفرائض خاصةً إنسان مشهورٌ بالفرائض، كانوا يقرؤون على كل أحدٍ فيما يُحسنه. **نعم**.

ويركزون على كُتُب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالى -، وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم - رحمهم الله تعالى -، لاسيما مُحَرَّراتهم في الاعتقاد.

وهكذا كانت الأوقات عامرةٌ في الطلب، ومجالس العلم، فبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قُبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تُعقد الدروس، وكانوا في أدبٍ جَمٍّ وتقديرٍ بعزة نفس من الطرفين على منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى -؛ ولذا أدركوا وصار منهم في عِداد الأئمة في العلم جمعٌ غفيرٌ، والحمد لله رب العالمين.

وكانت الدروس في الرياض بعد الفجر، وبعد طلوع الشمس، ثم يَفْصِلون فصلًا قصيرًا، ويَرُوح الشيخ للبيت وكذا، ثم يُواصلون إلى قُبيل الظهر.

وفي الصيف: يقيلون قبل الظهر، يكون فيه دروس خاصة، خاصَّة الطلبة بعد الظهر، كذلك بعد العصر فيه دروس إلى قبيل غروب الشمس، وبين العشاءين فيه دروس عامة، وبعد العشاء يكون فيه دروس خاصة بخَوَاص الطلبة، والغالب أنه في بيت الشيخ أو في أحد بيوت الأعيان وأهل الفضل، كانوا على هذه الطريقة. **نعم**.

فهل من عودةٍ إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة، لا على المُذَكِّرات، وفي حِفْظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب فلا حِفْظ ولا فَهْم!

يعني: ما تُرِكت الحِلق هذه إلا لَمَّا فُتحت المعاهد العلمية، أول ما فُتح معهد إمام الدعوة؛ لأن شيخ المشايخ في ذاك الوقت الشيخ **محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ** -رحمة الله عليهم-، وهو المرجع في الفُتيا وفي القضاء وفي الحسبة، فكان تزاحم عليه الشغل؛ وجعل له نُوَّابًا من كبار الطلبة، نواب في القضاء، ونواب في التعليم، ونواب في الحسبة، ونواب في الإفتاء، فاتسع الأمر؛ ففُتِحت المعاهد العلمية في حدود عام ١٣٧٠ ، ونُقل الطلاب من المسجد إلى المعهد، فقُيِّمُوا على مستوياتٍ؛ يعني يُمْتِحِنُوا؛ منهم من جُعِل في المستوى الأول من المعهد، ومنهم في المستوى الثاني الأعلى، ومنهم في المستوى الثالث على حسب التقييم، وكان الطلبة عارضوا فكرة المعهد والدُّروس النظامية؛ يُريدون البقاء على ما كان، على الأصل الأول، فعارضوا، واشتدوا في المعارضة، يعني أبدوا عدم الرغبة في هذا، فاعتذر لهم الشيخ وقال: إني شُغِلْت، وإذا إنكم ما تدخلوا المعهد فسأترك الحلقات، وأَلْزَمَهُم بأن ينضموا إلى المعهد، وعَيَّن في المعهد مسؤولين إداريين من خاصته، وعَيَّن فيه أساتذة من خاصته، كان من الأساتذة من هو يَدْرُس ويُدَرِّس؛ يكون من المستوى العالي يَدْرُس، ومن المتوسط والذين دُونَه يُدَرِّسُ فيه من طلبة الشيخ، ثم تُوُسِّع في المعاهد، وتُركت الدروس الصباحية يعني في الضحى وفي الظهر اكتفاءً بالدراسة النظامية في المعاهد العلمية، ثم فُتحت الكليات الشرعية كذلك، وتُوُسِّع في هذا واستُغني به، وصارت الحَلَقَات في المساجد مُساعِدة متاحة لمن أراد الاستفادة في أول النهار وفي آخره لمن عنده وقت، وإلا صار الأصل هو الدراسة النظامية الشرعية.

كان من سياسة الشيخ محمد – رحمة الله عليه – أيضًا أنه ما سَمَحَ بفتح كلياتٍ في مناطق المملكة، مثل القصيم، ومثل صامتة، ومثل مكة، والمدينة مع وجود طلبة فيها، طلبة علمٍ وعلى مستوى، لكن أراده أن يجتمعوا عنده في الرياض حتى يُشْرِف عليهم ويُرشح منهم

القضاة والمفتين والأساتذة والمحتسبة وإلى غير ذلك، كانوا يكاتبونه من مناطق يطلبون أن يُوجد عندهم كلية، فكاتبوه من القصيم، قالوا: إنا لا نستطيع أن نأتي إلى الرياض ونطلب العلم في الرياض، نريد أن يُفتح عندنا كلية، فرد عليهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: طلبكم وجيه، ولكن ليس بالإمكان تحقيقه، صاروا إذا تخرجوا من هناك يأتون ويُسجلون في كلية الشريعة، حتى إن الشيخ يتابعهم ويُتابع الأساتذة وخواص الطلبة ويسألهم: من يصلح للقضاء؟ من يصلح للفتيا؟ من يصلح للتدريس؟ من يصلح للحسبة؟. وهكذا. **نعم**.

وفي خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر، سير على منهاج السلف؟ والله المستعان.

وقال الحافظ عثمان بن خُرَّزاد - رحمه الله تعالى -: يَحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عُدمت واحدة؛ فهي نقصٌ، يحتاج إلى عقلٍ جيدٍ، ودينٍ، وضبطٍ، وحذاقةٍ بالصناعة، مع أمانةٍ تعرف منه.

قلت: (أي الذهبي) الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحِذْق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقيًّا، ذكيًّا، نحويًّا، لغويًّا، زكيًّا، حييًّا، سلفيًّا يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، ويُحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد، وألا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنيةٍ خالصةٍ، وتواضعٍ، وإلا فلا يَتَعَنَّ انتهى.

فهم كانوا يَحرصون على أن يتعلموا آيات الأحكام، وهي تقدر بخمسمائة آية، وكذلك أحاديث الأحكام تقدر بخمسمائة حديث، فمن دَرَسَ هذه الآيات والأحاديث، وعرف الخلاف، صار أهلًا للقضاء وللفتيا وللتعليم. **نعم**.

الأدب السابع عشر: تَلَقِّي العلم عن الأشياخ

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمُثَافَنَة للأشياخ، والأَخْذِ من أفواه الرجال لا من الصُّحف وبطون الكتب.

الشرح:

لأن هذا العلم دين، تلقاه النبي ﷺ عن جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وجبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تلقاه عن الله -جل وعلا-، فهذا سَنَدٌ للعلم، ثم تلقاه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ، تلقوه علمًا وفهمًا وعملًا وتطبيقًا، هكذا تلقيه.

فكان حفظًا؛ كل العلم حِفْظٌ، ولم يُكتب منه إلا القليل، لأسباب:

منها خشية أن يختلط الحديث بالقرآن.

ومنها خشية أن يَشتغل الناس بالحديث عن القرآن.

ومنها خشية التوسع في الكتابة فيُكتب غير القرآن وغير الحديث.

فالمقصود أنه صار العلم يُتلقَّى تلقيًّا؛ بالتلقين.

قال **أبو عبد الرحمن السُّلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن** -يعني عثمان بن عفان وأبي بن كعب وعمر بن الخطاب-، **أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن، لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل.**

ولذلك قارئ القرآن في ذلك الوقت كان فقيهًا في القرآن، ففقهه بحسب أَخْذِه من القرآن، كلما زاد أَخْذُه من القرآن زاد فقهه، واشتهرت إمامته.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله**»، فأقرأهم في عُرْف الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعُهم للقرآن وأحفظهم له، يعني أكثرهم حفظًا وأعلمهم بمعانيه، هكذا، ما

كانوا يعرفون قراءة القرآن تلاوةً فقط، بل هذه مما ذَمَّ بها اللهُ أهل الكتاب، أنه لما كان عِلْمهم بالكتاب إلا أمانيَّ، يعني: إلا تلاوة، فكان يُذم من يقرأ القرآن وهو لا يفقه معناه، كان يذم.

ولذلك يُقدم الطفل المُمَيِّز ابن سبع سنين أو عشر سنين لكثرة ما أَخَذَ من القرآن أكثر من الكبار، ولِفقهه فيما أخذ من القرآن، فيُقدم لفقهه لا لكثرة حفظه أو لحُسن تلاوته مثل ما يُعرض اليوم؛ لأ، لِفقهه في القرآن وفهمه له.

فمعني قول النبي ﷺ يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله يعني: أعلمهم بكتاب الله وأحفظهم وأفقههم فيه، هذا المعنى وهذا الذي كان في عُرْف الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فالمقصود أن العلم الشرعي تُلُقِّي بالتلقين من الشيوخ للمُتعلمين، فأُخِذ بسنده، ولذا تجدون في تراجم أهل العلم يقال: أَخَذَ العلم عن فلانٍ، وفلانٍ، وفلانٍ، وفلانٍ، وأَخَذَ عنه أي تَلَقَّى عنه: فلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ.

مَنْ لم يُعرف بالتلمذة على شيخ لا يُعْتَدُّ بعلمه، ولا يُوَلَّى مسؤوليةً شرعيةً أبدًا، لا فتيا ولا قضاء ولا تعليم ولا غير ذلك، ما يُوثَق بعلمه أبدًا.

ولما وُجِد التأليف واشتغل الأئمة بجَمْعِ العلم وتدوينه، صار يُتَلَقَّى العلم عن مُؤَلِّفه؛ يُقرأ العلم في كتابه الذي أَلَّفه، فيُقرأ **صحيح البخاري** على البخاري رَحِمَهُ اللهُ: حدثكم فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال كذا، وحدثكم فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ بكذا، وفلان عن فلان بكذا، فإذا سكت الشيخ فهو الإقرار والموافقة، وإذا كان فيه لبسٌ أو تصحيف في الكتابة أو خطأ في النسخ تقديم أو تأخير أو في المتن، اعترض الشيخ؛ قال: لا. فكان يُقرأ الكتاب على الشيخ، ولهذا بعدما يُقرأ الكتاب على الشيخ يُجيز الشيخ للتلميذ أن يَرْوِي عنه كتابه كتابًا أو أكثر، ما قرأ عليه وأتقنه وقرأه يُجيز أن يُحدث به ويرويه عنه، هذه الإجازة العلمية، فكانوا جمعوا بين القراءة وبين الكتابة، ومن ذلك أنه يَقرأ كتاب الشيخ عليه

ويَنسخ له نسخةً من الكتاب -كتاب الشيخ- ويقرأه عليه ليُوثق النسخ، وهكذا؛ ومَنْ أَلَّف كتابًا أجاز به خاصة طلبته بعد أن يقرؤوه عليه، ويطمئن لضبطهم في الكتابة ولفَهْمِهم في القراءة، ولمعرفتهم بأسلوب ومراد الشيخ ونحو ذلك، فيُجيز لهم في مروياته التي كَتَبَها عن شيوخه، بل كان كل ما يُقرأ على الشيخ ويَحضره خواص الطلبة، يُجيز الشيخ كل يوم ما كُتُب، يُتَّخَذ محضر بأنه قُرأ على الشيخ كذا وكذا، وحضر القراءة عليه: فلان وفلان وفلان ويُضْبط حضورهم، منهم مُتَابِعٌ يُثْبَتُ متابعته، والذي اشتغل بالحديث مع صاحبه يُثبت انشغاله، والذي اشتغل في بري القلم والدواة والحبر يُثبت عليه هذا، حتى في نهاية الكتاب يُتخذ محضرًا بأنه قرأ هذا الكتاب على الشيخ فلان وفلان، سَمِعه قراءة عليه فلان وفلان، فات فلان وفلان مما قُرئ على الشيخ باب كذا أو مسند كذا، حَضَرَ قراءة الكتاب على الشيخ مسند كذا ومسند كذا وباب كذا وباب كذا، وفي نهاية كل كتابٍ يُوَقِّع الشيخ على ما كَتَبَهُ المُراقبون المُلاحظون للطلبة، حتى أنه إذا روى عن شيخ في المستقبل وله مسندٌ ومثبتٌ، لو زَلَّ قيل له: أنت ما قرأت على الشيخ وما سمعته، من ضبطهم للعلم. **نعم**.

والأول من باب أَخْذِ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المُعلم، أما الثاني عن الكتاب، فهو جمادٌ، فأنى له اتصال النسب؟

وقد قيل: مَنْ دَخَل في العلم وحده، خرج وحده، أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخٍ، خرج منه بلا علمٍ، إذ العلم صنعة، وكل صنعةٍ تحتاج إلى صانعٍ.

لأنه إذا قَرَأَ على شيخ: **أول شيء** أنه يُصحح التصحيف، الخطأ الكتابي أو المطبعي.

والشيء الثاني: أنه يبين المعنى الغريب واللفظة الغريبة ويش معناها.

والثالث: أنه يفسر المشكل اللفظ المشكل يُفسر.

والرابع: أنه يُبين فقه النص من الآية أو الحديث.

يكون الطالب تابع مع شيخه من أول الكتاب إلى أخر الكتاب، وما فاته لو قُدِّر أنه مرض أو ما حضر يُتابع مع زملائه، ولهذا يكتبون كل يوم بنهاية القراءة (بلغ)، يعني أنه وصلت القراءة إلى هذا، ويكتب التاريخ، ما يُضيفه الشيخ من أشياء يحتاجونها يُقيدوه. **نعم**.

فلا بد إذًا لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمةٍ من أهل العلم، إلا مَنْ شَذَّ مثل: علي بن رضوان المصري الطبيب، وقد رَدَّ عليه علماء عصره ومن بعدهم.

يعني ان الذي أَخَذَ العلم عن الكتب أفراد قلائل يُعتبرون شاذين عن المجموعة، لا يُأبه لهم، ولا يُعتد بهم، ولا يُؤخذ عنهم، ولا يعتبرون في الطلب، فكان يُقرأ الكتاب على الشيخ، كتاب الشيخ أو كتاب غيره، بحيث أنه يُؤمن الغلط والشطط في الفهم وغير ذلك.

لذلك لأهل العلم كلامٌ يُحذرون من تشييخ الكتاب.

والشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخشى ما أخشى تشييخ الصحيفة.

ويقولون: من كان دليله كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه. إلى غير ذلك من مأثور كلامهم في هذا الشأن. **نعم**.

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - في ترجمته له: ولم يكن له شيخٌ، بل اشتغل بالأَخْذ عن الكتب، وصَنَّف كتابًا في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلطٌ انتهى.

وقد بَسَطَ الصفدي في الوافي الرد عليه، وعنه الزَّبِيدي في شرح الإحياء عن عددٍ من العلماء مُعَلِّلين له بعدة علل، منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه.

السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تَصُدُّ عن العلم، وهي معدومةٌ عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة

بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يُقرأ، وقراءة ما لا يُكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسُقْم النُّسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذِكْر ألفاظٍ مصطلحٍ عليها في تلك الصناعة.

يعني مثلًا أنه كانوا في الكتابة يكتبون بدل ﷺ (ص)، يعني: هم يقولونها لفظًا، لكن اختصارا يكتبونها (ص) وما معناها إن (ص) تجزئ، لأ، لكن هذه إشارة يعني، إذا وجدتها تعلم أن معناها ﷺ في الحديث، فالذي ما يعرف هذا ما يدري أيش معنى هذا الحرف.

كذلك ضَبْط الأسماء، اسمه حَبَّان أو حِبَّان، ما في الصحابة من اسمه حِبَّان أو التابعين، بل ولا في تابعي التابعين يُعرف هذا؛ لأن الكتابة في ذلك الوقت ما كانت مشكولةً ولا منقوطةً، لأ، يجعلون علامة على الشَّكل، ولذلك يقولون: الحاء مهملة، والجيم معجمة، والتاء بالفوقية، والياء بالتحتية، هذا ما فيه نُقَط، الاسم أحيانا يقال بالتصغير، عامر عويمر مثلًا، يُفرقون بينها، فهذه تحتاج إلى أن الإنسان يقرأ على الشيخ حتى يبين له هذه الأمور والمصطلحات، وإلا يفهمها على غير المراد، ويقول الاسم من غير ضبط، والكلمة الغريبة من مفردات اللغة، غريبة في اللغة، ما هي مستعملة بكثرة، ما يدري ما معناها.

مهمة الشيوخ في القراءة عليهم تدور على هذا:

تصحيح التصحيف يعني الخطأ الكتابي، تصحيح الاسم، بيان اللفظة الغريبة، المفردة الغريبة في اللغة، بيان المعنى الإجمالي، الفقه المستنبط من النص، حكم واحد أو اثنين، الإشارة إلى الخلاف: المسألة فيها الخلاف والراجح كذا، فيها قولان والراجح كذا، فيها ثلاث أقوال لفلان وفلان والراجح كذا، فكانت هذه طريقتهم جميعًا، ما هم يُسهبون في الكلام ولا يُفصلون؛ لأن هذا يُؤخذ بالتدريج، فيتعلمون بالتدريج. **نعم**.

وذِكْر ألفاظٍ مصطلحٍ عليه في تلك الصناعة، وألفاظٍ يونانية لم يُخْرِجها الناقل من اللغة، كالنوروس، فهذه كلها مُعَوِّقةٌ عن العلم، وقد استراح المُتعلم من تكلفها عند قراءته على المُعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه.

من أهم ما في القراءة على المشايخ المِراس، بحيث أن الإنسان يُتقن النطق بالعربية ولو ما حَفِظ القواعد؛ لأنه من الممارسة يُتقن النطق بالعربية، ويكون أتقن من الذين يحفظون القواعد النحوية، وهذه فائدةٌ كبيرةٌ جدًّا. **نعم**.

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صُحَفِّيٍ ولا من مُصْحَفِيِّ،

صحفي يعني، صاحب الصحف، الوَرَق.

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صُحَفِّيٍ ولا من مُصْحَفِيِّ، يعنى: لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أَخَذَ ذلك من الصحف. انتهى

والدليل المادي القائم على بطلان نظرة ابن رُضوان: أنك ترى آلاف التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومر الأعصار وتنوع المعارف، مشحونةً بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومُسْتَقِلٌّ من ذلك ومستكثرٌ، وانظر شذرةً من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في العزاب من الإسفار لراقمه.

يعني: أن بعض الأئمة تَلَقَّى العلم عن ألف شيخٍ؛ عن طريق الرحلة في طلب العلم، طَوَّف في الأمصار في: بغداد، والمدينة، ومكة، واليمن في صنعاء، وفي دمشق، وفي مصر، وفي الأندلس، وفي أصفهان وغير ذلك، طوفوا في الأمصار، وتلقوا عن الشيوخ مَرْوِيَّاتهم، وأخذوا إنجازاتهم في الفنون المختلفة. **نعم**.

وكان أبو حيان محمد يوسف الأندلسي إذا ذُكِر عنده ابن مالكٍ، يقول: أين شيوخه؟.

وقال الوليد: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريمًا يَتَلَاقاه الرجال بينهم، فلما دَخَلَ في الكتب، دخل فيه غير أهله. وروى مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي.

ولا ريب أن الأخذ من الصُّحُف وبالإجازة يقع فيه خللٌ، ولا سيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نَقْطٌ ولا شَكْل، فتتصحف الكلمة بما يُحيل المعنى.

ولذلك كان بعض الشيوخ مع حِفظه وإتقانه لا يُحَدِّث إلا من كتابه الذي تلقاه عن شيوخه؛ لأنه استنسخ من نُسْخَةِ شيخه نسخةً له، قرأها عليه وصححها له الشيخ، فلذلك يُحدث الشيخ من كتابه، أو يُقرأ عليه كتابه وهو يسمع ويُقر، ولَمَّا أنه اختلط بأخرة يعني: هذر لكِبر سنه، أو فُقدت كتبه بسرقةٍ أو بحريقٍ، صار يُحدث من حفظه، فأُخذ عليه الخلط والوهم، فذكروا أنه: مَنْ روى عن تلاميذه قبل اختلاطه فروايته صحيحة، ومن روى عنه بعد اختلاطه فروايته محل نظرٍ، لابد من وجود شاهدٍ ومتابعةٍ.

ومثل ذلك: إذا حدث من حفظه يكون فيه نظرٌ في حديثه، وإذا حدث من كتابه صحيح، ولذلك يقولون: فلان صار يتلقن، يعني يُحَدِّث من حفظه ويُلقن بعض الشيء فيأخذه يَظُن أنه من كتابه أو من حِفظه.

لما اختلط، أو لما فقد كتبه، أو نحو ذلك. **نعم**.

ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نَقْطٌ ولا شَكْلٌ، فتتصحف الكلمة بما يُحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأَخْذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتابٍ محررٍ. انتهى.

ولابن خلدون مبحثٌ نفيسٌ في هذا، كما في المقدمة له.

ولبعضهم:

مـــن لـــم يُشـــافه عالمًـــا بأصـــوله فيَقِينُـــه في المُشْـــكِلات ظنـــون

ولذلك كل شيخ يُحدث من كتابه، كتابه رواه عن شيخه، قراءةً عليه؛ أنه هو يقرأ على الشيخ، أو يقرأ غيره: قراءته عليه وهو يسمع، والشيخ يُتابع من كتابه، فتجد أن الكتاب له سندٌ، كم **لصحيح البخاري** من سندٍ، كم رواه عنه من شخص؟

تجد عدة أسانيد، تختلف أحيانا النسخ بحسب الأسانيد، ولذلك يقولون: أصح شيء رواية كريمة لصحيح البخاري.

فالمقصود أن كلًّ يذكر سنده في كتابه إلى شيخه، فيكون بينه وبين الشيخ واسطة، واسطتين، ثلاث، أربع، وأحيانًا يكون لأ هو رواه عن الشيخ مباشرةً؛ قرأه على الشيخ، أو قُرأ على الشيخ وأجازه، والناس كلهم الحُضور يتابعون من نفس النسخة، كل واحدٍ أخذ من نُسخة الشيخ نسخةً كتبها لنفسه، ويقرأ على الشيخ وهم يتابعون في نسخهم. **نعم**.

وكان أبو حيان كثيرًا ما ينشد:

يظـــن الغَمْـــر أن الكُتْـــب تهـــدى أخًـــا فهـــم لإدراك العلـــــوم

ولذلك لما أنه صار الحرص على الإجازة في المرويات، إلى وقتنا القريب هذا، صار دخل في الأسانيد من لا يُعرف أو من لا يُوثق به، لكونه من أهل البدع، عَوَّض الله عز وجل عن ذلك بالتحقيق، تحقيق المخطوطات، أنه يُجمع لأصل الكتاب عدة مخطوطات، عدة نُسخ، ويُوثق الكتاب من مجموع المخطوطات، ويُقارن بينها، صار تحقيق المخطوطات ينوب عن السند؛ لأن المقصود أمران:

الأول: تحقيق ثبوت الكتاب عن صاحبه، أن هذا هو كتاب فلان: كتاب البخاري، كتاب مسلم، هذا الذي يُراد؛ التحقيق قام مقام هذا، لم قُورن بعدة نُسخٍ مكتوبةً في زمن المؤلف أو بعده، يصير تُوُثِّق من نِسبة الكتاب إلى مؤلفه.

والشيء الثاني: أنه الشيخ أجاز الكتاب هذا، بحيث أنه قُرئ عليه وهو يسمع، فأجازه أو استدرك عليه أو غير ذلك.

وأنا سمعت الشيخ عبد العزيز – رحمة الله عليه – يهون بشأن الإجازات المعاصرة لسببين:

أول شيء: أنه طول الإسناد، أنه طال الإسناد، صار فيه ثلاثة عشر إلى خمس عشر رجل.

والثاني: أنه دَخَل الإسناد من لا يُعرف، أو من هو مِن أهل البدع، ترويه عن هنديٍّ خرافيٍّ، إيش الفائدة؟

وبعدين يرى الشيخ أنه لما وُجدت تحقيق المخطوطات، أنه أغنى عن ذلك.

لكن كون يحصل الإنسان إجازةً طيبةً عن سندٍ موثوقٍ كل رجاله من أهل السنة ومن السلفيين، فهذا طيبٌ؛ لأن فيه بركة، وبعدين قد يُحتاج إليه في المستقبل، الله المستعان؛ لا تدري. **نعم**.

وكان أبو حيان كثيرًا ما ينشد:

يظـن الغمـر أن الكتـب تهـدى ... أخًــا فهــم لإدراك العلــوم
ومــا يــدري الجهــول بــأن فيهــا ... غــوامض حيــرت عقــل الفهــيم
إذا رمــت العلــوم بغيــر شــيخ ... ضــللت عــن الصــراط المســتقيم
وتلتــبس الأمــور عليــك حتــى ... تصــير أضــل مــن تومــا الحكــيم

الفصل الثالث: أدب الطالب مع شيخه

الأدب الثامن عشر: رعاية حرمة الشيخ

بما أن العلم لا يُؤخذ ابتداءً من الكُتُب بل لا بد من شيخٍ تُتقن عليه مفاتيح الطلب؛ لتأمن من العَثَار والزلل، فعليك إذًا بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخُك محل إجلالٍ منك وإكرامٍ وتقديرٍ وتلطفٍ، فخُذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التَّقَدُّم عليه بكلامٍ أو مَسيرٍ أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودَرْسِه بكلامٍ منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال، ولا سيما مع شهود الملأ، فإن هذا يُوجب لك الغرور وله الملل. ولا تناديه باسمه مجردًا، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخي! أو يا شيخنا! فلا تُسَمِّه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تُخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بُعْدٍ من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله: ﴿ لَّا تَجۡعَلُوٓاْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور:٦٣].

الشرح:

الأصل في هذا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع أنهم خِيار الأمة، وأحرص شيءٍ على تلقي العلم وفهمه، وهم أول حلقة في سلسلة سنده إلى النبي ﷺ، مع هذا نُهوا عن كثرة سؤال النبي ﷺ، لِمَا في كثرة السؤال من التكلف، تكلف السائل؛ لأنه قد يسأل عن أمورٍ لا تدعو إليها الحاجة؛ أن يكون السؤال من التعنت، ولِمَا فيها من إحراج المسؤول، خصوصًا النبي ﷺ؛ لأنه قد

يكون في الجواب ما يُكَلِّف الأمة، يفتح باب تكليف زيادةٍ للأمة؛ فيكون فيه مشقة عليها، ولذلك نُهوا عن كثرة السؤال.

وكان الله ﷻ يقيض لهم من يتسبب في إفادتهم، فإما أن يبتدأ النبي ﷺ بالحديث، لمناسبةٍ ونحوها، أو يأتي جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويسأل النبي ﷺ وهم ينظرون ويسمعون، ولا يدرون أنه جبرائيل حتى يَرُوح، أو يأتي الرجل العاقل من أهل القرى أو من أهل البادية فيسأل النبي ﷺ، أو يأذن لهم النبي ﷺ بالسؤال إذا رأى بهم حاجة.

فكانوا نُهوا عن كثرة السؤال، قال النبي ﷺ: إنما هَلَكَ من كان من قبلكم بكثرة السؤال، واختلافهم مع أنبيائهم، وقال: إن الله تعالى فَرَضَ فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً بكم غير نسيانٍ فلا تسألوا عنها، وأخبر ﷺ أن مِنْ أشد عذابًا الذي يَسأل عن شيءٍ لم يُحَرَّم، فيحرم بسبب مسألته؛ لأنه من المتكلفين.

فهكذا طالب العلم في حلقة العلم لا يحرص على كثرة السؤال، يستفيد، إما أن الشيخ يُحَدِّث عما ينبغي أن يُسأل عنه، فإن غاب عن ذهنه يُقيض الله غيرك من يسأل، أو أنه يسمح المجال للسؤال فتسأل دون تكلفٍ وتعنتٍ، أو تسأل بعدما ينتهي الدرس؛ لأن المسألة ربما تخُصك وتُشكل عليك أنت وهي لم تُشكل على غيرك، حتى لا تتسبب في انقطاع الدرس وضياع الوقت وطول الوقت وغير ذلك. **نعم**.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: يا فلان، أو: يا والدي فلان، فلا يجمل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به.

وإذا بدا لك خطأٌ من الشيخ، أو وهمٌ فلا يُسقطه ذلك من عينك، فإنه سببٌ لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالمًا؟

ولذلك كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إذا احتاجوا أن يسألوا النبي ﷺ ويسترشدوا منه، لا يقولون: يا محمد، أو يا ابن عبد المطلب، ما جاء هذا في الحديث إلا في حالتين:

إما أن يأتي جبرائيل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فيأتي فيسأل بهذا الأسلوب من باب التعمية، حتى لا يُعرف إلا بعد أن يَفرغ ويذهب.

أو يكون من طريق أحد الأعراب الذين ما يُستغرب عليهم الجفاء.

وإلا فخواص الصحابة يقولون: يا رسول الله، يا نبي الله.

والله ﷻ لما أنه عاتب نبيه ﷺ على شيءٍ مما اجتهد فيه ﷺ وكان في عمله خلافة الأولى، يعني أنه يسوغ ويجوز، قال الله ﷻ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ قدم العفو ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ [التوبة:٤٣]، فأخذ أهل العلم من هذا أن الإنسان إذا أراد أن يسأل الشيخ يقول: عفا الله عنك، أحسن الله إليك، وكذا؛ نوعٌ من التلطف والأدب على نحو ما كان عليه السلف الصالح من الأمة ومحدثوهم من بعدهم رحمة الله عليهم.

واحذر أن تمارس معه ما يضجره، ومنه ما يسميه المُوَلَّدُون: حرب الأعصاب، بمعنى امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، فاستأذنه بذلك؛ فإنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك.

يكون أحيانًا السؤال أو الاعتراض لمصلحةٍ وتدعو إليه الحاجة:

إما أنه يراد التنبيه على مهماتٍ من العلم، كونها تُؤخذ عن الشيخ أولى من أن تُؤخذ عن آحاد الطلبة أو الحضور، فهذا من دواعي السؤال.

ومنها أن يكون بال الشيخ عَزَب وغاب عن مسألةٍ ينبغي التنبيه عليها، فيكون السؤال للتنبيه على هذه المسألة.

ومنها أن يكون الإشكال يغلب على الظن أنه عند الجميع؛ أنهم ما فهموا هذا، يكون في السؤال حلًا لهذا الإشكال.

فلا يكون السؤال على وجه التعنت، أو امتحان الشيخ، أو إظهار مهارة الطالب وحِفْظه أو غير ذلك، لأ؛ إنما يكون لمصلحةٍ في الحلقة، إما في البيان، وإما في إزالة إشكال، وإما أنه فيه مَنْ يحتاج إلى هذا.

فلذلك لما جاء جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأله ﷺ سأل المهمات: «**ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟، متى الساعة؟**» ما عليه جواب ما أشراطها؟ كذا؛ للحاجة؟.

قد يُسأل الشيخ وأنت تسمع ويُغلق الجواب على الشيخ، فتُعطيه مفتاح للمسألة، مثل إن واحد من المشايخ الله -يغفر لنا وله- في أول قيام الملك عبد العزيز الله -يعفو عنا وعنه- جاءه بعض الأعراب وقالوا: يا شيخ إنا كنا في جاهلية، واهتدينا وأسلمنا فهل نعقد على نسائنا عقدًا جديدًا؟ فكأن الشيخ أُغلق عليه؛ ما استحضر الجواب، فقال أحد الحضور: يا شيخ -أحسن الله إليك- هل كل الصحابة جددوا عقود نسائهم؟، فنبه الشيخ بأسلوبٍ؛ كأنه يسأل وهو يريد أن ينبه الشيخ على جواب المسألة هذه. **نعم**.

إلى آخر جملةٍ من الأدب يَعْرِفُها بالطبع كل مُوَفَّق مباركٍ وفاءً لحق شيخك في أبوته الدينية، أو ما تسميه بعض القوانين باسم الرضاع الأدبي، وتسمية بعض العلماء له الأبوة الدينية أليق، وتركه أنسب.

لأن هذه فيها شيءٌ من الغلو والإطراء ما تصلح. **نعم**.

واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفَوْت يكون من علامات الإخفاق.

تنبيه مهم: أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطُّرُقِيَّة، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال.

يعني سلام الأعاجم، الوحد يسلم بكلتا يديه، يصافحك بيدٍ ويضع الثانية من وراء، هذه من طُرُق الأعاجم، وهذه يفعلها بعض الصوفية المريدين مع شيوخهم. **نعم**.

والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

وانظر ما يقوله العلامة السَّلَفِيُّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري – رحمه الله تعالى – في البصائر فإنه فائق السياق.

الأدب التاسع عشر: رأس مَالِك أيها الطالب من شيخك

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين فهو ربحٌ زائدٌ، لكن لا يأخُذك الاندفاع في محبة شيخك فتقع في الشناعة من حيث لا تدري، وكل من ينظر إليك يدري، فلا تُقَلِّده بصوتٍ ونَغْمة، ولا مشيةٍ وحركةٍ وهيئة.

الشرح:

يعني لا تحاول التقليد؛ لأن هذا إذابة لشخصيتك، إذابة لشخصيتك وتحقير لنفسك، لكن لو قلدته من غير إرادة، هذا عادي، التَّأَثُّر يَحصل من شيء. **نعم**.

فإنه إنما صار شيخًا جليلًا بتلك، فلا تَسْقُط أنت بالتبعية له في هذه.

الأدب العشرون: نشاط الشيخ في درسه

يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نَفْسِه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلةَ قَطْعٍ لعلمه، بالكسل، والفتور والاتكاء، وانصراف الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -: حق الفائدة ألا تُسَاق إلا إلى مُبتغيها، ولا تُعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المُحدث بعض الفتور من المستمع، فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قَدْرِ فَهْم المستمع. ثم ساق بسنده عن زيد بن وهبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -، قال: قال عبد الله: حَدِّث القوم ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترةً، فانزع. انتهى.



الأدب الحادي والعشرون: الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة

وهي تختلف من شيخٍ إلى آخر، فافهم.

ولهذا أدب وشرط:

أما الأدب: فينبغي لك أن تُعْلِم شيخك أنك ستكتب، أو كَتَبْتَ ما سمعته مُذاكرةً.

وأما الشرط: فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه.

بمعنى أن يكون لك ما تنشره. نعم.



الأدب الثاني والعشرون: التلقي عن المبتدع

احذر أبا الجهل المُبْتَدِع، الذي مَسَّه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يُحَكِّم الهوى ويُسميه العقل، ويَعْدِل عن النص، وهل العقل إلا في النص؟! ويستمسك بالضعيف ويبتعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضًا أهل الشبهات، وأهل الأهواء، ولذا كان ابن المبارك - رحمه الله تعالى - يسمى المبتدعة: الأصاغر.

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -: إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذَّوق والوَجْد، فاعلم أنه إبليس قد ظَهَرَ بصورة بَشَرٍ، أو قد حَلَّ فيه، إن جبُنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه انتهى.

وقال أيضا - رحمه الله تعالى -: وقرأت بخط الشيخ المُوَفَّق قال: سمعنا درسه – أي ابن أبي عصرون – مع أخي ابن أبي عمر وانقطعنا، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد، فقال: لم انقطعتم عني؟ قلت: إن ناسًا يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري. هذا معنى الحكاية انتهى.

وعن مالكٍ - رحمه الله تعالى - قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيهٍ يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعةٍ يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس وإن كُنت لا أتهمه في الحديث، وصالحٍ عابدٍ فاضلٍ إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

فيا أيها الطالب، إذا كنت في السعة والاختيار، فلا تأخذ عن مبتدعٍ رافضيٍّ، أو خارجيٍّ، أو مرجيءٍ، أو قدريٍّ، أو قبوريٍّ، وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال – صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر – إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلةٌ بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم.

الشرح:

ولذلك يُذكر عن **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: من سعادة الأعجمي -يعني: الداخل حديثًا في الإسلام- والحدث -يعني: الشاب- أن يُوَفَّق لصاحب سُنَّةٍ يأخذ عنه؛ لأنه يتلقى السنة من أول وهلةٍ؛ فتترسخ في قلبه وتثبت، أما إذا أخذ عن مبتدعٍ؛ لأنه يقذف بشبهاته عليه، ويُشككه في صحيح الاعتقاد، ويجره بشبهاته إلى الإلحاد والعياذ بالله، فأهل البدع لا يُؤخذ عنهم، والفُساق لا يُؤخذ عنهم، والناس الذين لا يضبطون العلم لا يُؤخذ عنهم، الذين يخلطون ولا يميزون بين الصحيح والسقيم من الحديث، ولا يضبطون الأمور لا يؤخذ عنهم. **نعم**.

كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصصٌ وواقعاتٌ يَطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المُقَيَّدات فيها: فقد كان السلف رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورَفْض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سُنِّيٍّ ومبتدعٍ.

وكان من السلف من لا يصلى على جنازة مبتدعٍ، فينصرف.

وقد شُوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -، انصرافه عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بِدَعهم؛ لأن القلوب ضعيفة، والشُّبَهُ خَطَّافة.

وكان السفيانان – رحمهم الله – بمكة **سفيان بن عيينة والثوري**، وتوفي فيها **عبد العزيز الدراوردي**، وكان من الحُفَّاظ العُبَّاد، إلا أنه رُمِي بالقدر؛ تكلم في القدر بما يُخالف السنة، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام ولم يُصَلِّيا عليه، انصرفا ولم يصليا عليه، من أجل زجر الناس عن مقالته وبدعته. **نعم.**

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بِدَعهم؛ لأن القلوب ضعيفةٌ، والشُّبَه خَطَّافة.

وكانوا أيضًا يَحْذَرُون من الاجتماع بهم ومقابلتهم.

جاء بعض المبتدعة إلى الأئمة كأحمد وغيره، يُريدون أن يأخذوا عنهم الحديث فأبى، قال: ولا حديث واحد، ما تروي عني ولا حديث واحد.

وأراد أحدهم يَعْرِض على بعض السلف رأيه كذا، فصُمَّ أُذنيه، قال: ما أسمع إلى شُبهاتك، ما يُؤَمِّنُني أن تدخل إلى قلبي، فلم يصغ إليه. **نعم.**

الآن من يُسَمَّون بالتكفيريين والحزبيين وغيرهم من أهل الأهواء ما يُؤخذ عنهم، ولا تحضر مجالسهم؛ لأنهم على منهج الخوارج والبُغاة، ويَخلطون بين منهج المعتزلة والخوارج والصوفية، فلا يُؤخذ عنهم العلم، ولو كانوا أساطين فيه؛ لأنهم ما يُوَرِّثون من الشبهات أبلغ وأخطر مما تَأْخُذ عنهم أنت من الفوائد؛ فلذلك ينبغي الحذر منهم.

من عُرِف أنه يُشجع التحزب ويشجع الجماعات المنحرفة، لا يُؤخذ عنه العلم ولو كان علمه صحيحًا؛ لأنه يَحْدُث بينك وبينه وئامٌ وولعٌ، وبعدين يُورد عليك من شبهاته ما قد يُشككك في الحق، أو يَحملك على الباطل، وأن تتلقى الشبهات عنه، فتَتَنَكَّر لما عليه السلف الصالح، هذا خطر اليوم.

كثير من الناس الذين ينتسبون للعلم والدعوة في حُكم الخوارج؛ لأنهم متأثرين بآراء الخوارج، خصوصًا في الأمور العملية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والجهاد، ونحو ذلك، لابد أن تحذر.

ومن ذلك: جُملة الإخوان المسلمين على مذهب الخوارج، جامعين بين أصول المعتزلة والخوارج والروافض.

والتبليغ صوفيةٌ مبتدعةٌ؛ صوفيةٌ بين العقائد الضالة والجهل العظيم، ما يُؤخذ عنهم علمٌ، ولا يُصاحبون، ما عندهم خيرٌ، ما عندهم إلا الشر والشبهات.

كِلَا الطرفين خصومٌ للدعوة السلفية ولما عليه السلف الصالح، فهذا ينبغي الحذر منهم.

نعم.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغٍ، لقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ﴾ الآية (البقرة ١٧٣)، فهو باغٍ ببدعته.

وما يَتَّبِع هذه الجماعات إلا أحد رجلين:

إما أنه ساذجٌ، مُغَفلٌ، غَبِيٌّ، ما يدري إلى أين يَجُرُّونه، ويَثِق بمن لا يُوثق به.

أو أنه صاحب هوى، قد أُشرب هواه وهوى جماعته، فصار لا يرى الأمور إلا بمنظارهم فقط، فيرى النصوص بنَظَرٍ أعور، بعين عوراء فقط، يأخذ من النصوص ما راق له ووافق هواه، ويترك ما لا يوافق هواه، فهذا لا خير في الأخذ عنه، ولا في الاجتماع به، وخلطته شرٌّ وفتنةٌ، وإن كان فلانُ بن فلانٍ، وإن كان الدكتور فلان، وإن كان كذا، الأستاذ فلان، ما يغني عنه هذا، ما دام أنه يخالف السلف في عقيدته، في توحيد الألوهية وفي توحيد الأسماء والصفات، في الإيمان بالغيب وأمور البرزخ والقيامة، يخالف السلف في عقيدته.

أو يخالف السلف في عمله: في طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وفي شأن الجهاد، وفي شأن الموقف من أهل البدع، يُوالي أهل البدع ويُداهنهم ويُجاملهم، ويُبغض من كان على منهج السلف، ولا يذكر أسمائهم ولا خطأً، هذا لا خير فيه، فاحذر هؤلاء أن يفتنوك. **نعم**.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالكٍ رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: أظنك صاحب بدعة، وأمر به، فأُخرج.

وأخبار السلف متكاثرةٌ في النُّفرة من المبتدعة وهجرهم، حَذَرًا من شَرِّهم، وتحجيمًا لانتشار بدعهم، وكسرًا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع؛ ولأن في معاشرة السُّنِّيِّ للمبتدع تزكيةٌ له لدى المبتدئ والعامي، والعامي مشتقٌ من العَمَى، فهو بيد من يَقوده غالبًا.

ونرى في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل الأخبار في هذا.

فيا أيها الطالب! كن سلفيا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك، فإنهم يُوَظِّفُون للاقتناص والمُخَاتَلة سبلا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول وهو: عسل مقلوب، وهطول الدمعة، وحسن البَزَّة، والإغراء الخيالات...

من مكرهم ومن ألاعيبهم أنهم يُحَشُّون الكتب، كتب أئمة السلف بحواشٍ من عندهم، ينفثون فيها سمومهم، ويُدونون فيها شبهاتهم؛ ليضلوا الناس، هم يعتبرون أنفسهم حَقَّقوا أو علقوا على كتابٍ سلفيٍّ، هم ليس مقصودهم نشر مذهب السلف، ولا طلب الهُدَى من علم هذا العالم، وإنما قصدهم من ذلك أن يُشَبِّهوا على مَنْ يقرأ هذا الكتاب، أو من يتأسى بهذا العالم، وأن يَنْقُضوا قوله في أصل الكتاب بما يكتبونه في حاشيته؛ يُؤولون كلامه ويحرفونه ويُوردون عليه الإيرادات التي تُوهنه وتُضعفه، فلا تغترون بهذا، هذه حيلةٌ من الحيل المعاصرة التي اتخذها أهل البدع، يكتبون حاشية على كتابٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية أو لابن

القيم أو للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمة الله عليه – أو غيره، فهذا مكرٌ وحيلةٌ، أو يُوردون كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشيخ الإسلام ابن تيمية يستدلون به على باطلهم، حتى يوهموك ويقول: أنا أنقل عن شيخ الإسلام، أنا أنقل عن أئمة السنة، ويكذب، يَبْتِر النص من أوله ومن آخره، ويُورد ما يُشَبِّه به عليك، فهؤلاء يجب الحذر منهم ولا يُوثق بهم، ما عندهم الأمانة العلمية، ولا عندهم حبٌ للسلف، ولا ولاءٌ لمنهج السلف، وإنما يريدوا أن ينشروا شبهاتهم وأضاليلهم بين الخلق، مُتَذَرِّعين بذِكر كتب السلف. **نعم**.

والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف.

ولهذا تجد في المجتمعات اليوم صراع بين أناسٍ يَميلون لمذهب الخوارج والتكفير، وأناسٍ يميلون لمذهب الإرجاء، كلاهما ينتسب للسلفية، وكلاهما يستدل بكلام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب، كل هذا من التلبيس والمغالطة والمكر والحيلة.

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال ٣٠). **نعم**.

وما وراء ذلك إلا وَحَمُ البدعة، ورَهَجُ الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شِراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العُميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، فالْعَق العسل ولا تسل.

وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافيًا، وإلا، فليَبْكِ على الدين من كان باكيًا.

وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار، أما إن كُنْتَ في دراسةٍ نظاميةٍ لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعاذة من شره، باليقظة من دسائسه على حَدِّ قَوْلِهم: اجن الثمار وألق الخشبة في النار، ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أَمْرَهُ وتتقى شره وتكشف ستره.

ومن النتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المُقرئ حَدَّث عن مرجيءٍ، فقيل له: لم تحدث عن مرجيء؟ فقال: أبيعكم اللحم بالعظام.

بعض السلف احتاج أن يستدل على مسألةٍ بحديثٍ صحيحٍ، رواه عن واحدٍ مبتدعٍ، عن **عمرو بن عبيدٍ المعتزلي**، فقال: حدثنا **عمرو بن عبيد** قَبْل أن يُحْدِث، يعني يوم كان ثقةً حدثنا، حدثنا عمرو بن عبيد -قبل أن يحدث- عن فلان عن فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال كذا..، هذا من الاحتياط يعني. **نعم**.

فالمقرئ رحمه الله تعالى حَدَّث بلا غررٍ ولا جهالةٍ إذ بَيَّنَ فقال: وكان مرجئًا.

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومنه: ما في العقيدة السلفية لشيخ الإسلام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، قال - رحمه الله تعالى -: ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يُجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقَرَّت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام:٦٨] انتهى .

وعن سليمان بن يسار أن رجلًا يقال له صَبِيغٌ قَدِم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عرجونًا من تلك العراجين، فضربه حتى دمى رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدَعَى به ليعود، فقال: إن كُنْتَ تُريد قتلى فاقتلني

قتلًا جميلًا. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ باليمن: لا يُجالسه أحدٌ من المسلمين. رواه الدارمي.

وقيل: كان متهمًا برأي الخوارج .

والنووي - رحمه الله تعالى - قال في كتاب الأذكار: باب: التبري من أهل البدع والمعاصي. وذكر حديث أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة. متفق عليه.

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا براءته من القدرية. رواه مسلم .

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها، كما حَرَّرَهُ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في مواضع.

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون إذا قَلَّ العلم، وفشا الجهل.

وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يُظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال انتهى.

فإذا اشتد ساعدك في العلم، فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان، والسلام.

بركة.

سبحانك اللهم وبحمدك.



المجلس الرابع في شرح الحلية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى- في كتابه الحلية:

الفصل الرابع: أدب الزمالة

الأدب الثالث والعشرون: احذر قرين السوء

كما أن العرق دساس، فإن أدب السُّوء دساس، إذ الطبيعة نقَّالةٌ، والطِّباع سَرَّاقةٌ، والناس كأسراب القطا مجبولون على تَشَبُّه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، فإنه العطب، والدفع أسهل من الرفع.

وعليه، فتخير للزَّمالة والصداقة من يُعينك على مطلبك، ويُقربك إلى ربك، ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك.

وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير:

الأول: صديق منفعةٍ.

الثاني: صديق لذةٍ.

الثالث: صديق فضيلةٍ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وبارك وسلم على عبده ورسوله نبيه محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ففي هذا الفصل يُبين الشيخ **بكر أبو زيد** -رحمة الله عليه- أن طالب العلم ينبغي له أن يصطفي صديقًا أو أكثر ممن يُعينه على الطلب؛ لأن جادة العلم طويلةٌ، ولأن غاية طالب العلم بعيدةٌ وعاليةٌ، فيحتاج طالب العلم – بعد الله -جل وعلا- – إلى من يشد أَزْره ويُنشطه، ويُذاكر معه، فلذلك يصطفي الزميل في الطلب، يختار أفضل الموجود، ممن يُشاركه في الهمة، في علو الهمة والرغبة، وممن يُعينه على المذاكرة والتقييد، ويُذكره إذا نسي، ويُعينه إذا ذَكَرَ، ويُسَمِّع له ما يحتاج إلى تسميع، ويتذاكر معه ما يحتاج إلى مذاكرةٍ، فلا بد لطالب العلم من هذا.

ولو قرأتم سير أهل العلم الأكابر من الأئمة المتقدمين ومن بعدهم إلى زمننا هذا، تجد أن كل واحدٍ منهم له زميلٌ وصنوٌ خاصٌّ يتعاونان على الطلب، فكان **أحمد بن حنبلٍ** – رحمة الله عليه – **ويحيى بن معينٍ** يقرآن على **علي بن المديني** – رحمة الله عليهم جميعًا –، كان أحمد ويحيى صديقين.

وهكذا كل عالِمٍ تجدون له خاصةً من أقرانه وأنداده معه على الطلب، هذه مصلحةٌ ظاهرةٌ، والمرء قليلٌ بنفسه كثير بإخوانه وأعوانه؛ فتصطفي منهم من قراباتك؛ من أقاربك، من جيرانك، من زملائك في الحلقة، من زملائك في الصف في الدراسة النظامية، من يُعينك على مهمتك، ويَنْشُد غايتك، يُشاركك في غايتك، له همةٌ في طلب العلم الشرعي، وأَخْذِ العلم عن أهله، والنبوغ فيه، وإحياء السُّنن، والضبط والإتقان لمنهج أهل السنة والجماعة، إذا تيسر لك؛ ما تيسر استعن بالله، وامض في سبيلك ولا تلتفت.

وكان طلبة العلم في الزمان الماضي يعتنون بهذا الشأن، ويُقَسِّمون الأوقات، فيجعلون ما قبل الفجر للحِفظ لأنه أصفى للذهن، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾

[المزمل:٦]، أشد مواطأة من القلب للسان، فالحفظ في الأسحار أفضل من الحفظ في أي وقتٍ آخر لمن نام مُبكرًا، أما الذين يسهرون على الأمور التي تعرفون، فهؤلاء المُتمَنُّون، ما هم الدارسون، المتمنون.

فالمهم أنهم كانوا يُخصصون وقت الأسحار للحفظ.

ويخصصون ما بعد الفجر للقراءة على الشيوخ.

ويخصصون الضُّحى للكتابة.

ويخصصون ما بعد الظهر للمُذاكرة.

والعصر والمغرب يقرؤون على الشيوخ.

وبعد العشاء أيضًا يجعلونها للمذاكرة والسمر للعلم.

فالإنسان ما يَسْمُر وحده، يسمر مع غيره، فهذا أمر معلومٌ عند أهل العلم وأهل هذا الشأن، فعليك أن تصطفي زميلك في الدرب في الدراسة، بحيث أنه يُنشطك وتُنشطه، ويُسَمِّع لك الحفظ وتُسَمِّع له، ويُملي عليك وتُملي عليه، ويكتب وتكتب، وهكذا؛ فما يفوتك لا يفوته، وما يفوته لا يفوتك.

كان **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العوالي وله جارٌ، فينزل واحدٌ منهم للمدينة فيسمع من النبي ﷺ، فإذا رجع أخبر صاحبه بما سَمِع ذلك اليوم، واليوم الثاني ينزل الآخر، وهكذا.

وحتى رعاة الإبل من الصحابة كانوا يَعْتَقِبُون الإبل، واحد يرعى وواحد يحضر الدرس، واليوم الثاني العكس.

فدل على أنه لابد أن الإنسان يعتني أن يكون له زميلٌ أو أكثر، والاثنان فيهما بركةٌ، فيعتنيان بالمذاكرة والمراجعة وكذا، فهذا مهمٌ في الموضوع هذا.

يبقى أن تنظر في مواصفات زميلك: من تصطفي؟

فتصطفي الإنسان الذي له رغبةٌ في العلم وحسبةٌ في الطلب، الإنسان الذي تَستفيد منه يكون فيه ذكاءٌ وفطنةٌ، بحيث ما يفوتك لا يفوته، الإنسان الذي إذا كَسِلْتَ يُنشطك، ما يوافقك على كَسَلِك، وإذا التبس عليك أمرٌ شاركك فيه حتى تتضح مسألته، ويكون مُكَمِّلًا لك، ما يَنْقُصُك يُوجد فيه وما ينقصه يُوجد فيك، فهذا من الأمور المهمة في هذا الشأن، لا بد من هذا.

ثم يُبين لك الشيخ – رحمة الله عليه – أنواع الأصدقاء، الناس يَتخذون الأصدقاء، ما نوع هؤلاء الأصدقاء، قال لك:

صديق لذة:

لتستأنس به، عبارة عن نديمٍ، مُهَرِّجٍ يعني، بعض الناس يُريد صديق يُضحكه ويجلس معه ليُنكت عليه، هذا ما يفيدك أنت وأنت طالب علم، هذا يُخذلك، يضيع عليك الوقت، ويُدني همتك، ويُصعب عليك المعالي، ويُنَسِّيك العلم، وتَقِيس نفسك به كل مدى تنزل إلى مستوى، لو كان أعلى منك كنت أنت ترتفع وتنافسه، لكنه أدنى منك، فتنزل معه حتى تضيع، فهذا ما يصلح، هذا صديق لذة، هذا لأرباب الدنيا، هم الذين يتخذون نديم وصديق لذة، فطالب العلم يتخذ معينًا على العلم.

والثاني: صديق منفعة:

هو ما له رغبةٌ منك في العلم الذي تطلب، ولا عنده الهمة التي تسعى أنت إليها، وإنما ينتفع بك، لكونك أغنى منه، أو أقدر منه، أو غير ذلك، فهذا ما ينفع، إذا حَصَّل منفعته انقطع، ما ينفعك.

وإنما الذي يُفيدك الذي يُشاركك الهمة، ويشاركك بُعد الغاية، ويشاركك صلاح النية والحسبة، ويشاركك في المنافسة؛ ينافسك في الحفظ والضبط والكتابة والاستذكار، هذا الذي ينفعك.

نعم أعد أحسن الله إليك.

وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير :

الأول: صديق منفعة .

الثاني: صديق لذة .

الثالث: صديق فضيلة .

فالأولان مُنقطعان بانقطاع مُوجِبهما، المنفعة في الأول واللذة في الثاني، وأما الثالث فالتعويل عليه.

لحظة، لحظة، قبل الثالث، ثالث من عندنا نضيفه، **صديق هوى**:

يكون عنده تَوَجُّهٌ حزبيٌّ، عنده بدعةٌ، عنده كذا، يقتنصك لتكون معه على ضلالته، أو يُرْسَلُ إليك ليقتنصك، وهذا الذي عمت به البلوى اليوم، يُزين لك التكفير، يزين لك التفجير، يزين لك الجهاد العِمِّيَّة جهاد الفتنة، ويزين لك عقوق الوالدين، ويزين لك معصية ولي الأمر العام، ويزين لك خَلْع البيعة والخروج عن الطاعة، هذا مبتدعٌ، هذا صاحب هوىً، وداعٍ إلى هواه وبدعته، فاحذره، هذا أشد من صديق اللذة والمنفعة وأخطر؛ لأنه يَجُرُّك إلى هواه، ويُخرجك عن الصراط المستقيم إلى سُبُل الجحيم، ويجعلك تحتسب ذلك أنك على خيرٍ وأنت على شرٍّ، هذا خطيرٌ جدًّا.

كان **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا **لعمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على (مَصْرَ)، فطلب من عمر أن يُرسل له مجموعةً من القُرَّاء الذين حفظوا كتاب الله تعالى وعرفوا معانيه، فبعث إليه

رجالًا فيهم **عبد الرحمن بن مُلجم**، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رسالته: إني أرسلت إليك رجلًا – يعني ابن ملجم– آثَرْتُك به على نفسي يعني: أنه من نوادر القراء، فلما وصل ابن ملجم مصر، واشتغل يُعلم الناس القرآن، اقترن به داعيةُ سُوءٍ من الخوارج، وزَيَّن له مذهب الخوارج، ووقع في فتنة الخروج، في بدعة الخروج؛ ووصل به الغلو والتشدد إلى أن انبرى هو واثنين معه يزعمون أنهم محتسبون، هو يقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والآخر يقتل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والثالث يقتل عمرو بن العاص، وجاء من مصر إلى العراق ليقتل عليًّا، واشترى سيفًا، أو اتفق مع حدادٍ يصنع له سيفًا، ويَسقيه سُمًّا حتى أنه يُهلك من أصابه، ووجد امرأةً من الخوارج، كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتَلَ زوجها، كانت تنام في المسجد، وكانت من آيات الله في الجمال، كُلٌّ يَوَدُّ خطبتها، فلما جاء المسجد وهو بالكوفة ورآها خطبها، قالت: أنا ما عندي مانع بس أنا مهري غالي، إيش المهر؟، قالت: قَتْلُ عليٍّ، قال: أنا جئت لقتل عليٍّ، فتنقل من شقى إلى شقى حتى قتل عليًّا، فصار أشقى هذه الأمة، أشقى هذه الأمة قاتل علي، يقتل أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي شهد له النبي ﷺ أنه: يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وقال له النبي ﷺ: إنك مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي، ويَعدُّ قَتْلَه قُرْبَةً إلى الله عز وجل، ثم بعد أن قتله يمدحه أخوه في الخروج المنحرف فيقول:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلا ليبلغ عند الله رضوانا

يعني ابن ملجم.

إني لأذكره يوما فأحسبه أوفي ... البرية عند الله ميزانا

يعني أوفى من أهل بدرٍ وأبي بكر وعمر؛ لأنه قَتَلَ عليًّا، هذا الانحراف، يَعدُّ أن قتل علي قربةً ما تعدلها قربة: أو في البرية؛ لم يستثن رسول الله ﷺ، من الانحراف. وهكذا تتجارى الأهواء بأصحابها.

فتجد أحد في المدرسة أو في المركز أو في أماكن من هذه التجمعات التي تُعطى أو تَأْخُذ طابع ديني، يُغريك بالجهاد وفضل الجهاد، وهو يريدك أن تلحق بطائفةٍ منحرفةٍ من الخوارج حتى تَهْلِك وتُهْلِك، تخسر الدنيا والآخرة.

احذر هذا، هذا أخطر شيءٍ عليك ، هذا أخطر شيءٍ عليك.

فتجده أول ما يبدأ، يبدأ بالتشكيك في العلم، يذكر لك مسائل كبار: وإيش القول الراجح في هذا؟!، أنت بعد تتعلم مبادئ العلم، ما وصلت بعد لشيءٍ حتى تعرف المسائل فضلًا عن القول الراجح فيها!،

لكن هو يُريد أن يُشككك، ويجرئك على الجدل والخصومة.

ثم ينتقل ثانيًا بك ويزهدك في العلماء: هؤلاء عندهم جمود، عندهم ضيق أفق، هؤلاء مداهنون للسلطان، هؤلاء أصحاب دنيا.

ثم بعد ذلك يَذْكُر لك ولاة الأمر، ويُشكك في حقهم وولايتهم وسلطانهم، ووجوب السمع والطاعة لهم بالمعروف، ويجعل من الدين ألا تعطيهم حقوقهم، ولا تعتقد شرعية ولايتهم.

ثم بعد ذلك يُغريك بما يسمى بالجهاد؛ جهاد الفتنة.

كما قال **عبد الله بن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالوا له: ألا تخرج في الجهاد؟، يعني في الخروج على **يزيد بن معاوية**، قال: جاهدنا مع النبي ﷺ، حتى لم تكن فتنة، وأنتم تريدون منا أن نجاهد حتى تكون فتنة، ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما سَلِم من هؤلاء.

وجاء واحدٌ يعيبه مثل ما يُعاب العلماء الأكابر اليوم، قال: يا ابن عمر ما لك لا تجاهد؟، وابن عمر ما يدري ما يريد هو، ولذلك ما يُريد يُجادله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان،**

والحج»، خمس؛ يعني أن الجهاد ما هو من أركان الإسلام، ما هو من أركان الإسلام فما يجب عليَّ، خصوصا أنه ما دعاني ولي الأمر، شوف رَدَّ أهل العلم عليهم، فاحذر هذا، صديق الهوى، هذى صديق الهوى البدعي، هوى الفتنة.

هناك صديق هوى ثاني، صديق عشق وغزل، صديق فجور؛ يُوقعك في المخدرات باسم الحبوب المنشطة، وباسم المشروبات العادية، يُدخِل عليك: هذا ما فيه شيء، ما فيه كحول هذا!، ويَنقلك من واحدٍ إلى واحدٍ حتى يوقعك في المخدرات، ويوقعك في الفجور في الفساد والشذوذ، فاحذر هذا.

احذر من صديق الهوى، انتبه؛ وصادق من قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**».

الإنسان التقي السوي، الذي هو سليم الفطرة، صحيح النية، كريم الأخلاق، مُؤَدَّب مع والديه، واصلًا لأرحامه، مُؤْثِرًا على نفسه، مُعينًا على الخير، ناصحًا للخَاصِّ والعام، أئمة المسلمين وعامتهم، يحب للناس من الخير مثل ما يحب لنفسه، يكره للناس من الشر ما يكره لنفسه، وإذا أشكل عليه أمرٌ رَجَعَ إلى أهل العلم الأكابر، ما يرجع إلى مراهقين مثله، ولا يرجع إلى ذي هوى ولا ذي فجورٍ، انتبه؛ هذا أمر ينبغي التفطن له.

احذر الذي:

يُعطيك من طرف اللسان حلاوة   ويروغ منك كما يروغ الثعلب

يأخذك معه بالسيارة ويقول: نذهب بس إلى الاستراحة، أنت تظن أنها الاستراحة المناسبة عند أهله، وهي استراحة للتآمر على الإسلام وأهله، أو للفجور.

احذر؛ لَسْتُ بالخِبِّ ولا الخب يخدعني.

وإذا أورد عليك مسألة شرعية، قل: أفتى فيها أهل العلم الأكابر، أفتى فيها الشيخ **صالح الفوزان**، أفتى فيها الشيخ المفتي، أفتى فيها الشيخ **العباد**، اسأل: فيها فتوى للشيخ **ابن باز أو ابن عثيمين** – رحمة الله عليهم –، قل هذا الكلام، هات الفتوى وانتقل لي هذه الفتوى، من أي كتابٍ؛ حتى لا تُخدع، هذا أمرٌ ينبغي التفطن له والعناية به؛ لأنك اليوم بين خطرين:

إما أن تقع في صاحب فجورٍ.

أو في صاحب فتنةٍ.

وأقل الأصدقاء ضررًا صديق اللذة والمنفعة؛ لأنه ماديًّا فقط، ومع ذلك ما هو في مصلحتك، هذا يُثبطك عن همتك، ويُثنيك عن عزمك ويكسلك، ويجرك إلى الشهوات، وإلى التراخي والدعة؛ احذر، شوف الصديق يكون صاحب سنة. **نعم**.

وأما الثالث: فالتعويل عليه، وهو الذي باعِثُ صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما.

وصديق الفضيلة هذا عُمْلَةٌ صعبةٌ يَعِزُّ الحصول عليها.

يعني قول الشيخ عملة صعبة، هذا تعبيرٌ معاصرٌ، العملة: النقد، الورق النقدي. والعملة الصعبة: العملة الدولية التي تمشي في كل العالم، مثل: الدولار والجنيه الإسترليني، ما أشبه ذلك، العملة الدولية التي هي قوية، فلو قال لك: أن هذا بضاعةٌ نادرةٌ صَحَّ، وأقرب للفهم. سلعةٌ نادرةٌ ما تباع بالأسواق. **نعم**.

ومن نفيس كلام هشام بن عبد الملك قوله: ما بقي من لَذَّات الدنيا شيءٌ إلا أخٌ أرفع مؤونة التَّحَفُّظ بيني وبينه انتهى.

ومن لطيف ما يُقيد قول بعضهم: العزلة من غير عَيْنِ العلم زلةٌ، ومن غير زاي الزهد علة.

الفصل الخامس: آداب الطالب في حياته العلمية

الأدب الرابع والعشرون: كِبَرُ الهمة في العلم

من سجايا الإسلام التحلي بكِبر الهمة، مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك، كبر الهمة يجلب لك -بإذن الله- خيرًا غير مجذوذٍ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجرى في عُروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس إلا واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور.

الشرح:

يعني كبر الهمة: أن تكون همتك عَلِيَّة، وطموحك بعيدًا شريفًا، ما ترضى بالدُّون، ولما أن الله عز وجل أخبر **موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن عبدًا من عباده أعلم منه؛ من موسى عليه السلام، خطب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في بني إسرائيل فأبلغ في القول وأظهر علمًا عظيمًا، فبعدما فرغ سأله سائل: يا نبي الله، هل تعلم أحدًا أعلم منك؟، فأفتى بحسب علمه فقال: لا، ما أعلم، فعاتبه الله عز وجل، لماذا لم يَرُدَّ العلم إليه، ما قال: الله أعلم؛ ليش!، قال: بلى، عبدنا **الخضر** أعلم منك، ما استنكف موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا استكبر، وحاشاه، قال: يا رب كيف السبيل إلى لُقيه؟، فدله الله عليه أنه عند مجمع البحرين، فأخذ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الزَّاد والمَزَاد، وانطلق في رحلةٍ لطلب العلم من الخضر، ما قال: لا أنا أشهر منه وأنا كليم الله.

لا، صَحِب تلميذه **يوشع بن نون**، تلميذه وخادمه، وانطلقا إلى الجهة التي أخبره الله عز وجل بأن الخضر فيها، ليش ذهب؟

ليطلب العلم، ليعلم ما لم يكن يعلم، ما دام أنه عالِمٌ الله عز وجل يُزكيه ويُثني عليه، يبقى أروح أطلب العلم عنده.

وانطلق حتى جَرَى من قصتهما ما أخبر الله عز وجل، وتَبَيَّن الفَرْقُ بينهما، وأن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنده العلم الشرعي، علم الأحكام، عنده بَسْطَةٌ في العلم الشرعي علم الأحكام؛ لأنه أُرْسِل لبيان الأحكام، أحكام العقيدة وأحكام الأعمال وأحكام الأقوال وأحكام الفعل وأحكام التروك وأحكام الأخلاق وكل شيء، لكن الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنده علم القدر، عن الأسرار القدرية، والأخبار المُغَيَّبة، العلم اللَّدُنِّي، ولذلك لما التقيا وطلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صحبه ليتعلم منه، قال له: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٧ – ٦٨]، قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف:٦٩] ، فقال له الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ [الكهف:٧٠] اصبر؛ حتى أنتهي تمامًا وأَقُصُّ عليك الخبر، ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف:٧٠]، فلما مضيا أول شيءٍ: وقفا على شاطئ البحر وأَشَّرا إلى سفينةٍ في البحر لمساكين أيتام يَعْرِفهم الخضر، وهم يعرفون خضرًا، فقَدَّرُوه وقَدَّروا ضيفه وأركبوهما من غير نول من غير أجرة إكرامًا لهما، فما أن استقر خضرٌ في السفينة حتى خرقها، فشريعة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تنهى عن خرق السفينة؛ لأن هذا يُؤدي إلى الغرق، هذا عملٌ ما هو مقبول شرعًا، فلذلك اعترض موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف:٧١] لا يطاق، لا يمكن أُقِرُّك عليه؛ ما يجوز شرعًا، تُغرقنا وتُغرق أصحاب السفينة، مع أنهم أركبونا من غير أجرة، هذا مقابل الإحسان؟!، هذا في ظاهر الأمر؛ لكن الخضر عنده سرٌّ من الله عز وجل وعِلْمٌ، أن في الطريق ملكٌ يُصادر السفن الصالحة، يأخذها بقُوَّة فخرقها ليظهر عَيْبُها عند مرورها عند الملك حتى تترك، وبعدين يُسَدُّ الخرق، فإذًا الخضر أراد مصلحة أهل السفينة، ما أراد الإفساد ولا الإغراق ولا شيء، لكن

عنده علمٌ، علمه الله عز وجل بعواقب الأمور، فاعتذر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف:٧٣].

فمَرَّا وجدا الغلام، جاء الخضر فاحتز رأس الغلام وقطعه؛ قتله، اعترض موسى بشريعته ما يجوز قَتْلُ نفسٍ بغير نفسٍ، فبَيَّن له الخضر أن هذا الغلام لو عاش، لأرهق والديه طغيانًا وكفرًا، علمٌ أطلعه الله عليه، وأن الله سيُبدلهما خيرًا منه، فِفعْلُه ما هو من هواه الخضر، بل هو من أمر الله، ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف:٨٢]، من أمر الله.

وهكذا قصة بناء الجدار.

فالشاهد أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رَحَلَ لطلب العلم هذا علو الهمة.

عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن لي نفسًا تَوَّاقة، ما نالت درجةً في الدنيا إلا تاقت لما هو أعلى منها، فكان من علو همته أنه يأخذ العلم عن أصاغر الصحابة وكبار التابعين في المدينة، وكان أمير المدينة؛ لذا صار فيما بعد إمام السُّنَّة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويقول إنها لَمَّا نالت الخلافة تاقت إلى الجنة أعلى من الخلافة، ومن الدنيا وما فيها.

فهكذا يكون طالب العلم، عنده علو همة، يَجتهد ويُحسن الظن بالله أن الله تعالى سيُعطيه فوق أَمَلِه، من كرمه سبحانه وتعالى وجُوده، فيجد في الطلب ويدعو الله عز وجل أن يُحقق الحاجة والأرب، فيطلب العلم من أجل أن يعمل لله بدينه على بصيرةٍ، ومن أجل أن يُعلم أقرب الناس إليه وأحق الناس ببره وصِلته، من والديه وأهله وأقاربه، ويطلب أن يكون مرجعًا للعلم الشرعي، وحَلْقَةً في سلسلة سنده للنبي ﷺ، وأن يكون ممن يحفظ الله بهم الشريعة، ويهدي بهم الأمة والفئام من الخلق إلى أن يأتي الله بأمره، هذا علو الهمة، وأن الله تعالى يحشره يوم القيامة في زمرة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، إن من أخذ ميراث النبي ﷺ في الدنيا كان في زمرته يوم القيامة.

هذا علو الهمة، ما هو علو الهمة أن الإنسان يشتري سيارةً فخمةً، أو يُحَصِّل كذا من المال، أو يصير صاحب منصبٍ من مناصب الدنيا، لا؛ هذا ما هو علو الهمة، هذا يناله البر والفاجر.

لكن علو الهمة أن الإنسان يكون له مقامٌ في الدنيا في إظهار دين الله عز وجل، وهداية الخلق إليه، ومقام في الآخرة أنه يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هكذا.

هذا علو الهمة، أن يُصبح يومًا من الأيام من أئمة الدنيا في العلم، من أئمة التقى، من أعلام الهُدى، وأنه يطمح أن الله عز وجل يُبلغه من الجنة الدرجات العُلى، هذا هو علو الهمة.

أما علو الهمة في الدنيا ترى هذا كله حاصل، أي إنسانٍ يكون عنده طموح ويحدد هذا الطموح، ويَجِدُّ في تحصيله وتعاطي الأسباب، إذا لم يُحَصِّل الغاية كاملة، حصل منها (٧٠ ٪)، سواءً كان طموحًا إلى مال، أو طموحًا لتحصيل زوجةٍ بأوصافٍ معينةٍ، أو لتحصيل وظيفةٍ أو رتبةٍ من رُتب الدنيا، هذا سهل، لكن أين علو الهمة في الآخرة؟، أن يكون عندك طموح أن يجعلك الله عز وجل من أئمة المتقين في الدنيا والآخرة، ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤]، ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] ، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ : «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**»، يخبرنا الله تبارك وتعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء، إن ظننت بالله خيرًا وجدته، وإن ظننت بالله غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك، فهذا علو الهمة أن الإنسان يترفع عن الدنايا، وعن حطام الدنيا، ما يكون هو الشغل الشاغل، يأخذ منه بقدر الحاجة والبلغة، لكن الهمة تكون أعلى، أين منزلك في الآخرة؟

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون ١-١١].

يقول النبي ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفه عرش الرحمن**»، هذا علو الهمة؛ أن يترفع عن الدنايا، ويطلب معالي الأمور دنيا وآخرة. **نعم**.

والتحلي بها يَسْلُب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتثُّ منك شجرة الذل والهوان والتَّمَلُّق والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف.

كان الإمام **النووي** – رحمة الله عليه –، وبعده شيخ الإسلام **ابن تيمية** –رحمة الله عليه –، وغيرهم من أهل العلم، كانوا أطفالًا في سن السابعة والثامنة والعاشرة، وكانوا يتركون الأطفال قرنائهم يلعبون في البيوت والشارع، ويذهبون للطلب، فيأتي أقرانهم الأطفال ويلزمونهم باللعب معهم فيأبون، فيتضاربون معهم، ويذهب أحدهم للمسجد يبكي، ومضت الأيام وقيل: الإمام النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية، والأطفال صاروا من عوام الناس، انظر كيف، هذا علو الهمة، في سن السابعة والثامنة والعاشرة، هذا علو الهمة.

الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُذْكَرُ عنه موقفٌ طريفٌ: كان في هذه السن سن العاشرة أو الثاني عشر، وكان أبوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاضيًّا في العيينة، وكان في يوم ما فيه في البيت مالٌ، والقضاة ما لهم مرتبات، فالخصوم يدفعون أجرة القاضي لأنه مُتَفَرِّغٌ لحل مشاكل الناس، فمَرَّةٍ من المرات كان الشيخ **عبد الوهاب** والد الشيخ محمد نائمًا في القيلولة الظهر، فجاءه

خصمان، والشيخ قال لزوجته: لا توقظيني إذا جاء أحدٌ، أَخِّريهم للعصر، فلما طرقا الباب، وأخبراها أنهما خصمان، اعتذرت قالت: الشيخ نائم، يعني انتظروا إلى العصر، صلوا العصر تجدون الشيخ، هي حريصةٌ أنهما يصلوا العصر عشان دينارين، كل واحد يدفع دينار، والدينار عملةٌ ذهبية، وَدَّتْ أنهم ينتظرون حتى العصر ويصلوا مع الشيخ ويعطونه دينارين، خرج الشيخ محمد وهو في سن العاشرة أو الثانية عشر، قال: ما شأنكما، قالا: خصمان اختلفنا، قال: عند إيش؟، قالوا: عند أرض، قال: ويش الفرق بين هذا، أنت إيش تبغى وأنت إيش تبغى؟، فقَدَّر أنه يرضيهم الديناران، يرضي أحد الخصمين، فقال: خلاص، أنتم معكم دينارين؟ قالوا: نعم. قال: هاتوها، فقال: لا، أنت خذ الأرض وأنت الأخر تنازل وخذ دينارين، فأصلح بينهما وانتهى الموضوع، فغضبت زوجة الشيخ ليش قَطَعَ الرزق عنها، لكن انظر الهمة، عمره عشر سنوات.

مثل قصة سليمان مع أبيه داود – عليهما السلام – أنه إذا لاحظ على أبيه خطأً في القضية، يُسوي محاكمةً بين زملاءه من أقرانه، حتى يُنبه والده على الخطأ، فمرت قضية على داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن أُناسًا اتهموا امرأةً بالزنا، أربعة، الأربعة نصاب الشهادة بالزنا، فأراد داود أن يُقيم عليها الحد بالرجم، ليش؟ عشان فيه شهود الشهود، والمرأة يمكن أنها استحت ولم تُواجه، فسُليمان انتقد الوضع هذا، يعني إن هذا باقي فيه شيءٌ، فسوَّى محكمةً مع أصدقاءه، وجعل نفسه هو القاضي، وهذا مُدَّعِي مُدَّعِين أربعة، والمدعى عليها المرأة، وبعدين سمع الدعوى وشهادة الشهود؛ رَمْي المرأة بالزنا، والمرأة ما استطاعت تجاوب، ففَرَّق الشهود سليمان، فبدأ يجيب الواحد ويَسأله أسئلة تُنبئه عن ضبط الشهادة، فاختلفت شهادة الشهود، فبرأ المرأة، فرآه داود فرجع وحكم ببراءة المرأة.

وفيه قضايا أخرى: منها قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾ [الأنبياء:٧٩].

هذا علو الهمة يعني: طفل عمره العاشرة، ومع ذلك عنده همة، يُميز في القضاء والاهتمام بالعدل، هذا طموحه. **نعم**.

فكبير الهمة ثابت الجأش، لا تُرهبه المواقف، وفاقدها جبانٌ رِعديدٌ، تغلق فمه الفهاهة.

ولا تغلط فتخلط بين كِبر الهمة والكِبر، فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

كبر الهمة حلية وَرَثَة الأنبياء، والكبر داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء .

فيا طالب العلم ارسم لنفسك كِبر الهمة، ولا تنفلت منه وقد أومأ الشرع إليها في فقهياتٍ تُلابس حياتك، لتكون دائمًا على يقظةٍ من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمُكَلَّف عند فَقْدِ الماء، وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المِنَّة التي تنال من الهمة منالًا. وعلى هذا فقس، والله أعلم.

يعني أن الإنسان متى يتيمم بدلا عن الوضوء؟

إذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله لمرضٍ يعني، بحيث أن المرض يستمر أو يزيد، يتضرر يعني بالمرض إذا استعمل الماء، فيتيمم حتى لا يتضرر.

أو لم يجد الماء.

في حُكم من لم يجد الماء: إذا كان الماء موجودًا ولكن السعر أغلى مما يستحق، فإذا كان السعر المثل يشتري الإنسان، لكن لم يجد قيمة الماء أصلًا، أو وجد لكنه أغلى مما يستحق، فرخص الله له أن يتيمم، حتى لا يُعاني الذِّلة والمِنّضة، من أجل أن تكون همته عَلِيَّة، ورأسه مرفوعة.

وهكذا نصوص الشرع تجعل طالب العلم عزيزًا، كريمًا، رفيعًا، شريفًا، من غير علوٍ ولا استكبارٍ. **نعم**.

الأدب الخامس والعشرون: النَّهْمَةُ في الطلب

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الخليفة الراشد علي بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنه -: قيمة كل امرئ ما يحسنه.

وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، فاحذر غلط القائل.

الشرح:

أحض منها قول **ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لما سُئِل: أنى لك هذا العلم، قال: لسانٌ سَؤُول، وقلبٌ عقولٌ، وجسمٌ في طلب العلم غير ملولٍ.

وكان يأتي إلى أبواب أكابر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ليسألهم عن أحاديث الرسول ﷺ؛ فلا يطرق الباب عليهم خشية الإزعاج والإساءة، فينتظر تلفحه الشمس، وتسهو الريح التراب في وجهه، إجلالا لأهل العلم وتوقيرًا لهم، فإذا خرج أحد قال: يا ابن عم رسول الله: كيف تجلس هكذا؟ ما أشعرتني، قال: لا.

فهذا هو النهمة في طلب العلم، ولذلك العلماء - رحمة الله عليهم - سافروا إلى الأمصار النائية والبعيدة مع بعضهم البعض، من أجل تلقي العلم عن أهله، ومن أجل علو الإسناد في العلم، ومن أجل الاكتساب من آداب وأخلاق الشيوخ، ومن أجل أن هذا في طريق الجنة، «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**»، وإذا انقطعوا من النفقة، ما يسألون الناس تَكَفُّل المال، ولا يظهرون بمظهر الضعف، يُؤَجِّر أحدهم نفسه فيحمل متاع الناس حتى يُحَصِّل نفقته، انظر إلى عزة النفس، وكرم النفس، والشهامة والمروءة.

فالنهمة في طلب العلم أن يكون الإنسان حريصًا على الطلب: يقرأ تارةً، ويستمع تارةً، ويكتب تارةً، ويلقي الشيوخ تارةً.

وكان أحد أصدقائي في الطلب في مدينةٍ يقول لي في وَقْتٍ ذكره، يقول: ما جاء طالب علمٍ إلى المدينة اللي أنا فيها، إلَّا التقيت به، اليوم أسمع أنه جاي طالب علم قاضيٍ منتدبٍ ولا قاضي معينٍ جديدٍ، ولا زائر، ألتقي به، وأسأله؛ أستفتيه، وأقرأ عليه أي شيءٍ، أقرأ عليه القرآن، أقرأ عليه حديث، أقرأ عليه متنًا علميًّا، أقرأ عليه كتاب المطالعة في الابتدائي، أقرأ عليه مجلة، يقول: لو لم أجد إلا مجلة أقرأ عليه، عشان يستفيد من علمه، أقل الأحوال أن يُصحح لي خطأ في الإعراب، في غريب اللغة، في كذا في كذا، ما قدم أحدٌ ينتسب للعلم أو أعرف أنه من أهل العلم إلا لقيته وأخذت عنه، هذه الهمة في طلب العلم، **الشيخ إبراهيم بن محمد البركان** – رحمة الله عليه –، اللي له مدخلٌ إلى علم العقيدة، وله كتبٌ طيبةٌ وجيدةٌ.

ومن طرائف هذا الرجل أنه على وِرْدٍ شديدٍ في قراءة القرآن، يقرأ مقدارًا من القرآن، جزئين في اليوم، لا يمكن ينام إلا وقد قرأ وِرْده، وأحيانًا أروح أنا وإياه مشوار في خارج البلد يمين أو يسار، فإذا جئنا للنوم، يقرأ وهو على فراشه حتى يُخَلِّص الورد قبل أن ينام يوميًا، ويوميًا يتروش الصبح، من النظافة.

على همةٍ في طلب العلم، وأَخَذَ عن الشيوخ وعن أهل العلم، وتَفَنَّن، فهذا رجلٌ عجيبٌ يعني، ولذلك حَصَّل علمًا ونفع لله به – رحمة الله عليه – فكان ذا همة عليةٍ، غير عادية في طلب العلم، مُجِدٌّ في الطلب. **نعم.**

فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر، وصوابه: كم ترك الأول للآخر!

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق.

كان هذا يدرس في كلية الشريعة – الله يرحمه –، طالب في كلية الشريعة، كان في أيام الامتحان الطلبة عندهم ما يسمى الآن حال طوارئ للمذاكرة وكلهم عُزَب، كل بيت فيه: خمسة أو ستة أو عشرة، جايين من خارج الرياض، ومشغولين بالمذاكرة، هو ذاكر من أوَّل

الفصل وانتهى؛ ويتمشى عليهم، في العصر والمغرب والعشاء كل يوم يزور عزبتين ثلاثة من طلبة العلم، ويقول: أيش أَشْكل عليك؟، شيء في أصول الفقه يشرح له، في اللغة يشرح له، في الإعراب يشرح له، في الفقه، في قواعد الفقه، قواعد الأصول، يحتسب أنه يأخذ جولة عليهم، وأي شيءٍ يُشكل عليهم في المذاكرة يشرح لهم مجانًا، يقول: أنا أَنَمِّي علمي وأنفعهم، لكن تصوروا أنه أيام الامتحانات يتمشى، خالص ما عنده شيء؛ يعني حافظ كل شيء؛ لأنه طول الوقت يذاكر، وهو أكثر الكتب قرأها على الشيوخ في المساجد، ما عنده مشكلة، ويحتسب أنه يتجول عليهم: ينصحهم، ويُعلمهم ما أشكل عليهم، ويُؤنسهم؛ لأنه صاحب نكتةٍ وطُرفة رحمة الله عليه. **نعم**.

ومهما بلغت في العلم، فتذكر كم ترك الأول للآخر.

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من تاريخ بغداد للخطيب ذِكْرٌ من قصيدة له :

لا يكـــون السَّـــرِّيُّ مثـــل الـــدَّنِيِّ لا ولا ذو الـــذكاء مثـــل الغبـــي

قيمـــة المـــرء كلمـــا أحســـن المـــر ء قضـــاءً مـــن الإمـــام علـــي

الأدب السادس والعشرون: الرحلة للطلب

الشرح:

الرِّحْلة أو الرُّحَلة، الإنسان يكون رُحَلَة حريصٌ على لقاء الشيوخ، بمعنى أنك مثلا في إجازة الربيع أو نصف السنة، تقول: الإجازة أرتحل لمكة شرفها الله آخُذ عمرة وأقرأ على الشيوخ في المسجد الحرام، أو أسمع الدروس، الإجازة الثانية تقول أروح المدينة طبية الطيبة أُحَصِّل فريضة الصلاة في مسجد النبي ﷺ وأقرأ على الشيوخ، أجد أساتذة الجامعة الإسلامية وغيرهم، فمِنْ وقتٍ لآخر تقول: والله أسمع عن عالم جليل في جيزان، أروح له أحضر عنده في فصل الشتاء، أبعد عن البرد وأحضر عنده، تقول: أسمع عن عالم في القصيم، يُثنى عليه خيرٍ وعلى منهج السلف، أروح أخذ عنه، هذه الرحلة طلب العلم، وبهذا تكون أنت رُحَلَاء، يعني كثير الترحال في الطلب، وتحيي سنة السلف الصالح، ما يضر، تجد عالمًا مُبَرَّزًا في العلم تأخذ عنه، تجد عابدًا مشهورًا في العبادة عن السلف تأخذ عنه، زاهدًا من الزهاد تأخذ عنه، فملاقاتك لمن ينتسب للعلم والفضل هذه غنيمة لك، زيارتك للمشايخ في الرياض، عندك قائمة بخمسة مشايخ أو عشرة معروفين من أعضاء الإفتاء، من القضاء، من كذا، فتحاول أنك تزورهم في الوقت المناسب، أقل الأحوال تصلي معه في المسجد وتسلم عليه وتجلس عنده خمس دقائق، منهجٌ صحيحٌ هذا. **نعم**.

القارئ: أحسن الله إليك، من لم يكن رُحْلَةً لن يكن رُحَلَة.

الشيخ: الرُّحَلَة نعم، كثير الترحال في طلب العلم.

فمن لم يرحل في طلب العلم، للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم، فيبعد تأهله ليُرْحَل إليه؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقتٌ في تعلمهم، وتعليمهم، والتلقي عنهم: لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية.

وهذه الرحلة للقاء الشيوخ يستفاد منها -مما يستفاد كثيرة الفوائد-، منها فائدتان:

الأولى: علو الإسناد في الرواية.

والثانية: العَرْضِ على الشيوخ أنفسهم، إنك تقرأ عليهم، إذا كنت تقرأ عليهم رسالةً واحدةً من رسائل أئمة الدعوة؛ عرض.

الأمر الثالث: المسائل المُشْكِلة عليك، مسألتان تَعْرِضهم على هذا العالم، ومسألتان على ذاك العالم، كلهم في مجال اختصاصك، تستفيد وتفيد. نعم.

لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية، والتجارب، ما يَعِزُّ الوقوف عليه أو على نظائره في بُطون الأسفار.

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين، الذين يُفضلون علم الخِرَق على علم الورق.

وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟!

وقال آخر:

إذا خـــاطبوني بعلـــم الـــورق   بـــرزت علـــيهم بعلـــم الخِـــرق

يعني: احذر الدراويش؛ الذين يعتمدون على الرؤى المنامية، والقصص المَحْكِيَّة، والأحاديث الموضوعة، لا يغرونك، ما هم طلبة علم. **نعم**..

فاحذر هؤلاء فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، بل فيهم من كان بأسًا وبلاء على الإسلام.

ومما أفيدكم به من تجربتي أنا من الرحلة ولقاء الشيوخ:

كنت في الإفتاء، والشيخ **عبد العزيز ابن باز** – رحمة الله عليه – هو رئيس اللجنة الداعمة للإفتاء وشؤون المساجد والمقابر ومصليات العيد، فإذا جاءتهم معاملة تتعلق بشيءٍ من هذا، يُرسلون لي مندوب للاطلاع على حقيقة الوضع، مرةً القصيم، ومرة جيزان، ومرة المدينة، ومرة مكة، ومرة تبوك، وأي بلد، فكنت إذا سافرت وقضيت الغرض الذي سافرت من أجله، أسأل عن العلماء في البلد: من الموجود؟، وأحب ما عندي المتقاعدين، الذين أمضوا التجربة كاملةً وتفرغوا، فأُفيد من تجربتهم، هذا يُطلعني على مذكراته التي كَتَبَها على مشايخه:

واحد أخرج مذكرة (كذا) كتبها عن المشايخ، يقول: توليت القضاء خمسين سنة، ما أَشْكَلَتْ عَلَيَّ مسألةً إلا ووجدت لها جواب وحل في هذه المذكرة، هو الذي كتبها بيده في مجلدة، يقول: ما أشكلت علي مسألة في القضاء، إلا ووجدت لها جواب وحل في المذكرة هذه، هذه من تجاربه.

وأحد يذكر لك سير المشايخ الذين ما تعرفهم، كيف كانوا في التدريس، كيف كانوا في العبادة، كيف كانوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف علاقتهم بالولاة، كيف علاقتهم مع الطلبة، فيُفيدك مثل ما يكون أرشيف.

وآخر تستفيد منه في المُشكلات التي مرت عليه في القضاء، في التعليم، في الحسبة، في كذا، يذكر لك كيف مرت بالمشكلة، وكيف وجد حلًا لها، وكيف انحلت عنده.

هذا ما يوجد في الكتب.

ثم أنه كنت آخذ أيضًا منهج ثاني: العالم اللي في المسجد، عارف أنه في مسجد، أُلقي كلمةً عنده، من باب العرض عند الشيوخ عشان يصحح لي، إذا انتهينا وصلينا وجلسنا قال:

أنت قلت كذا وكذا، وهذا الأولى كذا وكذا، أحسنت في كذا وكذا، استدليت بحديث ضعيف، قلت كذا والراجح كذا، فيصير كل واحدٍ يُقومك ويصحح لك.

فكان منهجي طول ثلاثين سنة أو أكثر؛ خمس وثلاثين سنة كله كذا.

هذه من فوائد لُقيا الشيوخ، الإنسان يستفيد من تجارب الذين قبله، ويدلونك على مظان المسألة، وعلى النوادر والطرائف التي مرت بهم وغير ذلك.

وأهم شيء ينقلون لك سير أهم العلم، الذين ليست لهم سيرٌ مدونةٌ أصلًا نقلت، وأخبارهم وأقضيتهم ومواقفهم مع الوُلاة ومع العامة وفي الأزمات وغير ذلك، فهذا علم عظيمٌ جدًا؛ علمٌ تطبيقيٌّ. **نعم**.

الأدب السابع والعشرون: حِفْظُ العلم كتابة

ابذل الجهد في حفظ العلم حِفْظ كتاب؛ لأن تقييد العلم بالكتابة أمانٌ من الضياع، وقَصْرٌ لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها.

الشرح:

العلــــم صــــيدٌ والكتابــــة قَيْـــدُه ... قَيِّـــد صُـــيودك بالحبـــال الواثقــة

فمــــن الحماقــــة أن تصــــيد غزالــــةً ... وتتركهــــا بــــين الخلائــــق طالقــــة

فالذي ما يكتب العلم ينساه، وأقل الأحوال أنك تكتب في غلاف الكتاب من داخله: أن هذا الكتاب فيه مسائل كذا وكذا، مسألة فقهية، مسألة عقدية، مسألة كذا، فيه ترجمة فلان كذا، بحيث يصير عندك فهرس للمسائل التي استوقفتك في الكتاب الذي قرأته، حتى ما يكلفك مرةً ثانيةً للرجوع، وفي نفس الوقت إذا مرت بك طرائف، قصص نادرة فيها عبرةٌ مفيدةٌ تقيدها، تَصْحِيح حديث، تحسين حديث، هذه مهمةٌ جدًّا.

قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**قيد العلم بالكتابة**».

ويكفي أن القرآن العظيم كُتِبَ في الأرض وكان مكتوبًا في السماء، كُتِب في الأرض، كتبه الصحابة في مصاحفهم، كتبوا تفسيرًا للآيات، كتبوا أحاديث الرسول ﷺ، كلٌّ يكتب بطريقته.

فهذا مهم، فتقييد العلم بالكتابة مهمٌ جدًّا؛ لأنك إذا قيدته سَهُل عليك مراجعته، ولأنك إذا قيدته تزيد عليه، كلما استفدت في المسألة أضفته، حتى يصير عندك في بعض المسائل شبه بحثٍ كاملٍ، من كثرة ما تُضيف إليها، بين الإضافتين عشر سنين خمس عشرة سنة أو ثلاثين سنة، هذا مهمٌ تقييد العلم، والذي ما يعتني بتقييد العلم، ما عنده سمة في العلم، ما يحصل؛ وأنا قلت لكم أنه: لو إنك قرأت الكتاب، ممكن أنك تعرف من مضمونه من (٢٠) إلى (٣٠

٪)، ولو كتبت هذا المضمون الذي تُريد، تحصلت على سبعين في المائة منه، ثم استزدت حتى تصير سبعين في المائة على الكتاب.

وما يُعِدُّه العلماء - رحمة الله عليهم - من الشروح والتعليقات على المتون، ترى هذا نتائج التقييد، نتيجة تقييد من حين الطَّلب وهم يقيدونه.

فقيَّدُوا وقت الطلب، وقيدوا وهم يُقرِؤون ويُدَرِّسون، وقيدوا وهم يبحثون ويراجعون، وقيدوا من مناقشة أهل العلم في المسائل المُشْكِلة، فاجتمع لهم الخير الكثير، ما فيه أحد يُسَوِّي حاشيةً من رأسه، لأ، مما كَتَبَ وقيَّد، ومما بحث، فلذلك لا بد للإنسان أن يُحقق ويُدقق.

قلت لكم في الدرس الماضي أن الإنسان يُقيد أحسن ما سمع، يكتب أحسن ما سمع، ويحفظ أحسن ما كَتَبَ، ويُحدث بأحسن ما حَفِظ، وعلى قدر الحاجة، هذا المنهج السليم.

وأي إنسان ما يكتب في العلم، ترى ما عنده علمٌ، ولو عنده يضيع، ولذا فَرَّق أهل العلم بين مَنْ يُحدث من كتابه، وبين من يحدث من حِفظه، فمن يحدث من كتابه أضبط وأحفظ.

نعم.

ومن أجل فوائده أنه عند كِبَر السِّنِّ وضعف القوى يكون لديك مادةً تستجر منها مادةً تكتب فيها بلا عناءٍ في البحث والتقصي .

ولذا فاجعل لك كُناشًا أو مذكرةً لتقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، فحَسَنٌ، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرةٍ، مرتبًا له على الموضوعات، مُقَيِّدًا رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قَيَّدْتَه (نُقِل)، حتى لا يختلط بما لم ينقل، كما تكتب: (بلغ صفحة كذا) فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة.

قد تقيد جملةً أو فقرةً واحدةً تُقَيِّدها مرت عليك والقارئ يقرأ، وعَلَّق عليها الشيخ، حين قيدتها تظن أنها سهلة، لكنها فائدة قيدتها، فإذا في يوم من الأيام تمر بك مسألة، فتجد هذا التقييد فاتحة له، مفتاح؛ يُلخص لك المراد، فبحاجة الإنسان أن يتعود التقييد والكتابة، أي كتاب تقرأه، قيد ما يُلفت نظرك، وأقل الأحوال -كما قلت لكم- الفهرسة، أن يكون في الغلاف من الداخل فهرس عن النقاط والمسائل المهمة، التي استوقفتك ولفتت نظرك، بحيث تسهل المراجعة عند الحاجة.

والآن في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمر على عشر فتاوى للشيخ، تريد فَهْمَ مسألةٍ ما تجد فيها آية، فالفتاوى ما تجد فيها هذا، ثم تجده يستطرد في موضعٍ آخر استطرادًا، ما له علاقة بالموضوع، ويأتيك بالزبدة التي تريدها أنت، وين تجد هذا، لو أنك ما قيدته ما وجدته؛ لأنه في غير مظانه.

فتجد مثلًا في «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»، آثارً مرويةً عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فيها حَلٌّ لمسائل كبيرةٍ في الفقه والاعتقاد، مثل القدر سِرٌّ الله في الخلق، القدر نِظام الملك، الله عز وجل أمر بالخير تخييرًا ونهاهم عن الشر تحذيرًا، أمر الناس بالخير تخييرًا، ونهاهم عن الشر تحذيرًا، وين تجد هذا؟! **نعم**.

وللعلماء مؤلفات عدة في هذا، منها: «بدائع الفوائد» لابن القيم، «وخبايا الزاوايا» للزركشي.

اقرأ كتاب «الفوائد» **لابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجد كل فائدةٍ في موضوعٍ، الفائدة نصف وجه، وجه كامل، وجه ونصف، وجهان، وتجد فيها بحثًا نفيسًا جدًا وبعدين إيضاح ما بعده إيضاح، وهذه مثل ما يسمونها الآن كشكول، من كل فنٍّ مسألةٌ. **نعم**.

ومنها: «كتاب الإغفال» و «بقايا الخبايا» وغيرها.

وعليه؛ فقيد العلم بالكتاب، لا سيما بدائع الفوائد في غير مظانها، وخبايا الزوايا في غير مساقها، ودُررًا منثورةً تراها وتسمعها تخشى فواتها، وهكذا فإن الحفظ يضعف، والنسيان يعرض.

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا سمعت شيئًا، فاكتبه، ولو في الحائط. رواه خيثمة.

جدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عامة المسلمين المحبين لأهل العلم والمجالسين لأهل العلم، وهو عاميٌّ، تلقيت عنه في الصغر مسائل وفوائد وأشياء إلى اليوم وأنا بعضها ما وَجَدَّتُ لها مرجعًا، لكن كل فترة كل ثلاث سنين أو عشر سنين أجد مرجع، أجد الفائدة من أين أُخذت؛ لأنه حفظها من المشايخ، ولم يُحدد المرجع، أنا علقت بذهني هذه، فإذا اشتُغلت أقرأ أحضر الدرس أو محاضرة أو كذا، مرت واحدة من هنا، ومرت واحدة من هناك، وإلى اليوم عندي مسائل متوقف فيها ما وجدتها، ما أدري وين هي، مع أنه عامي، وأنا أخذتها من سماعه بس، لكنه أخذها عن أهل العلم. **نعم.**

وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع فرَتِّبه في تذكرةٍ أو كناش على الموضوعات، فإن يسعفك في أضيق الأوقات التي قد يعجز عن الإدراك فيها كبار الأثبات.

الشيخ **بكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ التقيت به (عام ١٣٩١) في منزله، كم الآن؟

وقال: أنا عندي فوائد ونُتَف كُنْتُ جمعتها يوم كُنْتُ أمين مكتبة كلية الشريعة بالرياض، وأضفت إليها إضافاتٍ يوم كُنْتُ قاضي بالمدينة مكتبة أهل الحكمة، وأنا عازم -إن شاء الله- أصدرها في سلسلة كتيبات، وهي التي صدرت هذه وغيرها، «**حلية طالب العلم**» و«**التعالم**» و«**القنوت**» وكذا وكذا، هذه الفوائد التي كان قيدها هو، كان مهموم يقول: أنا عندي فوائد غيري ما يستطيع يُخرجها؛ لأنه ما يدري، ولا يرتبها على الذي أنا أريد، وأرجو الله أن يَمُدَّ في العمر حتى أخرجها، ومَدَّ الله في عمره وأخرجها، لكن يقول: عندي فوائد جمة كثيرة، وإني

عزمت على أن أصدرها على شكل سلسلة رسائل، وشوف هي الآن كم في السوق منها، عدة رسائل رحمة الله عليه، هذه نتيجة التقييد، تقييد العلم.

الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمة الله علينا وعليه – قُرِأ عليه «**بلوغ المرام**» أكثر من خمسين مرة، كل مَرَّةٍ يُعلق، وكل مرة يبحث عن إضافة فوائد، إذا صار الدرس غدًا، بالليل يُحَضِّر للدرس، لـ«**بلوغ المرام**» ولـ«**نيل الأوطار**»، وإذا أنه ما حَضَّر، يعتذر عن الشرح عن القراءة نفسها، يقول: لا تقرأ، كنا مُشغولين البارحة، عندنا اجتماعات اللجنة، هيئة كبار العلماء، ولا يَرْضى أنه يُعلق، فانظر كم جَمَعَ من الفوائد، فوائد حديثية، فوائد إسناد، فوائد فقهية، مناسبات.

والآن الشيخ عبد العزيز بن جاسم –جزاه الله خير – أخرج للشيخ مجموعةً فيها فوائد نادرة وتواريخ وَفَيات العلماء والأعيان وغيرهم موجودة، فيها فوائد نادرة. **نعم**.

الأدب الثامن والعشرون: حفظ الرعاية

ابذل الوسع في حِفظ العلم حفظ رعايةٍ بالعمل والاتباع.

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى-: ويجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه.

وليحذر أن يجعله سبيلًا إلى نيل الأعراض، وطريقًا إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه.

وليتق المفاخرة والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث نيل الرئاسة واتخاذ الأَتْبَاع وعقد المجالس.

الشرح:

فيه درس للشيخ عبد العزيز – الله يغفر له ولنا – يُعَلِّق، وإذا مرت المسألة في الحديث أو في التفسير أو كذا، وذُكِر الخلاف، قال: الصواب في المسألة كذا وكذا، أنا أقيد فقط كلمة الصواب في المسألة كذا وكذا، اختصارا يعني، ثم أبحث في المسألة، وأطلع على أقوال أهل العلم، وأدلة كل قول، والترجيح، ووجه الترجيح، وأنتهي إلى أن الصواب ما قاله الشيخ.

فهذه فوائد ما هي سهلة.

مثل الشيخ يعني أمضى أكثر من ستين سنة في التدريس، غير الطلب، كم حَقَّق من مسألةٍ؟، وكم وكم؛ هذا سهلٌ هذا؟

تأخذ أنت طَرِيٌّ زُبدةً فقط، ما تعبت، تأخذ الصواب في المسألة كذا وانتهى، إذا أردت التوسع ابحث عن الأقوال، وتوجيه الأقوال، والترجيح ووجه الترجيح، لكن هذا ينتهي، إذا قلت: الصواب كذا، ينتهي. **نعم**.

فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه .

وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رُوَاة العلوم كثيرٌ، ورُعاتها قليلٌ، ورُبَّ حاضرٍ كالغائب، وعالِمٍ كالجاهل، وحامِلٍ للحديث ليس معه منه شيءٌ إذ كان في إطراحه لحُكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

يعني أقل ما تكتب إنك تصحح الخطأ المطبعي، هذا يسمى تصحيف، خطأ غير مقصود، لكن أنت لو قَرَأْت وحدك السطر هذا، ما فهمت الكلمة؛ لأنها مكتوبةٌ غلط، فتصححها تكتبها صح.

الغريب الكلمة معناها اللغوي أصلًا إيش؟؛ لأنه فرق بين المعنى الأصلي وبين الاستعمال، قد يكون الاستعمال أوسع من الأصل.

الفوائد التي تستنبط من الآية ومن الحديث، كل هذا يحتاج تقييد، ما تستطيع تستوعبها في ذهنك، تبغي تستوعب في ذهنك فوائد ودروس عشر سنين؟!،

ما يمكن تستوعب هذا، فاجعله في كتاب متى ما احتجتها وجدتها؛ لأن ذهنك ما يستوعب كل هذا، فلا بد من التقييد، لا بد من كتابة العلم على الهوامش، على جوانب الصفحات يمين يسار فوق تحت، تحط رقم وتقيد. **نعم.**

وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

الأدب التاسع والعشرون: تَعَاهُد المحفوظات

تعاهد علمك من وقتٍ إلى آخر، فان عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها، أمسكها، وإن أطلقها، ذهبت». رواه الشيخان، ومالك في «الموطأ».

قال الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله-: وفي هذا الحديث دليلٌ على أن من لم يتعاهد علمه، ذَهَبَ عنه -أي من كان-؛ لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن المُيَسَّر للذكر يذهب إن لم يُتعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟! وخير العلوم ما ضُبِط أصله، واستُذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه.

وقال بعضهم: كل عِزٍّ لم يُؤَكَّد بعلمٍ، فإلى ذلٍّ مصيره. انتهى.

بركة.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس الخامس في شرح الحلية

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله تعالى وإيانا – في «الحلية»:

الأدب الثلاثون: التفقه بتخريج الفروع على الأصول

مِن وراء الفقه التفقه، ومُعْتَمِلُه هو الذي يُعلق الأحكام بمداركها الشرعية.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «نضر الله امرءًا سمع مقالتي فحفظها، ووعاها، فأداها كما سمعها، فرُبَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه».

قال ابن خير – رحمه الله تعالى – في فقه الحديث: وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث على معاني الحديث واستخراج المكنون من سره انتهى. وللشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية – رحمهما الله تعالى – في ذلك القِدح المُعَلَّى، ومن نظر في كتب هذين الإمامين، سلك به النظر فيها إلى التفقه طريقًا مستقيمًا.

ومن مليح كلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – قوله في مجلسٍ للتفقه: أما بعد، فقد كنا في مجلس التفقه في الدين والنظر في مدارك الأحكام المشروعة، تصويرًا، وتقريرًا، وتأصيلًا، وتفصيلًا، فوقع الكلام في [شَرْحِ الْقَوْلِ فِي حُكْمِ مَنِيِّ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ الدَّوَابِّ الطَّاهِرَةِ وَفِي أَرْوَاثِ الْبَهَائِمِ الْمُبَاحَةِ: أَهِيَ طَاهِرَةٌ؟ أَمْ نَجِسَةٌ؟ عَلَى وَجْهٍ أَحَبَّ أَصْحَابُنَا تَقْيِيدَهُ وَمَا يُقَارِبُهُ مِنْ

زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ فَكَتَبْت لَهُمْ فِي ذَلِكَ]، فأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبنيٌّ على أصل وفصلين.

واعلم -أرشدك الله- أن بين يدي التفقه التفكر، فإن الله سبحانه وتعالى دعا عباده في غير ما آيةٍ من كتابه إلى التحرك بإحالة النظر العميق في التفكر في ملكوت السماوات والأرض وإلى أن يُمعن المرء النظر في نفسه، وما حوله، فتحًا للقوى العقلية على مصراعيها، وحتى يصل إلى تقوية الإيمان وتعميق الأحكام، والانتصار العلمي.

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٢].

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:٥٠].

وعليه فإن التفقه أبعدُ مَدَىً من التفكر إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٧٨].

لكن هذا التفقه محجوزٌ بالبرهان، محجورٌ عن التشهي والهوى؛ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٢٠].

فيا أيها الطالب! تَحَلَّ بالنظر والتفكر، والفقه والتفقه، لعلك أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى فقيه النفس كما يقول الفقهاء، وهو الذي يُعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو فقيه البدن كما في اصطلاح المحدثين.

فأَجِل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط.

وأَجْمِع للنظر في فَرْعٍ ما بين تَتَبُّعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المُطَّردة، كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة، وجلب التيسير، وسد باب الحيل، وسد الذرائع.

وهكذا هُديت لرشدك أبدًا، فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق.

وعليك بالتفقه كما أسلفت في نصوص الشرع، والتبصر فيما يحف أحول التشريع، والتأمل في مقاصد الشريعة، فإن خلا فهمك من هذا أو نبأ سمعك فإن وقتك ضائع وإن اسم الجهل عليك لواقع.

وهذه الخَلَّة بالذات هي التي تُعطيك التميز الدقيق والمعيار الصحيح لمدى التحصيل والقدرة على التخريج، فالفقيه هو مَنْ تَعْرِض له النازلة لا نَصَّ فيها فيقتبس لها حكمًا.

والبلاغي ليس من يذكر لك أقسامها وتفريعاتها، لكنه من تَسْرِي بصيرته البلاغية في كتاب الله -جل وعلا- مثلا، فيُخرج من مكنون علومه وجوهها وإن كَتَبَ أو خطب، نظم لك عقدها، وهكذا في العلوم كافة.

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

في هذا المبحث ينبه الشيخ – رحمه الله تعالى وإيانا – على أن طالب العلم لا بد أن يتدرب ويمارس التفقه في نصوص الشرع، ونصوص القرآن، ونصوص السنة، وكلام السلف، بمعنى أن يقرأ النص قراءةً صحيحةً أول شيء.

ثم يتعرف على معاني الكلمات والجُمل.

ثم يوازن بين النص ونظيره من النصوص الأخرى، ويكون عنده إلمام بمقاصد الشريعة، وبقواعد الشريعة، حتى تكون عنده ملكة للاستنباط؛ أن يستنبط الأحكام من النصوص، هذا يحتاج إلى دُربةٍ وإشراف مُوَجِّه، وطُول تأمل، ومُقارنة بين النصوص.

ولا مانع أن الإنسان يأخذ النص ويتأمل فيه، ويكتب ما يستنتج منه، ثم يقارن استنتاجه باستنتاج أهل العلم قبله، حتى يتأكد من صحة الاستنتاج، أو من أين جاءته المداخل التي سببت له الخلل.

فمثلًا: نصوص الشرع واضحة، كقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»، هذا واضحٌ جدًّا، أن العمل: الفعل أو الترك أو القول لا بد أن يكون مقصودًا؛ لأن النية هي القصد، لا بد أن يكون مقصودًا، فإن قُصِد به الخير فهو لصاحبه، وإن قُصِد به الشر فهو على صاحبه.

«**إنما الأعمال بالنيات**»، فإن الإنسان لو توضأ وما قصد الوضوء، لا يعتبر وضوؤه شرعيًّا، لو توضأ قاصدًا الوضوء، لكن ما قَصَدَ التعبد، يريد أن يموه على غيره، أنه توضأ وسيُصلي وهو ما نوى الوضوء الشرعي، فهذا لاغٍ وآثم عليه، وإذا توضأ قاصدًا الوضوء الشرعي، متحريًا السنة في الكيفية، فله أجره، فإما أن يكون العمل غير مقصود، فهذا لغوٌ باطلٌ تصرف مجانين أو نيامٍ أو مذهولين، وإن كان العمل مقصودًا فإن كان وفق الشرع فهو لصاحبه، وإن كان خلاف الشرع، فهو على صاحبه.

«**إنما الأعمال بالنيات**»، صحة الأعمال وترتب الثواب عليها بحسب النية.

كذلك «**إنما لكل امرئ ما نوى**»، من خرج للجهاد في سبيل الله لا يريد إلا حبلًا من الغنيمة، فما له إلا هذا، ومن نوى إعلاء كلمة الله وحتى لا تكون فتنةٌ وهداية الخلق للحق، فله ثواب ذلك كله.

الهجرة نفسها كذلك.

ولذلك النبي ﷺ قعد قاعدة:

أولا: «**إنما الأعمال بالنيات**»، فلا يصير العمل معتدًا به إلا بنيةٍ وقصدٍ.

والثاني: الثواب أو العقاب بحسب النية.

ثم ضرب لك مثلين:

الأول: نية صاحبه غير شرعية.

والآخر: نيته غير شرعية.

[الأول] عنده حسبة، «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله**»، الهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، قد يكون هذا الانتقال منويًا محتسبًا فيه، فتكون هجرة شرعية. وقد يكون هجرة لغرضٍ دنيويٍّ، فهجرة لغوية، وليس له من هجرته إلا ما نوى، ولذا قال: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله:، يعني نيةً وقصدًا وحسبةً، فهجرته إلى الله ورسوله، صحةً حُكمًا وثوابًا.

«**ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» الصورة في الظاهر متشابهة، والمقاصد في الباطن متباينة، كل له حسب مقصده.

«**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد**»، قاعدةٌ شرعيةٌ: أن العمل إذا كان وفق الشرع في ظاهره وقُصِد به وجه الله عز وجل في باطنه، فهذا شرعيٌّ، وإذا أُصيبت به السنة في كيفيته، صار على السنة.

فالأول: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ميزان العمل من حيث الباطن.

والثاني: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا**»، أو «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، ميزان العمل الظاهر.

طيب هذا مثال من السنة، الله ﷻ قال في التنزيل الكريم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ ، حديث بعضهم إلى بعض؛ خصوصًا وسرًّا، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] ، فحديث هذا إلى غيره فيه خيرٌ؛ لأن فيه إعانة على الخير وهداية إلى الخير.

طيب: هذا الذي فيه إعانة على الخير وهداية إلى الخير قد يفعله بعض الناس من أجل القرابة ينصح صاحبه لقُربه منه نسبًا أو صهرًا، قد يفعله آخر لعصبيةٍ لقبيلته لوطنه، وقد يفعله ليغيظ غيره طرف ثالث، فما له أجرٌ في أَمْرِه بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، يعني ما هو لله، ومع ذلك هو ما فيه خير، يأتيه أجره في الدنيا، يُوسع الله عليه في رزقه، يُفرج الله له همه، يقضي الله له دينه، لكن ما له في الآخرة من خلاقٍ، إلا إذا ابتغى بهذا وجه الله؛ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤] ، نصوص الشرع لو تأملناها جميعًا، نصوص القرآن والسنة وقارنًّا بينها، وجدنا أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد أو تعطيلها، جميع نصوص الشرع تدور على هذا.

كذلك من قواعد الشريعة أنها جاءت بحفظ الضرورات الخمس، تجد نصوص الشريعة جميعًا الآيات والأحاديث مُتَّفقة ومتواطئة على حفظ الضرورات الخمس:

حفظ النفس: ولذلك لا يجوز قتل نفس بغير نفس، وما كان فرعًا عن القتل فلا يجوز بغير حقٍ، إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، حفظ النفس، فلا يجوز التعدي على نفس منفوسة إلا بإذن الشرع، ما يجوز؛ لأن النفس المنفوسة لها خالقٌ ولها مُدَبِّرٌ، كيف تعترض على خَلْقِه وعلى تدبيره؟، تعدي على الله عز وجل.

حفظ العقل: ولذلك مُنِعت الخمور والمخدرات وكل ما يُغَيِّب العقل.

حفظ المال: فلا يحل مالُ امرؤ مسلم إلا بطيب نفسٍ منه، فلا يُؤخذ حيلةً، ولا سرقةً، ولا غشًّا، ولا ظلمًا، ولا ربًا، ولا غدرًا، ولا كذا ولا كذا، ما يحل إلا بوجهٍ شرعي، عن طيب نفس منه، أو بوجه شرعي أن الشرع رخص له.

حفظ العرض (الشرف): ولهذا الأصل في الأبضاع التحريم حتى يأذن الشرع، ولذلك حُرِّم الزنا وحرمت الوسائل إليه، حُرِّم اللواط والوسائل إليه، واتفقت نصوص الشرع على هذا.

حفظ الدين: فلا يجوز الاستماع إلى أهل البدع، ولا الإصغاء لشبهاتهم، ولا الخلطة بهم، ولا أهل الشرك، ولا أهل الكفر، ولا أهل الإلحاد، حفظًا للدين.

فتواطأت نصوص الشرع جميعًا على تحريم هذه، المساس بالضرورات الخمس: النفس، والعقل، والمال، والعرض، والدين؛ فكل ما يُؤَثِّر على هذه الأشياء بنقصٍ أو إذهابٍ فهو محرمٌ، هذه من بديهيات قواعد الشريعة.

فتقرأ البر حُسْنُ الخُلق، يعني حُسن التعامل مع الناس بطلاقة الوجه، وطيب القول، وكف الأذى، وبذل المعروف، وتحمل الأذى، هذا هو البر، يجمع خصال البر كلها.

فإذا أنك مَرَّ بك آيةٌ أو حديثٌ: أول شيء تقرأه قراءةً صحيحةً، ثاني شيء تعرف المفردات، الكلمات ما معانيها، والجُمل ما معانيها، وثالث شيء تعرف ما يرشد إليه الدليل من القرآن أو السنة، وهذا الاستنباط، أن تعرف ما يرشد إليه الدليل من القرآن أو السنة.

طيب إذا سألناكم سؤالا، قلنا: يقول الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء:٧٩]، ما مضمون الآية؟

الحض على الأخذ بنصيبه من قيام الليل، واضح؟.

واضح جدًّا، الخطاب موجه للنبي ﷺ وللأمة تبعًا له، أن كل مسلم ينبغي أن يكون له نصيبًا من قيام الليل، وأقل ذلك أن تصلي شفعًا (ركعتين بعد العشاء وبعد السنة الراتبة، ووترًا ركعة)، ولو بعض الأحيان صليت ركعة تُجزي، وإذا زدت فهو خيرٌ لك، إذا حافظت على سبع ركعات، وهي أقل ما حُفِظَ من صلاة النبي ﷺ، إذا أخذت تارة سبع وتارة تسع وتارة إحدى عشر وتارة ثلاث عشرة هذا أكمل، إم صليت ما كُتُبِ لك مثنى ومثني وختمت وترًا، فهذا أكمل وأجمل.

طيب في الآية وعدٌ كريمٌ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، هذا للنبي ﷺ قضاه ولا لا؟،

لكن أنت لك نصيبٌ منه، وعسى في القرآن إيجابٌ، ما بعدها واجب الوقوع في التحقق، إلا إذا كان مبنيًا على شرطٍ ولم يتحقق الشرط، إذا كان معلقًا على شرطٍ ولم يتحقق الشرط.

فإذًا من حافظ على صلاة الليل، بعثه الله مقامًا محمودًا في الدنيا والآخرة، يجعل له نورًا في وجهه في الدنيا، قبولًا عند الناس ومحبة، يتيسر أمرُه ويُعان على ليلته ويومه والذي بعدها، وكذلك يوم القيامة يُسَرُّ بعمله، وفي القبر يُنَوَّر عليه، ويحشر في صفِّ أهل قيام الليل، ففيه إرشادٌ، وفيه وعدٌ كريمٌ.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦]، إذا أحدٌ قال: «**السلام عليكم ورحمة الله**»، قل «**وعليكم السلام ورحمة الله**»، هذا الرد، إن قُلْتَ: «**وبركاته**» فهذا أحسن وأكمل من «**السلام عليكم ورحمة الله**»، كذلك إذا قلت: غفر الله لنا ولك أحسن.

فنصوص الشرع واضحةٌ جدًّا، الآيات التي تكون ظاهرها التعارض أو النسخ أو التقييد أو الإطلاق، هذا هو الذي يختص به أهل العلم، الراسخون في العلم يجمعون بين النصوص، فإذا ما يمكن الجمع يُنظر في النسخ، لكن الجمع بين النصوص هو الأولى؛ لأن النص الآخر

قد يكون مُقَيِّد، قد يكون مُخصص، قد يكون مُفسر، فلا يُصار إلى النسخ إلا إذا تعذر الجمع بين النصوص؛ لأن النصوص لا تتعارض ولا تتناقض؛ لأنها من عند الله عز وجل، والنبي ﷺ يبلغ عن ربه، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

فهكذا الإنسان أول ما يقرأ، يقرأ النص قراءةً صحيحةً مُجودةً.

ثانيا: يتأمل في معاني المفردات:

«**الأعمال بالنيات**»، أيش الأعمال؟، الأفعال، الأقوال والفعل والترك.

«**بالنيات**» النيات جمع نيةٍ، والنية لغةً القصد، اصطلاحًا: العزم على فعل الشيء.

«**وإنما**» أداة حصر.

«**لكل**» أداة عموم.

«**امرئ**» شخص رجل أو امرأة.

«**ما نوى**» ما قصد.

وهكذا يتعود الإنسان أنه يكون عنده ملكة في التفكير في النصوص، والتدبر لمعانيها ومقاصدها، واستنباط الهدى منها؛ لأن النصوص هُدَى؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣].

إذا دخلت على أهلك – البيت يعني – فسَلِّم يكن بركة عليك وعلى أهلك، فإذا وجدت أمامك أحدٌ فقل: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، أكمل شيء، ما فيه أحد قل: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»؛ لأنك تطلب هذه البركة، فهذا إرشادٌ بالسلام ووَعْدٌ بالبركة، تستغني عن البركة؟، لا، وهكذا إذن الإنسان يفهم هذا؛ لأن هذا هُدى له، في كل مقامٍ.

عند لبس الثوب ماذا تقول؟، «**الحمد لله الذي رزقني هذا وكساني، من غير حول مني ولا قوة**»، «**اللهم أسألك خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له**»:

أول شيء: أنك هذا ذكر لله ﷿.

والثاني: أن هذا حفظ للسنة وتأسي بالنبي ﷺ.

والثالث: أنك تنال خير هذا الثوب، خير هذا اللبس، وتستعيذ بالله من شر هذا اللبس.

فكم يكون لك من عمل يومي؟، كل يوم تفسخ تلبس، ولهذا فأصل اللبس ذِكْرٌ، التزم به، تقول: «**الحمد لله الذي رزقني ما أواري به عورتي** -أستر عورتي- **وأتجمل به عند خلقه**»، هذا شكر لله على أنعامه، وهذا هو المقصود من النصوص، هذا فقه النصوص؛ لأن فقه النصوص العمل بها.

تدخل مكان قضاء الحاجة، عند الدخول تقول: «**بسم الله**» «**أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»، هذا فيه تفكير أو تفكر، لأ، هذا يبغى التزامك بس، وتقدم رجلك اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج، طيب، تُمسك عن ذكر الله عز وجل حال جلوسك في هذا المكان، ما يليق أن يُذكر الله عز وجل فيه، وقد لجأت إلى الله عز وجل بذكره، بحيث أن هذه الحشوش أماكن نجاسات محتضرة، فيها شرار الخلق الشياطين، فأنت عذت بالله من شرهم، «**أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»، إذا خرجت تقول «**غفرانك**»، اعتذار أنك انقطعت عن ذكر الله وقت الحاجة، واعتراف بالإنعام، أنك عاجز عن شكر الله عز وجل على نعمته؛ ليش؟

لأن الله عز وجل أذاقك لذة المأكول والمشروب، وأبقى فيك منفعته، وأخرج منك أذاه، أما تشكر الله على هذا؟!

فهذا فقه النصوص، الفقه هو العمل بالنص.

فالنص الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير فقهه العمل، والنص الذي يحتاج إلى تفسير وتدبر فقهه أن تعرف المراد منه، وما هي الهداية من هذا الشيء.

طيب، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠]، واضح النص؟ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر يعني ما بذلتم من صدقة، أو ذبحتم من أضحية أو هَدْي أو ما ألزمتم به أنفسكم والله لم يُلزمكم به، من إيجاب صلاةٍ أو صيامٍ أو غير ذلك، فإن الله يعلمه، طيب الله عز وجل يعلم كل شيءٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩] ، طيب: ما هو الإفادة لنا بأن الله يعلم النذر أو النفقة؟ كونه يعلمها سبحانه وتعالى أمرٌ مفروغ منه، إذا ما المراد؟

المراد يجازي عليه، إذا ابتغيتم وجه الله عز وجل أثابكم وأحسن إليكم، وإن ابتغيتم أمرًا آخر مُحرمًا فإن الله يجازيكم، ففي ضمن الإخبار بالعلم التذكير بأنه سيجزي عليه، فأحسنوا قُصودكم، وأحسنوا كيفية أدائكم لهذا، كيفية الإنفاق والنذر، حتى تنالوا من الله عز وجل الثواب الكريم الأوفى.

فهذا هو إلحاق الفروع بالأصول.

ومن ذلك: أنك تقيس على هذا.

طيب ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠]، إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها فله صدقة، أي نفقةٍ، إذا أنفقت على نفسك هو أفضل ما تُنفق، اشتريت لك ثوب جميل تستتر به، هذا أفضل من الصدقة على غيرك، فإذا كان الله عز وجل يَجزي عن النفقة، ويجزي عن النذر، فيجزي عن التعلم والتفقه بالدين، ويجزي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجزي عن الجهاد في سبيل الله، ويجزي عن النصيحة لأئمة المسلمين.

قس هذا على ذاك، كل ما يحبه الله عز وجل أن يُفعل إذا فعلته يجزيك الله عليه، وما يحبه الله عز وجل أن يُترك، إذا تركته يجزيك الله عليه، فلا يجزيك إلا على الحسبة على نيتك وقصدك، وعلى موافقتك للشرع في الكيفية، وأن يكون مما شرعه الله، أن يكون أصله مشروعًا. **نعم**.

أنا ضربت لكم مثلًا، قلت لكم: السواك بنصف ريالٍ أقل شيء.

طيب: يُشرع السواك عند الوضوء، عند المضمضة وخصوصًا بعد القيام من النوم، ويشرع عند الدخول في الصلاة، وعند تلاوة القرآن، وعند تغير رائحة الفم، وعند وعند وعند، وله أحصى العلماء – رحمة الله عليهم – للسواك ست عشرة فائدةً، واحدةٌ من الفوائد هذه: إن الصلاة بسواكٍ أفضل من صلاةٍ بلا سواك، وفيه حديثٌ ضعيفٌ جدًّا: إن الصلاة بسواك تعدل سبعين صلاة بغير سواك، لا تأخذ بالحديث الضعيف هذا، قل: إن الصلاة بسواك أقل ما يمكن أنها تعدل صلاتين، فبكم تبيع أجر صلاتك الثانية هذه، بنصف ريال؟، يوم القيامة بكم تبيع الحسنة؟، أحدٌ يبيع حسناته يوم القيامة! لأ، فإذًا تحرص على ألا يفوتك السواك عند أي صلاةٍ، يقول ﷺ: لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ومن حرص الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن السواك على موضع الأذن، موضع القلم من الكاتب، ما عندهم مخابئ مثلنا، ليش السواك بهذا القرب؟ لكيلا يَغفل عندما يَشرع بالصلاة، على طول يتسوك، من عنايته ﷺ بالسواك أن خصص رجلًا من أصحابه مسؤولًا عن جني السواك، يأخذ السواك يجمعه ويُهيئه للنبي ﷺ ويعطيه له ليتسوك، ابن مسعود صاحب السواك والنعلين، فإذًا أنت يكون عندك السواك في جيبك، عندك سواك في السيارة، عندك سواك عند وسادة النوم، عندك سواك في المكتبة، ليدل هذا على اهتمامك بالسواك، أين الاهتمام بالسواك؟، أما لك في سول الله ﷺ أسوة حسنة؟، هذا التأسي، ليش تكون غافل؟.

الله عز وجل وصف المؤمنين بأنهم يتلون آيات الله آناء الليل والنهار ولا لأ؟،

هذه صفة المؤمنين من هذه الأمة ومن كل أمة، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة:١٢١].

طيب أنت الآن أسألك: كل واحدٍ منكم، هل لك مصحفٌ خاص متعلق به؟

لأ، ما لك مصحف؛ لأنك لست على منهج، ما لك مقدارٌ من القرآن تقرأه يوميًا، ما عندك في البرنامج في رأسك ما فيه أنك تختم القرآن، لا كل أسبوع، ولا كل عشر، ولا كل نصف شهر، ولا كل شهر، وحتى ولا كل شهرين ثلاثة، طب ليش؟!، أيش كان منهج السلف؟

تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار، حتى كانوا يقيسون المسافات بين القُرى بأجزاء القرآن، حتى كانوا يحفظون الوقت يقولون بين أكل الخبز بالإدام وَسَفِّ دقيق الخبز اليابس وشرب الماء خمسين آية، لما سُئِل **أسامة بن زيدٍ** عما بين سحور النبي ﷺ وصلاته في رمضان في الفجر، قال: خمسون آية، ما قال مثلنا الآن: خمس دقائق عشر دقائق، لأ، خمسون آية؛ لأنهم متعلقون بالآيات، يقول الآخر لصاحبه إذا أراد أن يودعه للسفر قال: عليك بتلاوة القرآن، فإني رأيت الحاجة تقضى معه؟ إيش المانع أنه يكون لك أنت مصحف خاص بك؟،

الآن وُجدت -ولله الحمد- طبعات للمصحف موحدة، بمعنى أنك تجد أن المصحف هذا بكل مسجدٍ، هذا إعانة لك على الخير، لكن إذا انتهيت من القراءة في المسجد، تدري وين وقفت على رقم الآية والسورة؟، في أي جزء أنت؟، إذا كنت تحفظ فأنت تدري، فإذا كنت لا تحفظ فاجعل في جيبك ورقة، وقفت على آية كذا من سورة كذا جزء كذا، حدد الصفحة من المصحف، طيب لماذا ما لنا مصحف؟، الصحابة كان لهم كل واحد مصحف؟، كل واحد كاتب مصحف بيده، أنت أيش يوقفك، لكن تلازم، وين منهج طالب

العلم؟، فلا بد أن الإنسان يكون عنده همةٌ، وعنده منهجٌ ثابتٌ، في السواك، في الصيام ثلاث أيام من الشهر، مثل أن يقوم ما شاء الله له من الليل، أن يتلو من القرآن ما شاء الله له ويكون له منهج، يختم في كل أسبوع، في نصف شهر، شهر، في شهرين، في ثلاثة، تدرون جملة أمثالكم ما يختمون القرآن إلا من رمضان لرمضان!، بعضهم ربما لا يقرأ!، إذا تأخر الإمام وجاء يصلي في المسجد أخذ المصحف يقرأ فيه، لكن ما عنده منهج، أين نحن والسلف؟، هل تعلمون أن عوام المسلمين الصالحين كل واحدٍ له مصحفٌ في المسجد، تغير لون انقطاعه من مسكته للمصحف؛ لأنه يأخذه خمس مرات في اليوم يقرأ فيه، وطلبة العلم والمشايخ الآن ما أجمل من صورهم ولبسهم ما لهم شيء، العوام خيرٌ منهم، وعلى هذا قِس.

تجد أن انتسابنا للإسلام وانتسابنا للسلفية وكذا كلام، لكن الحقيقة وين، السلفية منهجٌ عملٌ، ما هي بكلام ولا هي بدعوى، فينبغي على الإنسان أن يكون عنده همة، ومن ذلك أنك إذا قرأت الآية والحديث يستوقفك مضمون الآية ومضمون الحديث، تسأل نفسك هل يعنيك؟ هل أنت تطبق هذا الذي يعنيك أم لا؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢] ، هل تجتنب كثيرًا من الظن؟

أكثر ما عند الناس اليوم سوء الظن.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢] أكثر ما عند الناس الغيبة، وأكثر ما تكن الغيبة عند الذين ينتسبون للعلم، غيبة ومعها بهتٌ، معها زيادة، يقول فيه ويزيد.

طيب: وين الاستقامة؟، وين السنة؟،

ما هو الغيبة أكثر ما يعذب الناس به في القبر، أو يجي واحد ويقول: لا، الحديث عن النميمة، النميمة غيبة أصلًا؛ لأن نقل الكلام هذا غيبة، إذا كان على جهة الإفساد فهو نميمةٌ، حتى لو ما نويت، ما هو بشرط النية، إذا كان نقل الكلام يُفسد بين اثنين، صار نميمة.

والآن الناس يذكرون هذا الكلام بحيث أن عندك أخ لك كريم عليك عزيز عندك، وبعدين ينقل كلامه ينقله هذا حتى تُسيء الظن به وتحتقره وتكرهه، ولا تتعاون معه على خير، أي هذا ولا النميمة أشد؟، هذا أبلغ من النميمة، انتبه. **نعم**.

الأدب الحادي والثلاثون: اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل

الشيخ أحمد يقول: ما نَخَلِّص هذا الكتاب بالطريقة هذه ما نخلص الكتاب!، يتعجب! هذا المقصود من الكتاب، المقصود من الكتاب هذا، التنبيه على المهمات هذه. **نعم**.

لا تفزع إذا لم يُفتح لك في علمٍ من العلوم، فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك كما يُعلم من تراجمهم، ومنهم الأصمعي في علم العروض، والرهاوي المحدث في الخط، وابن الصلاح في المنطق، وأبو مسلم النحوي في علم التصريف، والسيوطي في الحساب، وأبو عبيدة ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبو الحسن القطيعي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء وأبو حامد الغزالي خمستهم لم يُفتح لهم بالنحو.

فيا أيها الطالب! ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كثيرًا ما يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آيةٍ من كتاب الله تعالى: «اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني ويا مُفَهِّم سليمان فهمني» فيجد الفتح في ذلك.

الشرح:

يعني أنك في الطلب والاستنباط الذي هو معرفة أحكام الفروع بمعرفة أحكام الأصول؛ لأن القياس إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكمٍ لعلةٍ جامعةٍ بينهم.

يقول: إذا استعصى عليك الفهم هذا فاستغفر لذنبك يمكن أنك مُنعت العلم بسبب ذنبٍ من ذنوبك، استهد ربك.

في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**»، اطلبوا من الله الهدى.

يقول الرسول ﷺ : «**اسأل الله الهدى والسداد، واذكر بالهدى الطريق وبالسداد ريشة السهم**»، يعني الإصابة، فهذا مطلوبٌ منك.

والأمر الثاني: أن العلوم فنون، فقد تُحْسِن فنًّا ويَسْهُل عليك وتبدع فيه، ويستعصي عليك فن ويستغلق، لا يعوقك عن غيره؛ اتركه، فإن كان عندك ملكة الحفظ، استعمل حفظك هذا، احفظ القرآن العظيم، احفظ السنة، دواوين السنة المعتبرة، احفظ القواعد، احفظ المنظومات، منظومات العلوم، تَفْهَم بعدين، لكن احفظ بس.

أحدٌ عنده قدرة على الاستنباط، ما عنده حافظة لكن يستنبط، يفهم النصوص، يُحلل ويستنتج، استعمل هذا.

أحد يكون عنده ميل للعربية واللغة، يستغل طاقته في هذه.

أحد يكون عنده ميل للحساب والرياضيات، استغل طاقتك في هذا.

أحد يكون عنده ميل للأصول والقواعد الفقهية، أصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة، اشتغل في ذلك.

أحد يكون عنده ميل لمعرفة آيات الأحكام وأحاديث الأحكام.

فكل واحد يأخذ مما يحسن ويترك ما لا يحسنه والذي يشق عليه، لا تُعَطِّل نفسك من أجل أنه يستغلق عليك فنٌّ، فلتترك الفن هذا الذي يستغلق عليك، فتجد واحد أسهل ما عنده الحساب، والحساب يُفيد في معرفة قسمة التركات والفرائض، واضح، هذه مصلحة لك وللناس، اشتغل في الفن هذا.

أحد يكون عنده الحفظ سهل، يحفظ عمدة الأحكام، بلوغ المرام، العمدة في الفقه، كذا وكذا من المنظومات الألفية، الرحبية، فهذا مفيدٌ جدًّا، اشتغل بهذا.

واحد يعنى في استنباط الأحكام من النصوص، فاشتغل في هذا.

نفس الشيء، لا تُعطل نفسك. **نعم**.

الأدب الثاني والثلاثون: الأمانة العلمية

يجب على طالب العلم فائقُ التحلي بالأمانة العلمية، في الطلب، والتحمل والعمل والبلاغ، والأداء، فإن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أُمناء فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانةٍ، فقد مس العلم بقرحةٍ ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاصٍ لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة في نفوسهم مُستقرًا، فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال، وتمييز من يُسرف في القول ممن يَصوغه على قدر ما يعلم، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرؤونه، فلا تخفي عليهم منزلته، من القطع بصدقة أو كذبة أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالها على سواء. انتهى.

الشرح:

يعني كما يقول القائل:

ونُـــصَّ الحـــديثَ إلـــى أهلـــه فـــإن الأمانـــة في نَصِّـــهِ

وإذا كَتَبْتَ خطبةً أو مقالةً، أو ما يسمونه في الدراسة الثانوية: التعبير أو الإنشاء، فاستشهدت بآيةٍ أو حديثٍ انقله نَصًّا، لا تزيد ولا تنقص، قال الله تعالى كذا، قال النبي ﷺ كذا، اذكر أول الحديث إذا ما حبيت تكتب كله كامل، أو الآية كاملة فاكتب موضع الشاهد الآية، يعني أكمل الآية أنت، الحديث يعني أكمل الحديث أنت، هذا واحدٌ.

الثاني: أنك إذا أنت ذكرت حديث إذا استشهدت بحديثٍ عن النبي ﷺ، انسبه إلى دواوين السنة، رواه البخاري، رواه مسلم، رواه الإمام أحمد في مسنده، رواه أهل السنن، رواه

كذا، وإذا استوثقت أن الحديث صحيح، قل: في الحديث الصحيح، أو: وهو حديث صحيح، ما استوثقت يكفي أنك نسبته إلى من أخرجه، رواه الترمذي، رواه أبو داود، رواه فلان، تطلع من العهدة أنت في هذا، نقلت كلام لأهل العلم في مسألةٍ، أعجبك الكلام، مفيدٌ ومختصرٌ؛ فنقلته، تقول: قال فلان، قال ابن تيمية في الفتاوى رقم كذا، قال ابن القيم، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قال فلان، انسبه إليه نصًّا، إذا ما هو بنص قل: انظر كذا بتصرف، يعني أني نقلت لك النص وعَدَّلت فيه بعض العبارات، حتى يؤيد ما أرمي إليه أنا، أنه ما هو بنص لكن بتصرف يعني، بإضافة، باختصار، ببسط، بكذا، هذا كله من الأمانة، كله من الأمانة.

فتَعَوَّد الإحالة فيما تنقل، إذا كان إنه ما هو نَصٌّ، فالأمر في هذا واسع، لكن تعود على هذا الشيء، ومن أحسن شيء أنك إذا نقلت فائدة فقهية، حديثية، في ترجمة، فيه كذا، أنك تقول: انظر كتاب كذا جزء كذا صفحة كذا، حتى أنك تستفيد لو نسيت بعدين فإنك تدري أي مرجع، فعَوِّد نفسك على هذا. **نعم**.

الأدب الثالث والثلاثون: الصدق

صدق اللهجة عنوان الوقار، وشرف النفس ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عينٍ، فيا خيبة من فرط فيه، ومن فَعَلَ فقد مَسَّ نفسه وعلمه بأذى.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم.

وقال وكيع رحمه الله تعالى: هذه الصَّنعة لا يرتفع فيها إلا صادق.

فتعلم – رحمك الله – الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق إلقاء الكلام على وجهٍ مطابقٍ للواقع والاعتقاد.

الشرح:

يعني: **الصدق**: مطابقة الكلام للواقع.

والكذب: مخالفة الكلام للواقع.

فالإخبار عن الشيء على ما هو عليه صدق، والإخبار عن الشيء بخلاف ما هو كذب، ولا يكون الأجر مع الصدق إلا مع الحسبة، ولا يكون الإثم على الكذب إلا مع القصد والعمد.

وإلا فالإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه يُعتبر كذبٌ، سواءً قصدت أو لم تقصد، فإن قصدت فأنت آثمٌ، وإن لم تقصد فأنت لا إثم عليك لكن مخطئ، ولا يعتمد عليك في النقل، فعود نفسك الصدق.

ومن الصدق: أن الكلام الذي تقوله في المجلس تقوله على وجه النصيحة لأهل المجلس، لإرادة الخير لهم، النصيحة أتعرفون ما هي؟، كثير نستعمل لفظ النصيحة والنصح.

النصيحة: هي الخلوص من الشوب إلى النقاء، والخلوص من الشوب ومن الأخلاط الرديئة، فنصحت الشيء نَقَّيْتَهُ، نقيته من الوَسَخ، من الأشياء الرديئة، نصحت الثوب غَسَلْتَه ونقيته، أو أنا غسلتُه ونقيته، نصحت العسل أيضًا نقيته من الشمع ومما يخالطه مما لا يُحمد، ففيها معنى الخلوص والنقاء النصيحة، هذا معناها اللغوي.

معناها الاصطلاحي الشرعي: حيازة الحظ للمنصوح له.

وكمال النصيحة أن تُحب لغيرك كما تحب لنفسك، وغايتها أن تدع ما لا بأس به خشيةً مما به بأس، التقوى.

فإذا هذه النصيحة.

فأنت الكلام الذي تلقيه على الناس في المسجد في الخطبة يوم الجمعة، في الحفل الخطابي، في المدرسة في حفل خطابي، في جمعية تحفيظ القرآن، في مناسبة من المناسبات، أمام ولاة الأمور، لا بد أن تكون ناصحًا لغيرك في هذا الكلام، ولا تأتي به استهلاك الوقت، ولا تزين عند الخلق، لا تزين ولا تَزَيُّد، وفي نفس الوقت تكون أنت ناصحًا لنفسك قبلهم؛ أنت مَعْنِيٌّ بكلامك قبل أن تَعْنيهم هم، هذا الصدق، الإنسان لا يقول كلام استهلاكي وتمشية حال، ولا تفاصُحًا وتعاظمًا وتزينًا، لأ؛ هذا ما يفيد، هذا في موازين الآخرة ما ينفعك، هذا يضرك.

فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت.

ومن عد كلامه مِن عمله (يعني ما يُسأل عنه يوم القيامة)، قَلَّ كلامُه إلا فيما يعنيه.

ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، فهمنا، مهمٌ جدًّا هذا. **نعم**.

فالصدق من طريقٍ واحدٍ، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك وأودية، يجمعها ثلاثة:

أولها: كَذِبُ المُتملق:

وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق لِمَنْ يعرفه فاسقًا أو مبتدعًا فيصفُه بالاستقامة.

ثانيها: وكذب المنافق:

وهو ما يُخالف الاعتقاد ويُطابق الواقع، كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية .

ثالثها: وكذب الغبي:

بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد كمن يعتقد صلاح صوفيٍّ مبتدعٍ فيصفه بالولاية.

فالزم الجادة (الصدق) فلا تضغط على عكد اللسان ولا تضم شفتيك، ولا تفتح فاك ناطقًا إلا على حروفٍ تُعَبِّر عن إحساسك الصادق في الباطن، كالحب والبغض، أو إحساسك في الظاهر، كالذي تُدركه الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

فالصادق لا يقول: أحببتك وهو مبغض، ولا يقول: سمعت وهو لم يسمع، وهكذا..،

واحذر أن تحوم حولك الظنون فتخونك العزيمة في صدق اللهجة فتُسَجَّل في قائمة الكذابين.

وطريق الضمانة لهذا إذا نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه أن تقهرها بذكر منزلة الصدق وشرفه، ورذيلة الكذب ودَرَكِه وأن الكاذب عن قريب ينكشف.

واستعن بالله ولا تعجزن.

ولا تفتح لنفسك سابلة المعاريض في غيرها ما حصره الشرع.

يعني أن الكذب تارةً يكون: كذب باعتقاد وسوء ظن، وهذا أخطر شيء.

وتارة يكون كذب لسان، وهذا يليه في الخطأ.

وتارة يكون كذب عقل، يعني نَقْص عقلٍ، وهذا صاحبه معدود من المجانين، أن ينكر الأمور المعلومة الواقعة، يتظاهر بالإنكار، وهذا نقص عقل.

فابعد عن الكذب كله، عود نفسك الصدق.

طيب، لو وقفنا عند هذه المسألة، الصدق والكذب، تجد نسبة من المتدينين أقرب إلى الكذب من غيرهم، نسبة ما أقول لكم كثيرة، ولا عظيمة، لكنها ذات اعتبار، ليش؟

لأنهم يحافظون على أشياء ومعنويات والتزامات.

تجد الواحد تملص، يكذب عشان يمشي، يصير مثل ما يقولون كذب دبلوماسي، تخلص من الموقف، لكن مسئوليته وتبعته بعدين مشكلة عليك، في موازين الشرع أو في موازين الآخرة.

فتعود الصدق، لا تتعود الكذب؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق**» يعني يجاهد نفسه عليه «**حتى يكتب عند الله صديقًا، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب**» أي يتساهل فيه ويمارسه «**حتى يكتب عند الرجل كذابا**».

وقد قال ﷺ: «**إن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»، فتجد الإنسان الآن أحسن الناس عند الناس تجده هو الإنسان اللبق الذي يتخلص من المواقف، والله كنا مشغولين كذا! يَكْذِبُهم، مهمته أنه يتخلص من مآزق الدنيا، ولا يُفكر أنه يتخلص من مآزق ومضائق القبر والآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٣٥].

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣] .

فعَوِّد نفسك الصدق، واترك الكذب، أكثر الكذب اليوم هو المُجاملة، والمداهنة، والتخلص من المضائق، ما له داعي ترى دي وهمية، تتوهم أن المضائق وهمية.

النبي ﷺ طرق باب واحدٍ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وإذا الرجل في حالةٍ خاصة مع أهله مع زوجته، فخرج الرجل يَقْطُر رأسه ماءً، فقال النبي ﷺ: «**لعلنا أعجلناك**»، قال: نعم. ما قال لا، والله كنت أشتغل وغسلت وكذا، قال: نعم. وانتهى الموضوع.

ووقف النبي ﷺ موقف الإمام ليكبر، أقيمت الصلاة، فذكر أنه على جنابة، فقال للناس: مكانكم، ووقف الناس على صفوفهم، وانطلق ﷺ إلى أحد حُجَرِ نسائه، واغتسل من الجنابة، وجاء ورأسه يقطر ماء.

ليش التكلف؟

نهينا عن التكلف، تقول: لا بأس، أنا كُنتُ أقرأ، كُنتُ أبحث، كنت في شغل في البيت، كنت كذا، كنت كذا؛ لا تكذب، عود نفسك دائما.

لو تأخرت على موعد، تقول: صار كذا عادي، ما فيه شيء، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، الشيء الذي يمكن يمشي وهو يُغطي، ما فيه بأس، لكن ما يكون الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو.

فالآن كل الناس يعرفون فضيلة الصدق، وقبح الكذب، كل العقلاء المتدينون وغيرهم، ولكن في الممارسة، الواحد يكذب كل يوم، إذا لم يكذب في اليوم عشرين كذبة فهو ما هو أقل، والنبي ﷺ رأى امرأةً تُنادي ولدها تقول: تعال أعطيك، ولد صغير، فقال: «**معك شيء تعطينه؟**»، فقالت: نعم، قال: «**لو لم يكن معك شيء لعدت عليك كذبة**».

والإمام **أحمد** -رحمه الله – ذهب يطلب العلم عند **عبد الرزاق** – رحمة الله عليه – في اليمن، وفيه بلدة ذُكِر له واحدٌ عنده حديث، يحفظ حديث عن النبي ﷺ، والإمام أحمد وده يروي هذا الحديث، فرأه قد رفع طرف ثوبه وينادي حماره، كأنه يعطيه؛ قال: معك شيء في ثوبك؟، قال: لا، قال له: ما أخذ عنك الحديث، الذي يكذب على الدابة يكذب على الرسول ﷺ.

الآن لو الإنسان بس يقيد كذبه اليومي، كان يُبْهَر يُبهت، أنه يكذب باليوم خمس كذباتٍ على الأقل، ما لها داعي، لا فيها حفظ نفس من الإزهاق، ولا حفظ مال، ولا حفظ عرض، لكن لأن الناس يتساهلون في الكذب، مشي حالك، صارت تمشية الحال هذه هي الرجولة، يسمونها الدبلوماسية، هذا الإنسان لبق، إنسان كذا؛ وهو كذاب دجال، أترضى أن تكون دجالًا؟، من كَثُر كذبه فهو دجال، والذي يكذب على نفسه يكذب على الناس، والذي يكذب على الناس يكذب على الله ورسوله ولا بد، احذر الكذب، ما فيه خير الكذب.

أنا أدركت أقوامًا، إذا لقي أحدهم الآخر، قال: والله يا فلان، والله إني أبغضك في الله؛ لأنك كَسْلَان في صلاة الفجر؛ لأنك كذا كثير الحلف؛ لأنك لسانك سليط فأنا أبغضك، ولا يجد ذاك في نفسه شيء؛ لأنه قال صدق، وجد: والله إني أحبك لأنك بارٌّ بوالديك جزاك الله خير؛ لأنك محافظ على صلاة الجماعة، لأنك كذا.

الآن هذا الكلام ما يقال أبدًا، صار الواحد يحب الزين والشين، ويُبغض الزين لأنه صار له موقف معه، ويحب الشين لأنه يُمشي له الأمور، وين الولاء، وين الحب والبغض في الله؟،

فالصدق مهم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، فيعود الإنسان نفسه الصدق، ويحاسب نفسه على الكذبة، ويعدها كبيرة، ويعدها خطيئة، ويخاف من عقوبتها، ويخاف أن يحشر يوم القيامة في صف الكذابين، فعند الناس الذين

ظاهرهم الاستقامة ومحبة الخير، عندهم أخلاق سيئة أصيلة في النفوس، هذا كذابٌ، هذا بخيلٌ، هذا جبانٌ، هذا نمامٌ، تليق هذه مع أهل الإيمان!، ما تصلح، هذا جائر في الحكم إن أحب أسرف في المدح، وإن أبغض مسح بالإنسان التراب، هذا دين هذا؟! هذه سلاطة لسان. **نعم**.

فيا طالب العلم! احذر أن تَمْرُق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامي هذا المروق الكذب في العلم لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة في الآفاق.

ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالًا يحملون بصائر نافذةً وأقلامًا ناقدةً فيزنون السمعة بالأثر، فتتم تعريك عن ثلاثة معان:

الأول: فقد الثقة من القلوب.

الثاني: ذهاب علمك وانحسار القبول.

الثالث: ألَّا تصدق ولو صدقت.

أخطر شيء أن تُكتب عند الله كذابًا، كيف تمحى هذه؟، احذر.

ومن **أسباب الكذب**: خلطة الكذابين.

ومن **أسباب الكذب**: الاستهانة بالكذب.

ومن **أسباب الكذب**: الاستماع للمسلسلات والتمثيليات، كذب؛ هذا من تحري الكذب، تدري أن الرجل كاذب يُمَثِّل، ومع ذلك تسمع له، طيب عقلك أنت، تدري أنه كذاب، هذه من أسباب أن الكذب يتركز في النفوس يتأصل، وإذا كتبت عند الله كذابًا، من يمحو الكتابة هذا، تقدر تمحاها أنت! أو أهل الأرض؟!، فقارن بين من يكتب عند الله صديقًا، ومن يكتب عند الله كذابًا.

احذر لا تكتب عند الله كذابًا.

ومن أسباب الكذب: قبول النكت والظرائف والطرائف في الكذب؛ لأنه إذا كثر المساس، قل الإحساس.

مــن يهــن يســهل الهــوان عليــه ... مـــا لجـــرح بميـــت إيـــلام

والإنسان حيث يضع نفسه، فاتق الله، لا تكتب عند الله كذابًا، احذر، هذه خطيرة جدًّا يعني، احرص أن تكتب عند الله صديقا.

جعلنا الله وإياكم من الصديقين، ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٣ - ٣٦]، بلى.

فإذا صدقت، كفاك الله عز وجل. **نعم**.

وبالجملة فمن يحترف زخرف القول، فهو أخو الساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى.

أنا أذكر موقف من المواقف:

لقيت واحدًا من أهل العلم الأكابر – رحمة الله علينا وعليهم – من المشايخ الكبار، فألقيت كلمة في المسجد، وأعجبته الكلمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودعاني إلى بيته؛ وبعد ما جلسنا قال لي: من أنت؟، ما يعرفني هو، قلت: أنا فلان بن فلان بن فلان، قال: فلان، إيه؟، أَسْمَعُ بك أنا لكن ما التقيت بك، قلت له: تسمع بالمُعيدي خيرٌ من أن تراه، مثلٌ في اللغة معروفٌ، إن الإنسان يكون أقلَّ مما يُسمع عنه، قال: إصحى لا تقول هذا، ترى بعض الناس يتزين بهذا كذبًا ونفاقًا، تراه يتواضع وهو يتكبر، يرفع نفسه!، وحاسبني عند الكلمة، قال لي: لا تقل، بعض الناس يتصنع وتتزين، أنه يَهْضِم نفسه وهو قصده أنه يرفع نفسه، يسمى أنه لبقٌ ودبلوماسي، وسألته عن مسألة أشكلت علي، كنت أبحث فيها عن الهجر، هجر الفاسق،

قرأت كلام أهل العلم كذا وكذا، وذاك اليوم أنا مُبتدئ في الثانوي، مرتين كلما سألته يصرفني، يجيب لي كلام ثاني، ويشغلني به عن الجواب، ثم أَسْتَغِلُّ المناسبة وأُوردها عليه وأقول: أنا محتاج للجواب هذا لأني بحثت وقرأت ما وصلت لنتيجة، إيش قال أهل العلم؟!، قال: يا ولدي، الهجر دواء، كانوا ينفع يستعمله وإلا فاتركه، كلامٌ جميلٌ مُؤَصَّلٌ، وإن كان هجرك للشخص ينفعك أنت، يَحْمِيك من التأثر به، اهجره؛ إن كان ينفعوا يتوبوا ويرجعوا ويعتذروا، اهجره، وإن كان ما ينفع لا تهجره وتقطع الخط، في الدعوة والأمر والنهي، خل بينك وبينه خط رجعي، بهذه العبارة الهجر دواء، إن كان ينفع استعمله وإلا فاتركه، **نعم**.

الأدب الرابع والثلاثون: جُنَّة طالب العلم

جنة العالم (لا أدرى).

الشرح:

الجنة الوقاية والسترة التي تقيه المكروه والمحذور والإثم، ما يسبب له نقصًا أو أذىً، أو ضررًا، أو خسارةً في الدنيا والأخرة، الصوم جنة. **نعم**.

ويهتك حجابه الاستنكاف منها وقوله: (يقال).

وعليه، فإن كان نصف العلم (لا أدرى)، فنصف الجهل (يقال) و (أظن).

يعني أنك وأنت تطلب العلم، وتذاكر في العلم، وتنصح غيرك في العلم، اجعل معك عدة قوية، وهي أن الذي لا تعلمه تقول فيه: (لا أعلم)، (لا أدري)، (الله أعلم)، لا تتردد في هذا، وأكابر أهل العلم يقولون هذا، يقول لا أدري، ما في ذهني شيء الآن عن هذا الموضوع، هاه لا أدري.

قالوا: من أخطأ لا أدري، أصيبت مقاتله.

وعلى سنة الشيخ **عبد العزيز** – رحمة الله علينا وعليه – إذا سُئل عن مسألة ما يستحضرها، قال: تحتاج تأمل، تحتاج بحث، ما يتبين لي فيها شيء، على جلالة قدره، مرجع المسلمين كلهم، ومع ذلك يقول: والله ما يتبين لي فيها شيء، تحتاج تأمل، تحتاج بحث.

قال الإمام **مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا جاءك السائل فلا تقل لعلي أجد له مخرجا، حتى تعلم مخرجك من الله، يعني لا تُفَرِّج له وتتحمل أنت يوم القيامة، انتبه.

ومن ذلك لو جاءك السائل وأنت في الرياض يسألك، لو أنت من أقران هيئة كبار العلماء، يعني بمنزلتهم، لا تفتيه، المسألة التي عندك شيء فيها من التردد أو التوقف، ما تحفظ الحجة على ما تقول؛ لأن العلم بالحجة، ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١١١]، ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٣]، أحلها على اللجنة الدائمة للإفتاء، أحلها على هيئة كبار العلماء، لا تتحمل؛ توقف الأمر عليك ما فيه في الدنيا إلا أنت؟!، اللي جاءك يروح لعشرة غيرك، وبعدين اليوم كثيرٌ من اللي يسألون يُساعدون الفتاوى، ييجي يسألك إذا أعجبه جوابك أخذه، ما أعجبك راح لثاني، ويستفيد من كلامك شيءٌ، يَعْرِض به الكلام على الثاني حتى يضع له الإجابة بين قوسين، يُمهد بحيث أنه تحصل له الإجابة التي يريدها، صار الناس يُسيطرون، وترى العوام هوام، لا تتساهلون فيه، فهو يريد يُسَعِّر الفتوى، يأخذ فتوى رخيصةً تُخرجه مما هو فيه، يقول حط بيني وبين النار مطوع، ترضى تكون بينه وبين النار أنت؟!، غبي إلى هذا الحد؟!، فإذا اتق، واحذر لا تجيب، ما دام ما عندك بينة، ما تدري ولست على يقين من صحة الجواب، فلا تتكلم، معذورٌ أنت، ما يتوقف الأمر عليك.

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يكونون حلقة مجتمعين، ستين رجل، وكل واحدٍ يُحيل السائل على الآخر، حتى ترجع للأول، ويود لو أن غيره كفاه، وأنت تقول: تعال أفتيك، فرق بين هذا وهذا.

فإذًا انتبه؛ اجعل (لا أدري) في جيبك هنا قريبة تطلعها بس، أحسن لك؛ تحملها يوم القيامة، فانتبه للمسألة هذه، ما يتوقف الأمر عليك.

كم في الرياض اليوم من عالمٍ كبيرٍ؟!،

ما بقي إلا أنت وتفتي، إمام مسجد أو مرشد أو طالب علم يحضر في الحلق، أهذا يخولك للفتيا!، احذر الأمور هذه صعبة. **نعم**.

الأدب الخامس والثلاثون: المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك)

الوقتَ الوقتَ للتَّحصيل، فكن حِلْفَ عَمَلٍ لا حلف بطالةٍ وبطرٍ، وحِلْس مَعْمَلٍ لا حلس تَلَّةٍ وسمرٍ، فالحفظ على الوقت بالجدِّ، والاجتهاد، وملازمة الطلب.

الشرح:

تجد الشباب الآن، الشباب وغيرهم لكن نعني الشباب: شباب العلم، شباب الطلب، الذين يحبون السلف الصالح والسير على منهاجهم واللحاق بهم، تجد الواحد يُضيع الوقت فاضي، يقف عند باب المسجد أو عند باب المدرسة ساعتين، يرفع رجل ويضع الأخرى، وهو لو كان في المسجد ينتظر الإقامة نظر للساعة عشر مرات!، وهناك ما ينظر للساعة، ليش؟؛ لأنه مبسوط بالسواليف والمكاتيب، هذه واحدة.

الثانية: أنه إذا دخل البيت أخذ بهذه الأجهزة، اللي يسمونها أجهزة التواصل الاجتماعي، هذه أجهزة هذه شر، هذه شرها -والله- أكثر من خيرها، غُزينا بها، وعواقبها خطيرة جدًّا إذا لم يحتاط الناس لها، ويتوقُّون شرها، عواقبها خطيرةٌ جدًّا، ستقود الناس إلى الإلحاد، ولذلك الناس ما يتبادلون فيها العلم الآن، ما يقول واحدٌ: هذه آيةٌ من كتاب الله تُذَكِّر وتوزعه على إخوانه، ما يقول: هذا الكتاب في صحيح البخاري أو صحيح مسلم، يوزع نكته، طريفة، كذا، حتى بعضهم يقول: محشش قال كذا وكذا، توصل هذه الرسائل!، فتجده في البيت على طول الوقت يتراسل مع الشياطين، هذا يُشجع كورة، وهذا يُشجع كذا، وهذا مع المُغنيات، وهذا مع كذا، كلٌّ له شيطانٌ مريدٌ يلهث وراءه، هذه خطيرةٌ جدًّا.

كذلك من تضييع الوقت أن الإنسان ما عنده حسابات لليقظة والنوم، يكون مستيقظًا وقت النوم، ما يقيل ما ينام عند الظهر، والنوم عند الظهر يُستعان به على قيام الليل، على قيام

آخر الليل، ما ينام عند الظهر، ينام عقب العصر ويضيع صلاة المغرب والعشاء، يَسهر طول الليل وينام النهار ويُضيع الفرائض.

النوم حاجة ما هو هوايةٌ، الأكل حاجةٌ ما هو هوايةٌ، الشرب حاجة ما هو هواية، فالإنسان يأخذ مما يحتاج إليه على قدر الحاجة، ما يستغرق، إما يسهر عشرين ساعة، أو ينام عشرين ساعة، هذه حياةٌ هذه؟ لأ، الله خلق الحياة من أجل العمل الصالح، فالنوم يستعان به على العمل الصالح، الصالحون يودون لو أن الله يعطيهم عُمُرٌ، يصيرون أحياء بالليل والنهار يعبدون الله تعالى، لكن ينامون يحتسبون نومتهم يستعينون بها على الطاعة، ويقومون يحتسبون قومتهم أنها تَمْضِي في طاعةٍ، كان بعض السلف يقول لنفسه: اليوم، الصيام الصيام، ما ندري والله نعيش بكره ولا لأ، نصوم اليوم، إذا جاء الليل يقول: نقوم الليلة، ما ندري بكرة نصبح ولا ما نصبح، يحاسبون أنفسهم على اليوم والليلة، والوقت له قيمة.

والوقت أشرف ما عُنيت بحفظه ... وأراه أهون ما عليك يضيع

فكون الإنسان يُضيع وقته لا عنده منهج.

لازم يكون النوم محدد، ساعات من الليل، ساعات من النهار مناسبة، ولا يزيد، فيجعل له منبهًا، يُكلف من حوله أن يوقظه، وإذا استيقظ عنده برنامج عملٍ مزحومٌ، ما يريد أن يُفرط، تارة يقرأ، تارة يكتب، تارة يستمع، تارة كذا، يحضر درس، يحضر ندوة، يحضر كذا، والآن العلم موجود الآن على هذه الأجهزة، تجد العلم وتسمع دروس المشايخ كلها من أولها إلى آخرها، متن كامل تسمع شرحه من أوله إلى آخره، ويش المانع إنك تلتزم سماع شرح متن؟، لو حافظت على وقتك استفدت منه، لكنك ما تحافظ على وقتك، فتجد كثير من السبهلل، لا ينام بترتيب، ولا يقوم بترتيب، ولا حد لنومه، ولا حد ليقظته، هذا أقل منزله

من الأنعام، ولذلك الآن أكثر الناس الآن أول النهار ضائع عليهم، بسبب سهر الليل، والنبي ﷺ يقول: «**بورك لأمتي في بكورها**»، وكان ﷺ يغتنم البكور ، الغدوة.

فينبغي للإنسان يُعنى بترتيب حياته، ترتيب النوم، ترتيب اليقظة، ترتيب الأكل، ترتيب الشرب، ترتيب اللقاء مع الناس، أهل البيت، اللقاء مع من خارج البيت، المحافظة على الجماعة، حضور مجالس العلم، يتحلقون بمجالس العلم، لا تقول استمعه بعدين في شريط، لا ما حاصل لك، ولا تحضرك الملائكة، الملائكة تحضر حلق العلم، رياض الجنة، لا تُفوت على عمل أنك تجده؛ لأن هذا تسويف من خطوات الشيطان.

فأهم شيء حفظ الوقت، الاهتمام بالبكور، العناية ومحاسبة النفس على الوقت، ما يصير الإنسان ضائع، ما عنده منهج، ولا له توجه، ولا له همة، هذه ما هي بأخلاق طالب علم، ولا بأخلاق مسلم عامة، فالذي لا يحافظ على وقته، مضيعٌ لأمور سيسأل عن عمره فيما أفناه، إيش الجواب عندك؟، من أجل فلان أو فلان أو فلان، والإنسان لو سهر يصلي الليل وفاتته صلاة الفجر، فهو من أهل النار، وإذا سهر الليل وضيع فرائض النهار فهو من أهل النار، فكيف إذا سهر في مباحٍ فكيف إذا سهر في المحرم؟، ما يجوز ولا يليق، وهذا سيسأل عنه الإنسان، فليعد للسؤال جوابًا، وليكن الجواب صوابًا.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المجلس السادس في شرح الحلية

القارئ: الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال الشيخ أبو بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى وإيانا - في «الحلية»:

الأدب الخامس والثلاثون: المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك)

الوقتَ الوقتَ للتَّحصيل، فكن حِلْفَ عَمَلٍ لا حلف بطالةٍ وبطرٍ، وحِلْسَ مَعْمَلٍ لا حلس تَلَّةٍ وسمرٍ، فالحفظ على الوقت بالجدِّ، والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءةً، وإقراء، ومطالعةً، وتدبرًا، وحفظًا، وبحثًا، لا سيِّما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العالية، فإنها وقت جَمْعِ القلب، واجتماع الفكر، لقلة الشواغل والصَّوارف عن التزامات الحياة والتَّرؤُّس، ولخفة الظهر والعيال.

ما للمُعِيل وللعوالي إنما يسعى إليهنَّ الفَرِيد الفَارد

وإيَّاك وتأمير التَّسويف على نفسك، فلا تسوّف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد التقاعد من العمل هذا، وهكذا، بل البدار قبل أن يَصْدُق عليك قول أبي الطَّحَّان القيني:

حَنَتْنِي حانيات الدَّهر حتى كأنّي خاتل أدنو لصيد

قصير الخطو يحسب من رآني ولست مقيَّدا أنّي بقيد

وقال أسامة بن منقذ:

مع الثمانين عاث الضعف في جسدي

وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي

إذا كتبـــــــت فخطّـــــــي خــــــطٌّ مضــــــطرب
كخــــــطٍّ مـــــرتعش الكفّــــــين مرتعــــــد
فاعجــــب لضــــعف يـــدي مــــن حملهـــا قلمـــا
مــــن بعـــد حطـــم القنـــا في لبَّـــة الأســـد
فقـــــل لمـــــن يتمنـــــى طـــــول مدتـــــه
هــــذي عواقــــب طــــول العمــــر والمــــدد

فإن أعملت البدار، فهذا شاهد منك على أنك تحمل كبر الهمّة في العلم.

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الشيخ - رحمه الله تعالى وإيانا - يُبين في هذا الفصل أهمية الوقت لطالب العلم، وأن طالب العلم ينبغي أن يستنفذ وقته في تحصيل العلم، قراءةً، وكتابةً، ومذاكرةً، وحفظًا، ومراجعةً، بحيث أنه يستنفذ الوقت فيما ينفعه؛ لأن الوقت هو رأس مال الإنسان، وهو مسؤولٌ عنه؛ لأنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أمور منها: عن عُمُره فيما أفناه، وإذا كان المسلم عامَّة يُسأل عن هذا، وبل المُكَلَّف عامة يُسأل عن هذا، والمسلم أيضًا كذلك: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر:٣٧] ، فطالب العلم أحرص من غيره على أن يستنفذ الوقت في الطلب؛ لأنه كلما ازداد علمًا ازداد عملًا؛ لأن

العلم يدل على العمل، ويُرغب في العمل، ويَحْمِل على استدامة العمل، ويُعينه على الإخلاص لله عز وجل، فلذلك هو كلما ازداد علمًا ازداد عملًا، وإذا ازداد علمًا وعملًا ازداد رفعةً ودرجةً في الدنيا والآخرة، فلذلك لا يُضيع الوقت؛ بل يكون همته شَغْلُ الوقت فيما ينفعه.

والوقت أشرف ما عُنيت بحفظه وأراه أهون ما عليك يضيع

ولذلك كان من العلماء من السلف من يَحْفَظ الوقت، ويقول: إني لأختار سَفَّ الفَتِيت - يعني دقيق الخبز ألتهمه هكذا-، وأشرب الماء على الخبز مع الإدام؛ لأن بينهما خمسين آية، أُوَفِّر وقتًا أقرأ فيه خمسين آية.

ويقول آخر إنه كان يُقلل الأكل حتى لا يُبطئ في الحمام؛ فيضيع عليه الوقت، ولهم قصصٌ عجيبةٌ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في حِفْظ الوقت والعناية به.

وأكثر الناس يضيع وقته في الفُضُول، فيما لا يلزمه، وفيما لا يُفيده، وكثيرٌ منهم فيما يَضُرُّه، وأنت ما دمت في الطلب، فأنت في عبادةٍ، فإن طلب العلم عبادة الليل والنهار، يُكتب لك الأجر في الليل والنهار وقت الطلب.

وفرقٌ بين وَقْتٍ يمضي في العبادة، وبين وقتٍ يمضي بلا فائدة، والمصيبة أن يمضي الوقت فيما يَضُرُّ؛ ولذلك كان من السلف من يُخصِّصون الأوقات: فأوقات صفاء الذهن في الأسحار وبعد الفجر يخصصون هذه الأوقات للحفظ، وفي الضحى بعد طلوع الشمس وبعد العصر للقراءة على المشايخ، وما بعد ذلك يخصصونه للمُذاكرة، يُذاكر مع صاحبه، مع زميله، والوقت الذي فيه خمولٌ وكسلٌ يخصصونه للكتابة للتَّدْوِين؛ لأن التدوين ما يحتاج إلى تفكيرٍ.

فهذا كله من عنايتهم بالوقت والاهتمام به، فلذلك ينبغي لطالب العلم أن يعتني بوقته ولا يضيع منه شيء، فإما في طلب العلم، وإما في ذِكْرٍ، والعلم هو الذكر، هو أفضل الذكر، وإما في عبادةٍ في عمل: نافلةٍ من صلاةٍ و تلاوةٍ أو غير ذلك، وكذلك في المذاكرة إنه يستذكر ما حَفِظَهُ، سواءً حِفظًا أو يستذكره بالقراءة والكتابة، فأَهَمُّ شيء الوقت، رصيدٌ إذا حافظت عليه صار في موازين حسناتك يوم القيامة، وإذا تسامحت فيه وتساهلت ضَيَّعَهُ عليك أهل الفضول.

وللحافظ بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ في عنايته بالوقت، ويَذْكُر نماذج من عناية السلف الصالح بالوقت، ويقول: من البلية -يعني في زمانه- إن الناس في هذا الزمان ابتُلوا بالخُروج إلى الشواطئ -شواطئ الأنهار- وإلى البراري كأن الوقت مضيقٌ عليهم يضيعونه في أي شيء، يعني بأسلوب العصر في الكشتات والاستراحات، يقول: همهم تضييع الوقت.

ثم يذكر بليةً أعظم منها أنه يأتي أحد هؤلاء الفضوليين الثُكلاء ويزورك ويُضيع وقتك، فإن استجبت له ضيع وقتك وشغلك بما يضرك من غيبةٍ أو بهتٍ أو غير ذلك، وإن أعرضت عنه اتَّهمك بالتكبر والجفاء، يقول: فلما رأيت أنه لابد من مُراعاة هؤلاء ومُجاملتهم، صِرْتُ أُعِدُّ الورق الكاغد والحبر وسيلة الحبر، فإذا حضر عندي أحدٌ من هؤلاء، أستمع إليه وهو يتحدث وأتحدث معه وأنا أشتغل في تقطيع الورق -يُقَطِّعه على أحجامٍ يكتب فيها- وأشتغل في صناعة الحبر، يقول: حتى أستفيد من وقتي بما ينفع.

والآن الناس جاؤوا بما هو أَطَمُّ، جاءت هذه التي يسمونها أجهزة التواصل، صار الإنسان لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات ولا شيء، يشتغل في الغالب بما لا ينفعه بل بما يضره، وهذا أخطر وأخطر. **نعم**.

الأدب السادس والثلاثون: إجْمَام النفس

خُذْ من وقتك سويعات تجمُّ بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات (الثقافة العامة)، فإنَّ القلوب يروَّح عنها ساعة فساعة.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: أجمُّوا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنَّها تملُّ كما تملُّ الأبدان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في حِكمة النَّهي عن التَّطوُّع في مطلق الأوقات بل في النَّهي عنه بعض الأوقات مصالح أُخر من إجمام النفوس بعض الأوقات، من ثقل العبادة، كما يُجمُّ بالنوم وغيره، ولهذا قال معاذ - رضي الله عنه -: إني لأحتسب نومتي، كما احتسب قومتي.

وقال - رحمه الله -: بل قد قيل: إن من جملة حكمة النَّهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات، إجمام النفوس في وقت النهي لتنشط للصلاة، فإنها تنبسط إلى ما كانت ممنوعةً منه، وتنشط للصلاة بعد الراحة. والله أعلم. انتهى.

ولهذا كانت العُطَل الأسبوعية للطلاب منتشرةً منذُ أمدٍ بعيدٍ، وكان الأغلب فيها يوم الجمعة وعصر الخميس، وعند بعضهم يوم الثلاثاء، ويوم الاثنين، وفي عيد الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام وهكذا.

ونجد ذلك في كُتُب آداب التعليم وفي السِّير، ومنه على سبيل المثال: آداب المعلّمين لسحنون، و الرسالة المفصِّلة للقابسيِّ، و الشَّقائق النُّعمانية، وعنه في أبجد العلوم وكتاب أليس الصُّبح بقريب للطاهر بن عاشور، وفتاوى رشيد رضا، و معجم البلدان وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

الشرح:

يعني إن النفس إذا أَخَذْتَها بالجد والحزم، فإنها مع الوقت تمل وتسأم، والنفس مطيةٌ، إن أتعبتها انقطعت، وإن رفقت بها أوصلتك للغاية، ولهذا يقال: إن المُنْبَتَّ لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع، المنبت الذي إذا ركب الراحلة من بعيرٍ أو فرسٍ أو حمارٍ، أول ما يمشي يُتعبها يَضربها يَضربها يسوقها بسرعةٍ بجلدٍ، فلا تأخذ مسافة كلوين أو ثلاثة حتى تنتهي، يقول: ارفق بها، اجعلها تمشي شوي شوي، وبعدين تُسرع شوي شوي، وبعدين تهدأ وهكذا، وإذا وصلت المكان المُنْصَبَّ هي تمشي بسهولة، وإذا وصلت المكان المرتفع ترق بيسرٍ ورفقٍ.

فأنت كذلك نفسك هي مطيتك، لا تُكِلَّها ولا تُملها، فإذا وجدت منها مللًا وكللًا، اشغلها بشيءٍ ثانٍ يُسلي، ومن هذه المسليات: أن تقرأ الكتب الرقائق، التي فيها الوعظ وفيها التزهيد، وفيها قصص الصالحين والعباد، بحيث أنك تستمتع بالقراءة وتستفيد، اقرأ في التاريخ، في البداية والنهاية **لابن كثير**، اقرأ في تراجم العلماء الأكابر والأعيان مثل سير أعلام النبلاء، فإنك ستجد في هذا ما يَشُدُّك، ويستهويك ويُذهب عنك الملل والسآمة، اقرأ في دواوين العرب في الشعر، اقرأ المُعلقات وما أشبه ذلك مما يُقوي لغتك ويُنمي قريحتك في الشعر، وتستفيد آدابًا وأخلاقًا؛ مما يحمل على المروءة، اقرأ كتب القصص: قصص الماضين مثل قصص الأنبياء وغير ذلك -عليهم الصلاة والسلام-، والقصص في القرآن، ستجد ما تستمتع به ويُفيدك وفي نفس الوقت يُذهب عنك السآمة والملل.

ومن هذا أنك تستع إلى الأشرطة والسيديهات التي فيها علومٌ نافعةٌ، منظومات في الآداب، منظومات في الأخلاق وغير ذلك، ستجد متعةً وفائدةً ويذهب عنك الملل والسآمة.

نعم.

الأدب السابع والثلاثون: قراءة التصحيح والضبط

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخٍ متقنٍ، لتأمن من التَّحريف والتَّصحيف والغلط والوهم.

وإذا استقرأت تراجم العلماء - وبخاصة الحُفَّاظ منهم - تجد عددًا غير قليلٍ ممن جرد المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضَبْطٍ على شيخٍ متقنٍ.

فهذا الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قرأ «صحيح البخاري» في عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات. و «صحيح مسلم» في أربعة مجالس في نحو يومين وشيءٍ من بُكرة النهار إلى الظهر، وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة (٨١٣). وقرأ «سنن ابن ماجة» في أربعة مجالس. و«معجم الطبراني الصغير» في مجلسٍ واحدٍ بين صلاتي الظهر والعصر.

وشيخه الفيروز آبادي قرأ في دمشق صحيح مسلم على شيخه ابن جَهْبَل قراءة ضَبْطٍ في ثلاثة أيام.

وللخطيب البغدادي والمؤتمن السَّاجي وابن الأبَّار وغيرهم في ذلك عجائب وغرائب يطول ذكرها، وانظرها في «السير» للذَّهبي، و «طبقات الشافعية» للسُّبكي، و «الجواهر الدرر» للسُّخاوي، و «فتح المغيث»، و «شذرات الذهب»، و «خلاصة الأثر»، و «فهرس الفهارس» للكتاني، و «تاج العروس» فلا تنس حظك من هذا.

الشرح:

يعني إن من فنون العلم: إنك تضبط المصطلحات اللغوية، وتضبط أسماء الرجال، والبلدان، وكذلك أسماء الرجال والرواة، فتقرأ بعض المتون في الحديث سردًا على شيخٍ، بمعنى إنك تقرأ الكتاب من أَوَّلِه إلى آخره قراءةً صحيحةً؛ يعني: هذه من دون شَرْح، وإنما

تُنبَّه على تصحيح الخطأ المطبعي من النَّسخ أو الناسخ، وتُنبِّه على الغريب في اللغة، وعلى ضبط الاسم، وضبط المكان، وفي نفس الوقت تمر بفوائد أنت تستفيد منها، وهذه يسمونها الجرد، إنك تقرأ صحيح البخاري من أوله لآخره سردًا في مدةٍ قصيرةٍ، بحيث إنك جودت قراءة الكتاب قراءةً صحيحةً، هذا فنٌّ من فنون العلم.

ومن ذلك أنه إذا أشكل عليك الاسم - اسم الشخص أو اسم المكان - إنك ترجع إليه في معاجم اللغة تُبين لك هذا الشيء.

كذلك إذا أشكل عليك من ناحية الإعراب ترجع إليه في كتب النحو ويُبين لك الشيء هذا.

فتكون مهتمًا بالضبط بهذه، مثل: عِمارة عُمارة، ما هو لا عَمَارة ولا عِمَارة في الغالب: عُمَارة، مثل: حَبَّان، يوجد في السنن اسمه حَبَّان، وكل المتأخرين حِبَّان، وهكذا، تجد أسماء تحتاج إلى ضبطٍ وعنايةٍ، وأنك تقرأها قراءةً صحيحةً: اسم الشخص أو اسم المكان، هذا من المهم بحيث أنك إذا قرأت على أهل إنك تقرأ قراءةً صحيحةً، ما ينتقدونك، ويتبين أنك طالب علم، هذا من المهم. **نعم**.

الأدب الثامن والثلاثون: جرد المطولات

الجرد للمطوَّلات من أهم المهمات، لتعدُّد المعارف، وتوسيع المدارك، واستخراج مكنونها من الفوائد والفرائد، والخبرة من مظانِّ الأبحاث والمسائل، ومعرفة طرائق المصنِّفين في تآليفهم واصطلاحهم فيها.

وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم «بلغ»، حتى لا يفوته شيءٌ عند المعاودة، لا سيما مع طول الزمن.

الشرح:

يعني نفس ما ذكرناه الأول، لكن ذكرنا نحن على وجه أن الشيخ يُصحح لك التصحيف في الكتابة، ويُصحح لك النُّطق باسم الراوي، نطق اسم المكان نطقًا صحيحًا، وهذا في إنك تكون ضبطت المتن كاملًا كـ«**صحيح البخاري**» من أوله لآخره ضبطته كاملًا، غير أنك تقرأه لمعرفة معنى الحديث والأحكام المُستنبطة من الحديث، والجَمْع بين الحديث ونظيره الذي يَظهر بينهما اختلاف، هذا غير؛ لكن هذا ضبط المتن نفسه؛ ولذلك كانوا يَحرصون على الجرد هذا؛ أنهم يقرؤون الكتاب سردًا من أوله إلى آخره، قراءةً سريعةً ومتأنيةً في نفس الوقت، سريعةً بمعنى إن ما يكون فيها تَوَقُّفٌ إلا لما لا بد منه، ومتأنية أنك تقرأ قراءةً صحيحةً.

ولذلك ما يُفوتون حديثًا واحدًا، أو سطرًا أو سطرين، فإذا وقف في نهاية القراءة كتب (بلغ)، أي بلغ القارئ هذا المكان، أو بلغت إلى هذا المكان، بحيث إنك تستأنف منه في الدرس الآخر، فتكون قراءةً مضبوطةً. **نعم**.

الأدب التاسع والثلاثون: حُسن السؤال

التزم أدب المباحثة من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أو تقول: لكن الشيخ فلانًا قال لي كذا أو قال كذا!، فإن هذا وهنٌ في الأدب، وضَرْبٌ لأهل العلم بعضهم لبعض، فاحذر هذا.

وإن كنت لا بد فاعلًا فكن واضحًا في السؤال، وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا؟، ولا تُسَمِّ أحدًا.

قال ابن القيم - رحمه الله -: وقيل: إذا جلست إلى عالمٍ فسل تفقهًا لا تعنُّتًا.

وقال أيضًا: وللعلم ستُّ مراتب: أولها: حسن السُّؤال.

الثانية: حسن الإنصات والاستماع.

الثالثة: حسن الفهم.

الرابعة: الحفظ.

الخامسة: التعليم.

السادسة: وهي ثمرته، العمل به ومُراعاة حدوده . انتهى.

ثم أَخَذَ في بيانها ببحثٍ مهمٍّ.

الشرح:

حسن السؤال يعني إنك وأنت تسمع الدرس إذا أشكل عليك شيءٌ تستأذن بالسؤال الذي فيه استيضاحٌ، لا يُشغل الشيخ عن الشرح، ويقطع الفائدة، لأ؛ فتستأذن إنك تستوضح معنى الجملة هذه، معنى هذه الكلمة، هذا واحدٌ.

الثاني: إنك تسأل على شيءٍ مهمٍ غَفَلَ عنه الشيخ، يحتاج الناس إلى تنبيه بشأنه، فكأنك تفتح على الشيخ في الدرس.

الثالث: إنك تسأل عن شيءٍ يهم الحضور، كل واحدٍ منهم يَوَدُّ أن يسأل عنهم، فتكون أنت تكفيهم المؤونة، ويكون السؤال مختصرًا.

والرابع: إنك عن صار ما فيه مناسبةٌ للسؤال تُقيد السؤال عندك في ورقةٍ، بحيث إنك ما تنساه فتسأل عنه في آخر الدرس.

والشيء الخامس: إذا كان السؤال يُهمك أنت خاصةً، كأن يتعلق بالمتن، اسأل عنه في وقته، إن كان يتعلق بموضع الشرح اسأل عنه في وقته، ما يتعلق بهذا ولا هذا، أكتب السؤال عندك واسأل بينك وبينه، بينك وبين الشيخ.

هذا كله من الأدب.

وإذا صار السؤال في مسألةٍ خلافيةٍ، لا تقل: إن فلان أفتى بكذا، ما رأيك؟ ما تقولون أنتم؟، لا، قل: أُفتِيَ بكذا، لا تسم، أُفتِيَ بكذا، هل هذه الفتوى راجحةٌ أو فيه شيءٌ أرجح؟، حتى لا تُحْرِج الشيخ؛ لأنه يكون أحيانًا المفتي أكبر من الشيخ قدرًا، ولا يحب الشيخ أن ينقد الفتوى علنًا، قد يكون المفتي غاب عن ذهنه الدليل حين أفتى، عَزَبَ عن ذهنه، فلذلك إذا ذكرت الفتوى مُجَرَّدَةً على المفتي صار سهل الجواب عليها، ولا صار فيها شيءٌ من النميمة ولا البهت ولا التنقص ولا الوشاية والسعاية، ما تقول في الفتوى كذا، وخصوصًا الفتوى التي أشكلت عليك، أما الفتوى اللي من شأنها تثير حساسات وتسبب فتنةً، لا، لا تسأل في الدرس، اسأل الشيخ بينك وبينه، وقوله أمانةٌ عندك، لا تُشِيعه إلا إذا كان لا يترتب عليه شيء.

كثيرٌ من المتعلمين يُسيئون للمُعلمين بهذه الطريقة، ثم يتعصب هذا لذا وذاك لذاك. فتكون فتنةٌ وشرٌّ. **نعم**.

الأدب الأربعون: المناظرة بلا مُمَارَاةٍ

إيّاك والمماراة، فإنها نقمةٌ، أمَّا المناظرة في الحق فإنها نعمةٌ، إذ المناظرة الحقَّة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنيةٌ على المناصحة، والحلم، ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات والمناظرات، فإنها تَحَجُّج ورياءٌ، ولغطٌ وكبرياء، ومغالبةُ ومراءُ، واختيالُ وشحناءُ، ومجاراةُ للسفهاء، فاحذرها واحذر فاعلها، تسلم من المآثم وهتك المحارم، وأَعْرِض تسلم وتكبت المآثم والمغرم.

الشرح:

يعني إن المناقشة في الموضوع بين اثنين أو أكثر لها أسلوبان:

أسلوب مناظرة: والذي يُراد منه التَّوَصُّل إلى المعنى المراد، سواءً خَرَجَ على لساني الصواب أو على لسان زميلي وأخي، على لسان شيخي أو الشيخ الثاني الآخر.

فالمهم: الوصول إلى المعنى المراد، فَهْم النَّصِّ، الحديث، فَهْم ما يُستنبط منه من الأحكام.

مثل ما تناظر الصحابة – رضي الله عنهم – في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذابٍ – جعلنا الله وإياكم منهم –، قال بعضهم: لعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وجيه القول هذا؛ عافاهم الله من الشرك، ونشأوا على التوحيد.

وقال بعضهم: لعلهم الذي أسلموا في وقت الغُربة، فهم أعرف الناس بالجاهلية، وأغبط الناس بالإسلام.

وقال بعضهم مثلًا: لعلهم المُحسنون الذين يبذلون النفع العام للناس، الخاص والعام.

وربما قال بعضهم: لعلهم ولاة الأمر الذين يقيمون الدين وينفذون الأحكام، ويكفون الناس بعضهم عن بعض، وينظرون في المظالم.

المقصود: معرفة من هؤلاء الذين صاروا أهلًا لهذا الجزاء الكريم؛ يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، فكان مدار مناظرتهم على تقييدهم بفئةٍ من الناس، بصِنْفٍ من الناس، فكان حوارهم ومناظرتهم لفَهْم المعنى المراد، من ينطبق عليه الوصف هذا، كيف نكون منهم؟ استبيان وطلب الحق، فخرج النبي ﷺ فأخبروه بما جرى بينهم، فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فذكرهم بالوصف، يعني إنَّهُم مِنْ أَوَّلِ الأمة وأوسط الأمة وآخر الأمة هم بين ذلك، لو كانوا صنفًا أو فئةً؛ فات الأخرين؛ ما ذنبهم يفوتهم؟، لكن ذكرهم بالوصف حتى كل إنسانٍ يحرص على أن يُحقق الوصف ليكون منهم.

أما المماراة:

فهي المحاورة والمناظرة لإثبات الرأي، إظهار الرأي والغلبة على الطرف الآخر، يكون فيها تعالي وتَرَفُّع، وإظهار للعلم والمقدرة، فهي إيحاءٌ من الشيطان المماراة، والذي يطلب العلم ليُماري به العلماء، يترفع به على الناس لا يشم رائحة الجنة والعياذ بالله.

ينبغي أن يكون البحث والنقاش لغرض الوصول إلى الحق، ومعرفة المراد بالنص؛ لفَهْمِه والعمل به، ولذلك يغتبط الإنسان بظهور هذا المعنى المراد على لسانه أو لسان غيره حتى ولو على لسان خصمه.

هذا المراد؛ يكون فيه تواضع والتماس وتحري وضراعة إلى الله عز وجل أن يُخرج الله ﷻ الحق على لسانك، يجعلك مفتاح خير مغلاق شر، جعلنا الله وإياكم كذلك. **نعم**.

الأدب الحادي والأربعون: مذاكرة العلم

تمتع مع البُصراء بالمذاكرة والمطارحة، فإنها في مواطن تفوق المطالعة، وتشحذ الذهن، وتُقوي الذاكرة، ملتزمًا الإنصاف والملاطفة، مبتعدًا عن الحيف والشَّغب والمجازفة.

وكن على حذرٍ، فإنها تكشف عوار من لا يَصْدُق.

فإن كانت مع قاصدٍ في العلم بارد الذهن، فهي داءٌ ومنافرةٌ، وأما مذاكرتك مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم، فهذا ما لا يسوغ أن تنفكَّ عنه.

وقد قيل: إحياء العلم مذاكرته.

الشرح:

فيه أمران:

الأول: الاستذكار.

والثاني: المذاكرة.

فالاستذكار للمحفوظ، بمعنى إنك تُراجع القرآن العظيم؛ مثلًا أن تشتغل بحِفظ القرآن، وتحفظ مثلًا في كل يومٍ وجهًا، في هذا اليوم تُراجع هذا الوجه تستذكره، حفظًا في صلاتك الفريضة والنافلة وما بين ذلك، حتى يرسخ ويثبت، واليوم الثاني مثلًا الوجه الثاني بالطريقة هذه، ما ضُبِط تَجْعَل اليوم الثالث مذاكرة الوجه حق اليوم الثاني، ثم فراغك في الأسبوع الخميس أو الجمعة لمذُاكرة حفظ الأسبوع، آخر يومين في الشهر تجعلها لمُذاكرة ما حفظت في الشهر، سواءً كان هو القرآن العظيم أو متنًا من المتون العلمية، مثل «البلوغ»، «عمدة الأحكام»، «الأربعين النووية»، المنظومات التي تُحفظ في المصطلح في الأصول، فيكون هذا هو الاستذكار.

المذاكرة أن تُذاكر غيرك، يكون لك زميلٌ تَصطفيه، واحد أو أكثر، وتُخصصون وقتًا للمذاكرة فيما قرأتم وعَلِمْتُم، بحيث إن الإنسان يستفيد من فَهْم غيره؛ لأنه قد يختصر لك ثلاث جمل في جملةٍ؛ توفر عليك جهد، قد يدلك على بيتٍ يختصر لك هذا.

أنتم تقرؤون مثلًا سورة النمل ويش في آخرها؟

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:٥٩]، فيها:

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل:٦٠]،

فيها: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل:٦١]،

فيها: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢]،

﴿ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل:٦٣]،

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤]، هذه أواخر الآيات، ولا لا؟،

قد تُشْكِل على الحافظ الذي يحفظ القرآن، يُقَدِّم يجعل ختام آية هو آخر آية الثاني والعكس، نظمها واحدٌ من العلم:

يعـــدلون بــــل أكثـــــرهم قلــــيلا تعــــالى الله قـــــل هـــــاتوا دلــــيلا

واضح.

فإذا أفادك زميلك بهذه اختصرت بمثل هذه يعني، ريحك جدًّا، ما تنساها أبدًا.

والأمر الثاني: إنك وأنت تذاكر مع زميلك تُمارس العرض، عرض المسألة، التفنن في العرض، بحيث تعرضها كأنك مُدَرِّس، أنت المعلم، ومع كل عرضٍ تستفيد أنت، يَسْهُل عليك الإلقاء، يسهل عليك ترتيب المعلومات، ويسهل عليك مراعاة المستويات، في كل نوعٍ من الممارسة، في تقرير المسائل بالدلائل وترتيب الأحكام، واستخراج الأحكام، واستنباط

الأحكام من الأدلة تكون هذه ممارسةٌ، فأنت تحفظ المسألة، وزميلك يحفظ المسألة، والثالث يحفظ المسألة، كل واحدٍ يُلقيها بطريقته بحيث يتمرس في طريقة العرض والترتيب، فيه فائدة، وبعدين مع هذا يصير الإنسان يحفظ المسألة.

هذه مذاكرةٌ بحيث أنه تتكرر المسألة، ويُحفظ الدليل ويُعرف وجه الاستدلال، هذه مفيدةٌ جدًّا.

ولذلك طلبة العلم في الزمن الماضي كانوا إذا انتهت الحلقة وقام الشيخ، جلسوا يتذاكرون في مسألةٍ في مسألتين ثلاثة تتعلق بالدرس هذا أو بغيره، في المسجد يجلسون، ويُفيد بعضهم بعضًا في هذا، ويستفيد بعضهم من بعض. **نعم**.

الأدب الثاني والأربعون: طالب العلم يعيش بين الكتاب والسُّنَّة وعلومها.

فهما له كالجناحين للطائر، فاحذر أن تكون مهيض الجناح.

الشرح:

يعني عود نفسك في معرفة المسائل الشرعية، أول شيء معرفة الدليل، أول ما تطلب الدليل من القرآن العظيم، ثم من السنة النبوية، ما صَحَّ من السنة، ما صح عن النبي ﷺ، ثم الإجماع إذا وُجِد، أو اتفاق السلف الذي هو كالإجماع، أو فتاوى مَنْ بعده من التابعين وتابعي التابعين، أو قول الجمهور: الثلاثة من الأئمة الأربعة وأقرانهم، أو اثنان منهم وأقرانهم، يكون عندك ترتيب، ولهذا يُقال: إن هذه المسألة كذا، هذه كذا، هذا لا ينفض الوضوء، هذا ينقض الوضوء، هذا كذا، بالكتاب والسنة الصحيحة والإجماع.

أو يقولون: بالسنة الصحيحة والإجماع؛ لأنه ما فيه دليل من القرآن.

أو يقولون: بالإجماع؛ لأن ما فيه دليل من السنة، ما فيه شيء صريح.

أو يقال: هو قول أكثر السلف؛ بحيث إنه تبين هذا. **نعم**.

الأدب الثالث والأربعون: استكمال أدوات كل فَنٍّ

لن تكون طالب علمٍ متقنًا متفننًا - حتى يلج الجمل في سم الخياط - ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية وهكذا، وإلا فلا تتعنَّ.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٢١]، فيستفاد منها أن الطالب لا يترك علمًا حتى يتقنه.

الشرح:

ومن ذلك: أنك تعرف أصول الأئمة -رحمة الله عليهم- في الاستدلال، أصول مذهب الأئمة، كل إمامٍ له أصولٌ، تعرف كيف يستدل على المسألة هذه، وكيف انتهى قوله، إن الراجح في المسألة كذا.

منهم **الإمام أحمد** - رحمه الله -، أصول مذهبه: أول شيء القرآن العظيم، والثاني السنة الصحيحة، والثالث آثار السلف؛ لأنه تفسير السنة الصحيحة، والسنة تفسير للقرآن، إذا اختلف السلف الصالح على قولين -ما نقل عنهم-؛ نَظَر هل هذا تنوعٌ أو تضادٌّ؟، هل القولان يتفقان على كذا وأنه اختلاف عبارةٍ فقط، أو تضاد؛ هذا ضد هذا، فإذا كان تنوع فالأمر واسع؛ لأنهم متفقون على الغاية، إذا كان تضاد لا بد من معرفة الراجح من القولين، الذي هو أشبه بالقرآن العظيم، أشبه بالسنة، الذي عليه عمل السلف.

فتعرف أصول مذاهب الأئمة؛ خصوصًا الأئمة الأربعة وأقرانهم، إذا عرفت أصولهم تستطيع أن تُخَرِّج على مذهبهم فتاواهم في المسائل الجديدة؛ لأن مقتضى قول الإمام بناءً على أصوله كذا، ولا تأتي وتأخذ الأقوال وأنت لا تدري كيف بنوا أقوالهم عليها، لازم تعرف؛ لماذا قالوا في هذه المسألة هذا القول، ما مأخذهم؟، بعض الناس يقرأ أقوال الأئمة

ويختار منها هو، أنت تختار ووأنت لا تعرف أصول الإمام، هل تدري هو قولٌ راجحٌ ولا مرجوح؟، العصمة للرسول ﷺ فيما يبلغ عن الله عز وجل، والأئمة ليسوا معصومين، فلذلك لازم تعرف من أين أخذوه.

ولذلك قال الأئمة **الشافعي وأبو حنيفة** وغيرهم **ومالك**: لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا حتى يعلم من أين أخذناه.

هذا مهمٌ جدًّا يعني يكون عندك إلمامٌ في قواعد أصول الفقه والقواعد الفقهية، في مقاصد الشريعة، وفي فن الاصطلاح، وشروط أهل العلم في الحديث الصحيح لذاته والصحيح لغيره وفي الحسن وفي الضعيف وفي الموضوع؛ حتى تعرف وتدري هذا الحديث ما حُكمه أو كيف يُحكم عليه. **نعم**.

الفصل السادس: التحلي بالعمل

الأدب الرابع والأربعون: من علامات العلم النافع

تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع وهي:

أولها: العمل به.

ثانيها: كراهية التزكية، والمدح، والتكبر على الخلق.

الشرح:

يعني إن العلم يُراد منه العمل، لهذا الله ﷻ أردف العمل بالعلم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين:٦] ، ودائمًا يذكر الله ﷻ الإيمان والعمل الصالح، فيُردف العمل الصالح بالإيمان، ويُردف التقوى بالإيمان، يُردف الخشية بالإيمان، فالغاية من العلم العمل.

والعلـــــــم يهتـــــــف بالعمـــــــل فـــــإن أجابـــــه وإلا ارتحـــــل

العلم يُثمر خشية الله، فإذا لم يُثمر خشية الله فهو حجة على صاحبه.

ولذا قال السلف رحمة الله عليهم: العلم علمان: فعلم في القلب وذلك ما نفع يعني الذي ينفع صاحبه، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، يحملهم العلم على خشية الله عز وجل ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨]، فهذا العلم النافع.

والعلم الثاني: العلم الآخر على اللسان، قالوا: فذلك حجةُ الله على ابن آدم، ما مِنْ عالِمٍ إلا سيُسأل عن علمه فيما عمل به.

ولذا تمنى بعض أهل الحديث -رحمة الله علينا وعليهم- أنه لم يطلب الحديث، قالوا له: لم؟، قال: كل حديثٍ حفظته عَمِلْتُ به؟، لا أدري والله، أخشى أني ما عملت به، وأسأل يوم القيامة.

فيُراد من العلم العمل، الإنسان يعمل به ابتغاء وجه الله عز وجل، كلما ازداد المرء علمًا وعملًا ازداد رفعةً ودرجة عند الله ﷻ؛ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١] ، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي لو عمل لرفعه بها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] ، فيُراد من العلم العمل، فما عَلِمْتَ فاعمل به ولو مرةً؛ من السنن والمستحبات، ولذلك إذا تنوعت السنن؛ قال أهل العلم: ينبغي أن يعمل بكل سُنَّةٍ، هذه تارةً وهذه تارةً، كيف تَنَوُّع السنن؟ مثل الاستفتاح في الصلاة سنةٌ ولا لأ؟، دعاء الاستفتاح سنةٌ، كم فيه من دعاءٍ؟،

فيه: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة...**» إلخ.

وفيه: «**سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**».

وفيه: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب...**». إلخ.

وفيه: «**الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا**».

فهذه عِدَّةُ أذكار للاستفتاح.

قال أهل العلم -رحمة الله علينا وعليهم-: إنه ينبغي للإنسان في كل مرةٍ يستفتح بذكرٍ حتى يُنَوِّع ويعمل بالجميع.

واستحب بعضهم أنك في صلاة الليل بعد القيام من النوم تستفتح بالدعاء: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل**»؛ لأن النبي ﷺ كان يدعو به إذا قام إلى صلاة الليل.

وفي الصلاة إنك تقرأ: «**سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك**»؛ لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يجهر به يُعلمه الناس، لما كَثُر الداخلون في الإسلام من الأعاجم والناشئون في الإسلام من أبناء المؤمنين، كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجهر به أحيانًا في مسجد النبي ﷺ يُعلمه الناس في الصلاة، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ متوافرون كثيرون، قالوا: فإقرار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لعمر على هذا الاستفتاح يدل على أهميته وصحته، وهكذا. **نعم**.

ثانيها: كراهية التزكية، والمدح، والتكبر على الخلق.

إذا رزقك الله العلم النافع ووفقك للعمل الصالح، فهاتان بشارتان من عاجل بشرى المسلمين؛ رزقنا الله وإياكم ذلك.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢ - ٦٤]:

فالبُشرى الأولى: أن يجعل الله عز وجل في قلبك الرغبة في العلم، وأن يَشْرَح صدرك لذلك، وأن يُذَلِّل به لسانك، وأن يُوفِّقك لعالمٍ صاحب سُنَّةٍ تأخذ عنه.

ودليل هذه البشرى قوله ﷺ في الحديث الصحيح: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، هذه أول البشرى.

البشرى الثانية: أن تُوَفَّق للعمل بالعلم، فتُحقق العلم بالتطبيق بالعمل، ليحصل لك أجر العلم وأجر العمل به وأجر القدوة والأسوة الحسنة؛ أن الناس يتأسون بك.

ودليل هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إذا أراد الله بعبده الخير استعمله**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟، قال: «**يفتح له بين يدي موته باب عمل صالح، حتى يقبضه عليه**»، فهذه من عاجل البشرى.

من عاجل البشرى كذلك: الثناء الحسن، أنه يُثْنِي عليك بالصلاح والتقوى، ويُحبك في الله من يَعْرِفُك ومن لا يعرفك، وهذا لا يكون إلا بالاستمرار على العمل، وبالتواضع لله ﷻ، وبالرحمة بالخلق، وبِلِين الجانب، وعفة اللسان، وبَذْل العلم للعالَم؛ لمن يحتاجه، فتُعلم جليسك في الصلاة، تُعلم الحاضر معك في المجلس، تُعلم والدتك ووالدك وزوجك وولدك وأخاك وأختك وجارك، تعلمه ما يحتاج بالمناسبة، إذا رأيت مناسبةً تعلمه.

فبذلك تكون مباركًا أيمنا كُنْتَ -جعلنا الله وإياكم مباركين-، ويحبك القريب والبعيد، مَنْ يَعْرِفُك ومن لا يعرفك؛ لأنهم يجدوا منك محبة الخير، والحرص على العمل الصالح، وهداية الخلق للحق، ولين الجانب، ولُطف القول، وعفة اللسان، وخَفْض الجناح، والنصيحة لكل أحدٍ؛ فهذا من توفيق الله للعبد؛ لأن بعض الناس إذا رُزق من العلم شيئًا تَرَفَّع، تكبر، وانتفخ، تعالى وتعاظم، والمتكبرون يحشرون يوم القيامة أمثال الذر؛ لأنهم نازعوا الله بما له من خصائص سبحانه وتعالى.

وبعض الناس إذا وُفِّق في العمل أُعجب بنفسه وأدنى بعمل على ربه، مَنَّ به على الله، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧] ، فمن هداه الله فمِن فضله عليه، ينبغي كلما ازددت علمًا وعملًا وقبولًا في الناس أن تتواضع لله، وتشكره، وتقول: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، وتُلِحُّ على الله: اللهم اهدني وسددني، وتذكر بالهدى الطريق وبالسداد الإصابة -ريشة السهم-، فكلما ازداد المؤمن علمًا وعملًا ازداد تواضعًا، ليش؟؛ لأنه عَلِمَ صفات الله عز وجل، وكَرَمَ الله عز وجل عليه، وعظمة

الله سبحانه وتعالى، فيتواضع لعظمة الله، ويَتَوَاضع تَذَلُّلا لله وتقربًا إليه، ويتواضع استزادةً من فَضْلِ الله -جل وعلا- عليه، ويتواضع لأجل أن يصل الحق بواسطته للخَلْق؛ القريب والبعيد، فكلما ازداد العبد علمًا نافعًا وعملًا صالحًا وقبولًا، ازداد تواضعًا.

والتكبر -والعياذ بالله- من أسباب حرمان العلم والعقوبة العاجلة.

من ذلك: فظاظة الأسلوب، وبذاءة اللسان، كل هذه من أسباب حرمان العلم، ومن أسباب بعد الناس عن الشخص، وألا يُقبل منه الخير. **نعم**

ثالثها: تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا.

رابعها: الهرب من حُبِّ التَّرَأُّس والشهرة والدنيا.

إي نعم، أول شيء: إنك لا تترخص في العلم، فتأخذ بالفتاوى الشاذة التي تُوافق هواك، تأخذ من قول هذا الإمام ما يوافق هواك بغض النظر عن موافقته للحق، ومن قول ذاك ما يوافق هواك بغض النظر عن موافقته للحق، تأخذه أنت تعرف أنه شاذ، كل إمامٍ يُؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ، فمن أخذ برُخص أهل العلم تزندق وخرج من دين الله؛ لأنه يتساهل أولًا في المستحبات، ثم يتساهل في الواجبات، ثم يتساهل في الأركان والعياذ بالله.

يكون متبعًا لهواه فلا تترخص بالشواذ من فتاوى أهل العلم بالرُّخص، هذا خطيرٌ جدًّا، احذر هذا الشيء.

لا تنتقي من أقوال أهل العلم ما يُوافق هواك، خُذ من أقوال أهل العلم ما يوافق الدليل، ما هو الراجح، إذا خفي عليك ذلك خذ ما هو الأحوط لدينك، ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، هذا أمر مهمٌ جدًّا، لا تترخص، كن حازمًا، كن عازمًا، كن شديدًا على نفسك في التقوى، فإنه لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به خشيةً مما به بأس.

فلا تترخص في الفتاوي، احرص على أن تعرف موافقة الفتوى للدليل، وأنها هي الحق، لا تنتقي ولا تُسَعِّر الفتاوى، لا تسعر تريد من يفتيك على وفق هواك، أو تقرأ الفتاوى وتنتقي ما يوافق هواك، لا هذا خلل في دينك، هذا يحملك على الزيغ والانحراف.

من ذلك: أنك أنت إذا صِرت من أهل العلم، لا تفتي بما يوافق أهواء الناس، لا تجامل، قل بمقتضى الدليل، رضي الناس أو لم يرضوا، قل بما تدين الله به، قل بما تظن يغلب على ظنك إنك لو جعلته بينك وبين النار سَتَرَكَ منها، لا تُوجِد للناس مخرجًا من الحرج الذي هم فيه، وتُحرج نفسك يوم القيامة بين يدي الله.

لا تفتي للناس إلا بما يغلب على ظنك إنه هو الحق، بما لك فيه إمامٌ من أهل العلم المعتبرين؛ يكون مسبوق بالفتوى، لا تجيب فتوى جديدة مثلما يقولون: فتوى عصرية، لأ، لا بد يكون لك سلفٌ معتبرٌ من العلم وأهل العلم والديانة والنصح والأمانة، لا تقل قولًا لم تُسبق إليه، احذر هذا غاية الحذر، لا تُرَخِّص للناس، لا تترخص لنفسك ولا تُرخص للناس، في نفس الوقت لا تُشدد على الناس، إذا ما عرفت أحلهم على غيرك، فإن الفقيه كل الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله ولم يجرئهم على معصية الله.

قد إنك تُشدد على نفسك، لكن لا تُشدد على غيرك، أَرْضُ الله واسعةٌ، فالشيء الذي هو خاص بنفسك لا تفتيه لغيرك، لكن إذا كان ظاهر؛ موافقته للدليل ظاهرة وإنه هو الراجح، أفتِ به، ما هي مشكلة، لكن شيء تختاره لنفسك فقط، لأ، لا تفتيه لغيرك خله لنفسك.

خامسها: هجر دعوى العلم.

سادسها: إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس، تَنَزُّهًا عن الوقوع بهم.

وقد كان عبد الله بن المبارك – رحمه الله تعالى – إذا ذُكِرَ أخلاق من سلف ينشد:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمُقعد

الأدب الخامس والأربعون: زكاة العلم

أدِّ زكاة العلم صادعًا بالحق، أمَّارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار، ناشرًا للعلم، وحب النفع، وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف.

وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له وراه مسلمٌ وغيره.

قال بعض أهل العلم: هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعَالِم الباذل لعلمه، فبَذْلُه صدقةٌ ينتفع بها، والمتلقي لها ابنٌ للعالم في تعلمه عليه.

فاحرص على هذه الحلية، فهي رأس ثمرة علمك.

ولشرف العلم فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق وآفته الكتمان.

ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفُسَّاق، وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فَعَلْتَ فهي فعلةٌ يَسُوق عليها الفسَّاق الذَّهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة.

الشرح:

يعني إن طالب العلم يُنَمِّي علمه بما يُرَسِّخه ويثبته ويزيده.

ومن أعظم ذلك: الإنفاق من العلم؛ ببذله للناس؛ بحيث إنك في جميع مجالسك تذكر العلم، مُعلمًا لمن يحتاج إلى تعليم، مُذاكرًا لمن ينبسط في المذاكرة، آمِرًا بالمعروف لمن قَصَّر في ترك واجبٍ، ناهيًا عن المنكر لمن تجرأ على فِعْل محرمٍ.

ولو تدبرنا سيرة النبي ﷺ لوجدنا أن بيانه لدين الله -جل وعلا- ونصيحته للأمة كلها بالمناسبة؛ بحيث الإنسان ما يَفرض على الناس شيءٍ، لكن يراهم بحاجةٍ إلى تذكيرٍ، يسأله

سائلٌ، يُورد فِكْرَةً ويُعَلِّق عليها، يكون في المجلس حديثٌ يربطه بما يناسبه من العلم، بحيث أنه يأخذ الناس بلطفٍ، فيُذكر الناسي ويُعلم الجاهل، ويُنشط المتكاسل، ويزجر المتجرئ على الحرمات، وبذلك يكون مباركًا أينما كان بلطفٍ ورفقٍ، سواءً في المسجد، أو في قاعة المحاضرات، أو في البيت عند أهلك، أو في المجلس مع زملائك، تحاول أن تُفيدَ بلطفٍ، ابتداءً إذا رأيت المناسبة، أو تعليقًا على ما جرى في المجلس، أو إجابةً على سؤالٍ، أو طرحًا لفكرةٍ، يكون هَمُّ الإنسان أن يبذل العلم؛ لأنه بهذا يَرْسَخ يُحفظ، وبهذا ينمو، وبهذا تتصدق، ولا يوجد بعد الواجبات الشرعية أفضل من نافلة طلب العلم، أبدًا؛ هو أفضل شيءٍ، فطلبه عبادةٌ، ومذاكرته تسبيحٌ، وبذله صدقةٌ، والعمل به قربةٌ؛ ما يُوجد هذا في مثل العلم، ولذلك طالب العلم يحرص أن ينفع الناس، ينفعهم بعلمه؛ يبذله، وينفعهم بجاهه؛ من احتاج إلى شفاعةٍ أو وساطةٍ أو كذا، بقدر ما يستطيع، لا يكلف الله إلا وسعها.

كان النبي ﷺ إذا جاءه صاحب الحاجة يقول لأصحابه: اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله عن لسان نبيه ما شاء.

فيكون طالب العلم خَيِّرًا محسنًا كريمًا، وخصوصًا ما يُنمي العلم ويزيده ويثبته ويرسخه.

نعم.

الأدب السادس والأربعون: عزة العلماء

التحلي بعزة العلماء، صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عِزِّه وشَرَفِه، وبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تَهْدُرُه يكون الفوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وعليه فاحذر أن يَتَمَنْدَل بك الكبراء، أو يمتطيك السفهاء، فتُلاين في فتوى، أو قضاءٍ أو بحثٍ أو خطابٍ.

ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله، وإن عظم قدره.

ومتع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمة مضوا، تَرَ فيها بذل النفس في سبيل هذه الحماية، لا سيما مَنْ جَمَعَ مُثلًا في هذا، مثل كتاب من أخلاق العلماء لمحمد سليمان -رحمه الله تعالى -، وكتاب الإسلام بين العلماء والحكام ولعبد العزيز البدري -رحمه الله تعالى-، وكتاب مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لفاروق السامرائي.

وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب عزة العلماء يسر الله إتمامه وطبعه.

وقد كان العلماء يُلقنون طُلَّابهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - كما نَجِدُها عند عددٍ من مترجميه ومطلعها:

يقولـــون لـــي فيـــك انقبـــاض وإنمـــا ... رأوا رجـــلًا عـــن موقـــف الـــذل أحجمـــا
أرى النـــاس مـــن داهـــنهم هـــان عنـــدهم ... ومـــن أكرمتـــه عـــزة الـــنفس أُكْرِمـــا
ولـــو أن أهـــل العلـــم صـــانوه صـــانهم ... ولـــو عَظَّمُـــوه في النفـــوس لعظمـــا

لعظَّما بفتح الظاء المعجمة المُشالة.

الشرح:

يعني إن طالب العلم ينبغي له أن يُربي نفسه على عزة النفس، من غير تكبرٍ، بمعنى أنه يكون صَيِّن النفس، محترم، فلا يذل، ما يتطلع إلى ما في أيدي الناس، ولا يُهين نفسه بحضور مجالس السفهاء، ولا يحضر لمجالس العوام؛ فيتوسعوا في الكلام، بحيث أنه يتهم، فيوجد حيث يَنْفَع، إذا كان ما ينفع أو يتضرر هو لا يُوجد أصلًا، في نفس الوقت لا يمد يده للناس، ولا يُهين نفسه عند الأكابر، والأمراء والأغنياء وغير ذلك.

إن طُلب وهو معززٌ وينفع ذهب وإلا ما يذهب، ولا يتصنع بعلمه لينال شيئًا من دنياهم، أو الصدارة في مجالسهم، ولا يَهُون بحيث أنه يكون مع السفهاء، يكون في المجالس التي فيها شبهة، أو في المواطن التي فيها شبهة؛ يرفع نفسه عن الدنايا. ويسعى في معالي الأمور، وعلى الأقل الكفاف، لا له ولا عليه، لكن ما يهين نفسه، ما يُذل نفسه طمعًا في دنيا الناس، بحيث يُداهنهم ويتملق لهم، يُهين العلم الذي في صدره: القرآن العظيم والسنة الصحيحة .

ولأجل أن يقوى هذا عندك، يجب أن يكون عندك عفةٌ ونزاهةٌ ونأيٌ عن الحرام، وتَرَفُّعٌ عن فضول الكلام والمجالس، وحفظٌ للوقت، وإقبالٌ على العبادة، اقرأ في سير أهل العلم، سير العلماء الربانيين، والعباد الصالحين، تصفح «سير أعلام النبلاء» **للحافظ الذهبي** - رحمه الله - انظر كيف سيرهم، سير لامعةٌ ومشرقةٌ، كذلك اقرأ «صفة الصفوة» **لابن الجوزي** - رحمه الله -، واقرأ عن أخبار السلف في تاريخ **ابن كثير** «البداية والنهاية» وغير ذلك، حتى تتبين لك؛ اقرأ في تراجم أهل العلم عامةً، تجد النزاهة، تجد العفة، تجد الكرم، تجد الكرامة، تجد الشجاعة من غير تهورٍ، تجد الاقتصاد في غير بخلٍ، فتجد في سير أهل العلم ما يُقوي عبادتك ويقوي علمك، ويكون لك أسوة حسنة، في نفس الوقت تستفيد أنت منها في التعامل مع الآخرين، فهذا مهمٌ جدًّا لطالب العلم، أن يتربى على عزة النفس في تواضعٍ، عزة النفس في تواضعٍ، فيه كرمٌ وفيه بذلٌ، لكن يترفع عن دنايا الأمور وعن سفساف الأمور، وعن

المجالس التي تضره، وعن الفضول الذي يضره، وعما يُجرئ العامة عليه، وعما يؤدي إلى أن يَهينه الأمراء، أو يحتقره الأغنياء، لأ، فكن مع الناس ما وجدت قبولًا ونفعًا، وإذا وجدت ثِقلًا أو ضررًا أو إعراضًا فلا تكن معهم.

كن مع نفسك ومع كتابك، واشتغل بما ينفعك، من مذاكرةٍ أو عبادةٍ أو غير ذلك من ذكر وهكذا. **نعم**.

الأدب السابع والأربعون: صيانة العلم

إن بلغت منصبًا فتذكر أن حبل الوصل إليه طَلَبُك للعلم، فبفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولايةٍ في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء وهكذا، فأعط العلم قدره وحظه من العمل به وإنزاله منزلته.

واحذر مسلك من لا يرجون لله وقارًا، الذين يجعلون الأساس حفظ المنصب، فيطوون ألسنتهم عن قول الحق، ويحملهم حب الولاية على المجاراة.

فالزم - رحمك الله- المحافظة على قيمتك بحفظ دينك وعلمك وشرف نفسك، بحكمةٍ ودرايةٍ وحُسن سياسةٍ، احفظ الله بحفظك، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة.

وإن أصبحت عاطلًا من قلادة الولاية -وهذا سبيلك ولو بعد حينٍ- فلا بأس، فإنه عزل محمدةٍ، لا عزل مذمةٍ ومنقصةٍ.

ومن العجيب أن بعض من حُرِم قصدًا كبيرًا من التوفيق لا يكون عنده الإلتزام والإنابة والرجوع إلى الله إلا بعد التقاعد، فهذا وإن كانت توبته شرعيةٌ، لكن دينه ودين العجائز سواءٌ، إذ لا يتعدى نفعه، أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدي نفعه، فتجده من أعظم لناس فجورًا وضررًا، أو بارد القلب، أخرس اللسان عن الحق.

فنعوذ بالله من الخذلان.

الشرح:

يعني إذا رزقك الله العلم، ومَنَّ عليك بالقبول بين الناس، وجعلك مباركًا في تعليم الناس مباركًا أينما كنت، فلا تجعل علمك وسيلةً إلى المناصب، والتَّرَأُّس والولاية، وتذكر أن أسوتك النبي ﷺ، فإنه خُيِّر بين أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا

رسولًا، فأتاه الله العبودية والملك جميعًا، فكان ﷺ أعبد الناس وهو ولي أمر الناس، فأنت لا تجعل علمك وسيلةً لقَنْصِ المناصب والوظائف، لا، اجعل علمك قربةً إلى الله عز وجل ورفعةً عنده يوم القيامة.

وإذا كنت كذلك فالله عز وجل سيُحِيج الناس إليك؛ لأن مرسوم الإمامة في الدين ما هو يصدر من الأرض، يصدر من السماء، من عند الله -جل وعلا-، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤] ، فليكن همك أن الناس يقبلون العلم منك، وأن الناس يُطيعون الله عز وجل، ولو كَلَّفَك الثمن، لكن لا تجعل همك الدنيا، فإن من كانت الدنيا همه جعل الله عز وجل الفقر بين عينيه، وشتت شمله، وفرَّق ضيعته، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِب له، وفاتته الآخرة.

فاجعل همك أن تقوم مقام النبي ﷺ في إظهار الحق وهداية الخَلْق للحق، هذا همه، وهذه الإمامة في الدين، وهذا المنصب العظيم، كيف لا؟ وقد يسر الله لك أن تُوَقِّع عنه في الفتاوى والأحكام، فيه أعلى من هذا المنصب؟ ما فيه.

فإن العلماء الربانيين والفقهاء العاملين هم الذين يُخبرون عن الله عز وجل يقولون: الحكم كذا، الحكم في كذا كذا، والحكم في كذا كذا، هذا أعلى منصبٍ في الدنيا، لا يناله الملوك لو كل شيءٍ يُسوون، ولا يناله الأغنياء ولو كل المال بذلوه، ولا يناله الوجهاء ولو فعلوا ما فعلوا، اغتبط بأن سلك الله تعالى بك طريق العلم وجعلك من ورثة النبي ﷺ، وجعلك من خلفاء النبي ﷺ في أمته، وجعلك حلقة في سلسلة سند العلم، من لدن النبي ﷺ إلى آخر الأمة، وأن لك مثل أَجْرِ من عَمِل بعلمك، متأثرًا بك مهتديًا بك إضافةً إلى عملك، فلا أتير من طالب العلم العامل بعلمه، ما فيه أتير منه في الدنيا والآخرة، ولا فيه أعلى منصبٍ منه، ولا فيه أرفع درجةً منه، ولذلك هو أجلُّ من أن يتذلل بعلمه، ويقتنص الدنيا بعلمه،

ويقنص المناصب والولايات؛ لأ، الذين تسمعونهم الآن يتكلمون بالإصلاح وولاية الفقيه وما أشبه ذلك من الأمور هذه، هؤلاء أرادوا الملك والعلو في الأرض.

والله -جل وعلا- قال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

فتُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين، والسير على منهاج خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، هذا الذي ينبغي لطالب العلم، لا يطلب العلم من أجل شهادة، صك معيشة، لا يطلب العلم لأجل منصب، لا يبذل العلم ويُرخصه للناس يتزلف إليهم، لا يأتي على أهواء الناس يتصنع لهم، لأ؛ قُلِ الحق ولو على نفسك، قل الحق ولو كان مُرًّا، هكذا ينبغي للإنسان.

فإن كان بك شجاعة لمواجهة الناس بهذا فهنيئًا لك وأنت من العلماء الربانيين ورثة المرسلين، وإن كُنت دون ذلك فعليك بخاصة نفسك وأهلك ومن حولك وأنت بذلك من ورثة النبيين في الأمم السابقة، وإياك إياك أن تخرج عن هذا الخط، إما أن تكون من ورثة المرسلين، أو من ورثة النبيين، يكفيك هذا الفخر.

وفقني الله وإياكم للعلم النافع، ورزقنا الإيمان والعمل الصالح، ووفقنا للطاعات وتاب علينا من القبائح، وجعلنا من الفائزين بالمتجر الرابح، وعفا عنا وعنكم وعن والدينا ومشايخنا وأزواجنا وذرياتنا وذوينا، ومَنَّ علينا بالعتق من النار، وورثنا الفردوس الأعلى مع الاخيار. والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السابع والأخير في شرح الحلية

القارئ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال الشيخ أبو بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى وإيانا- في «الحلية»:

الأدب الثامن والأربعون: المداراة لا المداهنة

المداهنة خُلُقٌ مُنحطٌّ، أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما، فتحملك المداهنة إلى حَضَار النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك.

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم وبارك على رسوله نبينا محمد وعلى آله وسلم.

أما بعد:

هذه مسألةٌ مهمة، وهي معرفة الفرق بين بين المداراة والمداهنة.

فالمداراة:

هي أن الإنسان يتلطف في الأمر بالمعروف، وفي النهي عن المنكر؛ لأجل مصلحة الدين، فيؤخر البيان أحيانًا ويختصر، أو يتلطف في العبارات التي فيها تضخيم وتعظيم للشخص لأجل مصلحة الدين، فهذه تسمى مداراة.

كان النبي ﷺ في مكة يُعَظِّم قريشًا عظماء قريش، يُكنِّيهم: يا أبا فلان، يا أبا كذا، ويعرف لهم منازلهم، وهكذا خطابات النبي ﷺ لملوك زمانه في الدعوة إلى الله: «**من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى فُلانٍ عظيم الفرس**»، «**عظيم الروم**»، **عظيم كذا**.

فهذه مداراة لأجل استجلاب الناس للخير، وفتح قلوبهم وشرح صدورهم لقبوله.

أما المداهنة:

فإن الإنسان يتلطف بالناس، ويترك الشيء عن وقته، ويُفَخِّم الفساق؛ لأجل الدنيا لأجل دنياهم.

فالمداراة من أجل الدين، والمداهنة من أجل الدنيا.

فطالب العلم يحتاج إلى هذا.

ومن ذلك: مداراة الولاة، ولي الأمر الأعظم ونوابه، والمسؤولين من أهل العلم والأكابر، المسؤول عن الحسبة، عن القضاء، عن الإفتاء، أنك تتلطف له بالقول، وتُجِلَّه، وتُنزله منزلته، وتعرف لذي الفضل فضله، فهذه مداراة يحتاج إليها طالب العلم.

أما المداهنة فهي تَنَزُّل، وخنوعٌ، وذلٌّ، من أجل حطام الدنيا وأوساخها، أو من أجل مداراة الفساق، فهذا ما يليق بطالب العلم. **نعم**.

الأدب التاسع والأربعون: الغَرام بالكتب

شرف العلم معلوم لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه كحاجة البدن إلى الأنفاس، وظُهور النقص بقَدْر نَقْصِه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتد غرام الطُّلَّاب بالطلب، والغرام بجَمْعِ الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار في ذلك تطول، وفيه مقيدات في «خبر الكتاب» يسر الله إتمامه وطبعه.

وعليه فأحرز الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يُغني منها كتابٌ عن كتابٍ، ولا تحشر مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لا سيَّما كتب المبتدعة، فإنها سمٌّ ناقعٌ.

الشرح:

يعني من شأن طالب العلم محبة الكتب، كتب العلم، لمحبته للعلم، فهو يحب الكتب لأنه مُستودعات العلم، فيكون به ولعٌ في اقتنائهم وشرائها مهما كان الثمن، كل كتابٍ له قَدْرُه بحسب ما حواه من العلم، فيكون به غرامٌ وحبٌّ، والغرام أشد الحب للكُتب، مثل حبه للكتابة، أنه يقيد الفوائد ويُؤَلِّف الشوارد ويُفَهْرِس المسائل، ويُنَبِّه على مضامين الكتب، من المسائل ذات الشأن، ولذا يُوصف أهل العلم يقال: فلانٌ من أهل العلم في ترجمته كَتَبَ بخطه ما لا يُحصى كثرةً، يعني من تقييده للعلم للفوائد، يقتنص الفوائد ويقيدها ويوثقها ويجمعها إلى نظيرتها، ويقال: إنه أَلَّف من الكتب كذا، أو جَمَع من الكتب كذا.

فجَمْعُ الكتب يدل على الهمة في طلب العلم، ولذلك تجد العَالِم المُحَقِّق عنده مكتبةٌ قيمةٌ مختارةٌ بعنايةٍ، ومجموعةٌ من كل طريقٍ، ولا يستغلي ثمنًا على كتابٍ ذي شأنٍ مهما بلغ، هذا ديدن أهل العلم قديمًا وحديثًا، أنهم لهم همةٌ في جَمْعِ الكتب واقناء الكتب، كلما سمعوا بكتابٍ نفيسٍ بذلوا الجَهْد في تحصيله، مهما كَلَّف الثمن، مهما بَعُدَ مصدره، هذا معروفٌ عن أهل العلم.

ومن آخر الناس من أهل العلم قبل طباعة الكتب: **الشيخ محمد بن عبد اللطيف،** هذا الشيخ – رحمة الله عليه – ، جَدُّ المفتي الحاضر –وفقه الله –، فهذا الرجل له همةٌ في جَمْعِ الكتب: مخطوطات، واستنساخ المخطوطات التي لا يُمكن تحصيله بثمنٍ يستنسخه ويُوصي ويُكلف من ينسخه له، وما من كتابٍ له شهرةٌ في المذهب في العقيدة ومن كتب السلف إلا وقد وَفَّرَه، ولو تأملتم المكتبة السعودية بدار الإفتاء، تجدون جملةً كبيرةً من محتوياتها من وقف الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف من مخطوطات، فهذا الرجل لا يستغلي المال في سبيل تحصيل كتاب، وجمع من الكتب الشيء الكثير، ونفع الله بها، وهذه في موازينه، الكثير من الكتب كان ليس بإمكان أهل نجد تحصيلها، فوَفَّرها لهم، أتى بها من مصر، ومن الهند، ومن اليمن، ما يسمع بكتابٍ إلا ويعمل على تحصليه ويُحصله فعلًا، فكان كريمًا يبذل المال في الكتب بغير حساب، وكان –كذلك– كريمًا في إكرام طلبة العلم، وإسعاف الفقراء – رحمة الله علينا وعليهم – فهذا مثلٌ حيٌّ.

ومثل ذلك شيخ الإسلام **ابن تيمية** – رحمه الله –، شيخ الإسلام **ابن القيم** – رحمه الله –، الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** – رحمة الله عليه –، فكان لهم جهودٌ في تحصيل الكتب ولا يجمعونها فقط، لأ، يقرؤونها قراءة تحقيقٍ وتدقيقٍ وتدبرٍ وفقهٍ.

فهذا شأن طالب العلم.

ولا يجمع ما هب ودب، لا، ما يشتري إلا الكتاب النفيس، وإذا اشترى الكتاب كأنه ظفر بدُرَّةٍ من الدرر الثمينة الغالية، فلذلك أقل ما يمكن أنه يقرأ المقدمة والخاتمة وينظر في الفهرس، ويُقيد على الصفحة الأولى من الكتاب أهم المسائل بالباب، حتى يستذكرها ويرجع إليها عند الحاجة، ويحرص على أنه يقرأ فصولًا من الكتاب، أبوابًا من الكتاب وفصولًا من الأبواب، هذا طالب العلم، ما هو يشتري الكتاب ويجعله على جنبٍ، فيتردد في

الكتب ويعرف مضامينها، ويعرف مظان البحث في المسألة، إذا مر بمسألةٍ يعرف أين يجدها في مكتبته، في أي كتاب، مسائل العقيدة لها كتبٌ، ومسائل الأحكام لها كتبٌ، ومسائل القواعد الأصولية والفقهية لها كتبٌ، ومقاصد الشريعة لها كتبٌ، وشروح الأحاديث لها كتبٌ، وتفاسير القرآن لها كتبٌ، وهكذا؛ فيختار من كل فَنٍّ أطيب ما فيه وآصَلَ ما فيه، فلا يُمكن أن يكون الإنسان طالب علمٍ وهو ما عنده نسخةٌ من تفسير **ابن جريرٍ** - رحمه الله -، ومثل تفسير **ابن كثيرٍ** - رحمه الله -، ومثل تفسير **القرطبي** - رحمه الله -، هذه كتبٌ معتمدةٌ عند أهل العلم، لا بد.

كذلك لا يُمكن أن يكون هناك طالب علمٍ ما عنده نسخةٌ من الكتب الستة في الحديث، يعني لا بد يوجد هذا، وهكذا مصنفاتٌ في الفقه الحنبلي خاصةً، وهكذا كُتُب الآثار، مثل مصنف **ابن أبي شيبة**، ومثل مصنف **عبد الرزاق**، ومثل «السنن والآثار» **للبيهقي** التي تُعْرَفُ بواسطتها أقاويل الصحابة والتابعين في المسائل، هذه كتب الآثار؛ لأن هذا يَشْرَح الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، ويُفسر الآيات التي جاء بها التنزيل الكريم، فيُعنى بها، يُعنى بتفاسير القرآن، يُعنى بأمهات السنة وبُشروحها، يعنى بُمصنفاتٍ في أحاديث الأحكام وفي آيات الأحكام، يُعنى بمصنفاتٍ في عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على أهل الأهواء، يُعنى بالكتب المُصَنَّفة في مفردات اللغة، وفي بيان مفردات القرآن، وبيان مفردات السنة وغريب السنة، في كل فنٍّ عنده كُتُبٌ تعينه على المراجعة ومعرفة مفردات النصوص، ومعرفة جُمَل النصوص، ومعرفة الأحكام العربية، التي لا بد من معرفتها، هذا أمرٌ لا بد منه.

ولا يمكن للإنسان أن يكتفي بالسماع من الأشرطة، الأشرطة تروح وتجي وتتغير، موضات؛ لكن الكتب هي كُتُبٌ، والذي ليس عنده مكتبة ما هو بطالب علمٍ، والذي عنده مكتبةٌ منسيةٌ ليس طالب علم، لا بد من مكتبةٍ، بس يتعاهد المكتبة؛ تارةً يقرأ في التفسير، تارةً

في الحديث، تارةً في الفقه، بل إن الآية الواحدة من كلام الله عز وجل تحتاج إلى التفسير، وتحتاج إلى الحديث، وتحتاج إلى معرفة غريب اللغة ومعرفة مفردات اللغة، فهذا أمرٌ لا بد منه، وكان العلماء يشترون الكتب بغالي الأثمان مع قلة ذات اليد، لكن لأنها مهمة، فهذا أمرٌ لا بد منه.

أنا أعرف منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة مَنِ اشترى نسخةً من فتاوى شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأكثر من ألف ريالٍ، ونسخة من «**الفتح الرباني في شرح مسند الإمام أحمد**» بأكثر من ألف ريالٍ من خارج المملكة؛ أرسل إليها وأتى بها، وغير ذلك، مع إن هذا طالب عنده مكافئة، ما عنده راتب، لكن من شدة الحرص، وتجده عنده مكتبة من غرفتين وثلاث غرف ومع ذلك يعي ما في المكتبة، وإذا احتاج يعرف أين يجد الكتاب، وإين مظان البحث في مسألة، هذا مهمٌ جدًّا.

ولا يعني أن مكتبة طالب العلم مثل منتزه الناس في الحدائق والزهور والورود، يعني عنده مثل ما عند الناس، لكن هي أغلى عنده؛ لأنها تفيده دنيًا وآخرةً، فلا بد من هذا، فلا يشغلنكم الأشرطة والسيديهات والإنترنت، هذا كلهٌ عارضٌ ومؤقتٌ وسيزول، لكن الكتب التي تبقى، تنفعك مدة وُجودك، وتنفع من كان من أهل العلم من ذريتك، وإذا أنك استيأست من هذا فأنت تُوقفها على جهةٍ؛ ينتفع بها المسلمون، فهذا شيءٌ نفيسٌ ومهمٌ وشريفٌ، ولا تستغلي المبلغ في الكتاب مهما كان.

الخليفة الأموي **الحَكَم المستنصر** - رحمه الله - من الخلفاء الأمويين في الأندلس، مكتبته -ما فيه مطابع في ذلك الحين- اشتملت على أربعمائة ألف مَجْلَدَةً، كل هذه مكتوبةٌ باليد، وكان فيه عندهم -في الأندلس- سوقٌ للنُّساخ، وعندهم امرأةٌ معتمدةٌ في الإشراف على النَّسْخ، يقال لها: **مريم الفلانية**، وعندها طالباتٌ لها يشتغلن بالنسخ، فإذا انتهى المؤلف

من كتابه يُؤخذ الكتاب مَلَازم عشرين ملزمة أربعين ثلاثين، ويُوزع على هؤلاء الكاتبات في السوق، كل واحدةٍ لها دكانٌ، وتشرف عليهن المرأة هذه المعتمدة الموثقة من القضاة، من أهل العلم، فتوزع هذه الملازم عليهن، كل واحدةٍ تكتب الملزمة في نصف ساعة، ساعة، ساعتين، وبعدين يُؤخذ هذا من عندهن ويُعطى المجلد لمن يجلده، وكل شوي يطلع نسخة من الكتاب، وتؤخذ النسخ وترسل للمشرق، والكتب في المشرق ترسل للمغرب، فكانت مسألة النسخ وتوثيق النسخ تشتغل عمل المطابع، وخط جميلٌ مرتبٌ، وفي نفس الوقت مراعى فيه القواعد، ولذلك توفرت هذه؛ كان الخلفاء الصالحون يَبذلون من مالهم بسخاءٍ في سبيل هذا، في سبيل توفير الكتب، ويوقفون الكتب على المكتبات الملحقة بالمدارس في الجوامع. **نعم**.

الأدب الخمسون: قوام مكتبتك

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام، والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلها كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، وتلميذه ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -.

وعلى الجادة في ذلك من قبلُ ومن بعدُ كُتُب: الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -، وأجل كتبه «التمهيد».

والحافظ ابن قدامة - رحمه الله تعالى -، وأرأس كتبه «المغني».

والحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى -.

والحافظ ابن كثيرٍ - رحمه الله تعالى -.

والحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى -.

والحافظ ابن حجرٍ - رحمه الله تعالى -.

والحافظ الشوكاني - رحمه الله تعالى -.

والإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -.

وكتب علماء الدعوة، ومن أجمعها «الدرر السنية».

والعلامة الصنعاني - رحمه الله تعالى -، لا سيما كتابه النافع «سبل السلام».

والعلامة صدِّيق حسن خان القنَّوجي - رحمه الله تعالى -.

والعلامة محمد الأمين الشِّنقيطيُّ - رحمه الله تعالى -، لا سيما كتابه «أضواء البيان».

الشرح:

أهم شيء أن تشتمل مكتبتك على مصنفات أئمة السنة، وأكابر أهل العلم أهل الاجتهاد والفتيا، الذين مذاهبهم منضبطةٌ، ويُغنيك لو جمعت في مكتبتك كتب أئمة الدعوة:

شيخ الإسلام **ابن تيمية** – رحمه الله –،

وشيخ الإسلام **ابن القيم** – رحمه الله –،

وشيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب** – رحمه الله –، وتلامذته وأحفاده–.

هذه لو جمعتها تكفيك في جميع فنون العلم، ومن أنفع شيءٍ: مجموعة الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** – رحمه الله – التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود قبل ثلاثين سنة، هذه مصنفات أئمة الدعوة جامعةٌ للخير كله، ومُغنيةٌ عن كثيرٍ من الكتب، وفيها سلامة من أنك تقرأ شبهات أهل البدع والأهواء.

فتجمع لك هذه الكتب أمرين:

صحة الاعتقاد، ورد شبهات أهل الأهواء.

ومذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ والراجح فيه، ومذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس هينًا، تراه مذهب الإمام أحمد فقه مقارن، له أقوال في المسألة: قولان في المسألة، أو روايتان، ثلاث روايات، أربع روايات، كل رواية يوافق فيها مذهب عالم من العلماء الأكابر، وطالب العلم يعرف الراجح من أقوال الإمام **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ والأخير، فإذا جمعت الكتب هذه أغنتك عن كل ما سواها من الكتب.

ومن عمدتهم مثلًا في التفسير يقولون أننا نعتمد في التفسير على تفسير **ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وعلى مختصره تفسير **ابن كثير**، شوف كلامهم وعباراتهم دقيقةٌ جدًّا، هذا المعتمد عندهم في التفسير؛ لأن هذه التراجم ما فيها شططٌ، ولا فيها نقل كلام أهل الأهواء والبدع، وفيها أنها تدور على معاني التنزيل، ما فيها توسع ما له داعٍ.

فإذا جمعت كتب أئمة الدعوة إضافة إلى كتب شيخ الإسلام **ابن تيمية وابن القيم** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، ضبطت المذهب الحنبلي الذي هو أقرب المذاهب للحق في جملته؛ لأن الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ أعلم الأئمة الأربعة -وهو الرابع منهم- بالآثار؛ لأنه اجتمع في زمانه ما لم يجتمع قبله من حفظ الآثار، الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، وتمييز الصحيح من السقيم، وبعدين أصول الإمام أحمد قوية جدًا: أقوى شيءٍ عنده القرآن العظيم، ثم السنة، ثم الصحابة، وإذا اختلف الصحابة أخذ الأوفق من أقاويلهم للكتاب والسنة، ثم ما روي عن التابعين، فهو أعلمهم بآثار الصحابة والتابعين وتابعيهم، فهو فقيهٌ ومحدثٌ وفي نفس الوقت أمام سُنَّةٍ؛ ثبت الله به المسلمين عند الفتنة، كما ثبت الله الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والإسلام عند الردة، وأي أحد يُزَهِّدُك في مصنفات أئمة الدعوة اعرف أنه بين أحد رجلين:

إما جاهلٌ لا يدري أن «الصيد في جوف الفراء»، ويهرف بما لا يعرف.

وإما صاحب هوى وميل للبدعة والمبتدعة.

لا تتردد أبدًا؛ لأن أئمة الدعوة - رحمة الله عليهم - وفقهم الله عز وجل لتحري الحق، وتدوينه بدليله، وحُسْن الاختيار، ومراعاة أحوال الناس، وتيسير العلم وتقريبه لصغار الطلبة وعامة المسلمين، وحسن الأدب مع أهل العلم في زمانهم، وحسن المذاكرة والمناظرة، فهم نموذجٌ يُحتذى، وكلامهم يُفسر بعضه بعضًا؛ فالمتأخر يُبين مراد المتقدم من الكلام، لا بد؛ فتجد هذا لو إنك اطلعت على «**الدرر السنية**» رأيت كيف أنهم يُبينون مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد، بيانًا شافيًا كافيًا، كيف أنهم يردون على الأهواء، كيف خَرَّجوا كلام الأئمة المجمل والمحتمل، وبينوا وجهته، وبينوا ما يُبينه، فالمقصود أنك تعض على

هذه الكتب بالنواجذ، وأي أحد يقدح فيها أو يزهدك فيها أو يَصْدِفك عنها، اعلم أنه بين رجلين لا ثالث لهما: إما جاهل لا يدري ما في جوف الفرا، وإما أنه صاحب هوى.

مثل ما كان الناس في زمن الإمام أحمد، يوزن الناس بتعظيمهم للإمام أحمد أو نأيهم عنه: فالذي يُعظم الإمام أحمد ويحبه ويثني عليه من أهل السنة، والذي ينأى عنه ويقدح فيه ويعرض عنه من أهل البدعة.

فأئمة الدعوة في نجد الذي يحبهم صاحب سنة - إن شاء الله -، والذي يُبغضهم أو يقدح فيهم صاحب هوىً وبدعٍ لا تلتفت إليه أبدًا.

وبعدين اكتسب الإسلام بيسرٍ وسهولة، ولا سيما لمسائل الاعتقاد ومذهب أهل السنة والجماعة، وبيان مخالفة المخالفين؛ لأن كلامهم زُبَدُ علم، مختصراتٌ مُحكمةٌ ما فيها خلل، ولا فيها تضييعٌ لشيءٍ، وهي كلامٌ جميلٌ مختصرٌ ومرتبٌ. **نعم**.

ومن أهم شيءٍ في كتب أئمة الدعوة في «الدرر السنية»: النصائح والمراسلات، تجد الأسلوب الرقيق والأدب الجم والبيان اللطيف، والإلمام بمذهب السلف الصالح، والإلمام بحال أهل العصر، ومخاطبتهم بأسلوبهم المناسب، والبعد عن الألفاظ البذيئة والمُنَفِّرة والخشنة، والبعد عن المصانعة والمداهنة، فتُفهمك المسائل بأقرب طريقةٍ.

الأدب الحادي الخمسون: التعامل مع الكتاب

لا تستفد من كتاب حتى تعرف إصلاح مؤلفه فيه، وكثيرا ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته.

الشرح:

ومن أهم شيء في الكتب: أن الكتاب يكون محققًا، وإذا كان عليه دراسةٌ فهو أفضل، فالمحقق يَصِير مُوَثِّق النص، ومقارن بعِدَّة نُسخٍ، في أزمان متقاربة للمؤلف أو متفاوتة ومتباعدة، فالتحقيق يُغني عن السند، فالتحقيق إذا كان من ثقةٍ أو متخصصٍ يغني عن السند، فهذا مهمٌ، وإذا كان عليه دراسةٌ تبين لك طريقة المؤلف في التأليف، وتُبين لك المآخذ التي أخذت عليه: أنه اشترط على نفسه شروطًا فوفى بكذا ولم يوف بكذا، وتبين لك قيمة الكتاب، قيمة الكتاب العلمية عامةً، وقيمته بين نُظرائه في الموضوع، هذه مهمةٌ؛ لأنها تختصر لك الموضوع، فالتحقيق والدراسة يُفيدك.

ومن أهم الأمور: أن تعرف عقيدة المؤلف، حتى لا تغتر؛ فتعرف عقيدة المؤلف، هذه مهمةٌ. **نعم**.

ومنه إذا حزت كتابًا، فلا تدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جردًا، أو قراءةً لمقدمته، وفهرسه، ومواضيع منه، أما إن جعلته في فنّه في المكتبة، فربنا مر زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب، والله الموفق.

الجرد هو أن تقرأ الكتاب من أوله إلى آخره قراءةً سريعةً، غير مخلةٍ، فتقرأه لأنك إذا قرأت الكتاب أو أي موضوع قراءةً متأنيةً، ألممت ثلاثين بالمائة من المضمون، وإذا كتبت ألممت بسبعين بالمائة مما كتبت بل أكثر من سبعين؛ هذه مهمةٌ جدًا.

لا بد من القراءة؛ فإذا لم يتيسر لك قرأت الكتاب كاملًا فاستظهر المقدمة والخاتمة والفهرسة، وانظر في الأبواب، مقدمات الكتب أو الأبواب في الكتاب، حتى يكون عندك انطباعٌ عن الكتاب. **نعم**.

الأدب الثاني والخمسون: إعجام الكتابة

إذا كتبت فأعجم الكتابة بإزال عجمتها، وذلك بأمور:

أولها: وضوح الخط.

وثانيها: رسمه على ضوء قواعد الرسم (الإملاء). وفي هذه مؤلفاتٌ كثيرةٌ من أهمها: «كتاب الإملاء» لحسين والي، و«قواعد الإملاء» لعبد السلام محمد هارون، و «المفرد العلم» للهاشمي - رحمهم الله تعالى -.

ثالثها: النقط للمعجم والإهمال للمهمل.

رابعها: الشكل لما يُشْكِل.

خامسها: تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث.

الشرح:

النقط للمعجم، إيش المعجم؟،

اللي مثل: الباء، التاء، الجيم، اللي فيه نقط.

والمهمل مثل: الحاء، مثل الراء، مثل العين، فهذا يميزون؛ لأنه كان في الأول ما فيه شكل، ما فيه ضبط ولا شكل. **نعم**.

المقصود إنك إذا كتبت دَقِّق الكتابة، نَعِّم الكتابة، بمعنى أن تكتب بخطٍ واضحٍ بمعنى أنك تُوَضِّح الحروف التي تحتاج إلى نقط حتى لا تشتبه بغيرها، وبمعنى أنك تجعل فواصل بين الكلمات والفقرات حتى تتضح.

كل هذا مما يحتاج إليه طالب العلم، وعود نفسك هذا.

الفصل السابع: المحاذير

أولها: حلم اليقظة:

إياك وحلم اليقظة، ومنه بأن تدعي العلم لما لم تعلم، أو إتقان ما لم تتقن، فإن فعلت، فهو حجابٌ كثيفٌ عن العلم.

الشرح:

طالب العلم كلما تقدمت به السن، واتسع علمه، كلما عَرَفَ قَدْرَه، وهضم نفسه، وأدرك أنه ليس على شيءٍ مذكورٍ من العلم، وأنه بحاجة إلى الاستزادة من العلم، فكلما تتقدم به السن، وهو جادٌّ في الطلب يكتشف نفسه، ولا يُعجب بنفسه ولا يغتر.

والأحمق الغبي المحروم هو الذي ينتفخ أول ما يقرأ، يُفْتَن بنفسه ويُعجب ويجعل نفسه في مَصَافِّ الأئمة الكبار الماضين، هذا غرورٌ وجهلٌ وحماقةٌ، وهذا والعياذ بالله يرفع نفسه وهو عند الناس وضيعٌ.

لذلك فطالب العلم كلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا لله ﷻ أول شيء، وذُلًّا وخشيةً لله ﷻ، ثم تواضعًا لأهل العلم ومعرفةً لمنازلهم وأقدارهم وفضلهم، واعترافًا بجميلهم عليه، ثم أنه يهضم نفسه عندهم؛ لأنه يعرف ماذا حصَّلوا من العلم، وأن الذي عنده ليس إلا نُبَذٌ مما عندهم، فهذا هو طالب العلم الذي كلما تقدمت به السن واتسع العلم، أحس بمزيد الحاجة، وأحس بأنه ليس شيئًا بالنسبة لجانب أهل العلم، وأن العلم أوسع من أن يُحيط به الإنسان.

ولذلك تجد بعض أهل العلم يكون له فتاوى في أول عمره يتراجع عنها في آخره؛ لأنه توسع وعرف الأقوال وعرف المأخذ، وعرف الموانع التي منعته من قبل أن يفتي بالمسألة هذه، وكان يراها بسيطةً وعاديةً.

وقد بين الله عز وجل هذا فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، فلا يفرح أنه يشتهر قوله وهو ما يدري هل هو صواب أم لا؟،

طيب: إذا أخذ به الناس وعملوا، مشكلةٌ: تكون أضللت الناس وهو خلاف الحق، ولذلك الذي ما يتواضع كلما كبرت سنه واتسع علمه ترى هذا مغرورًا ومحرومًا.

بعض أهل العلم تمنى أنه لم يطلب الحديث في كِبره، قيل: يرحمك الله الحديث نعمة، حديث رسول الله ﷺ، قال: هل كل حديث حفظته عَمِلْتُ به؟، ماذا أُجيب إذا سُئلت؟.

وبعض أهل العلم ما يفرح أنه يشتهر قوله، يخشى أن يكون خلاف الحق، فيتعبد به الناس، فطالب العلم الحق هو الذي كلما ارتفع قدره تواضع، كلما اتسع علمه أحس بجهله وحاجته لمزيد من العلم، فلا بد من هذا.

تَوَاضعْ تكنْ كالبدر لاحَ لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تتكبر كالدخَّان يعلو بنفسه إلى طبقات الجوِّ وهو وضيعُ

فإذا قرأت سير أهل العلم: كم بذلوا من الأعمار لطلب العلم، كم تعرضوا من الأخطار في سبيل رحلة العلم، وكم كتبوا من الأسفار، وكم أمضوا من ساعات بالليل والنهار في المذاكرة، وكم ترددوا في الفتيا؛ تُعرض على جماعةٍ من أهل العلم في المجلس الأكابر، كل واحدٍ يدفعها للثاني حتى تعود إلى الأول، كل واحدٍ يود أن غيره كفاه، فهذا مهمٌ جدًّا كهذا.

إذا لم تعرف أقدار أهل العلم، فأنت مغرورٌ وسفيهٌ.

وإذا كُنت بذيء اللسان، جريء على الوقيعة في أعراض أهل العلم الأكابر أو نقد الأئمة المتقدمين، فاعلم أنك محرومٌ.

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: كان فلان يُؤخذ عنه الحديث، فتكلم في الناس فتركوه، يعني: نزع الله عنه القبول؛ فتنبه لهذا.

من عظمت خشيته لله ﷻ قل كلامه، لأنه وَدَّ أن غيره كفاه، ولم يفت ولم يبد رأيًا إلا في الضرورة، لو وجدت إنسانًا في البَرِّية ما عنده أحد يفتيه تفتيه، لكن في المُدن موجودٌ من يفتي، لماذا تتحمله أنت. **نعم**.

المحذور الثاني: احذر أن تكون أبا شِبرٍ:

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

الشرح:

نعم، الله أكبر.

المحذور الثالث: التصدر قبل التأهل:

احذر التصدر قبل التأهل، هو آفة في العلم والعمل.

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه.

الشرح:

نعم؛ احرص أن تستمع أكثر مما تتكلم، وتقرأ أكثر مما تتكلم، ولا تتكلم إلا ما دعت الحاجة إليه، وعلى قدر الحاجة، وإذا لم تجد من يكفيك. **نعم**.

المحذور الرابع: التَّنَمُّر بالعلم:

احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألةً أو مسألتين، فإذا كان في مجلسٍ فيه من يُشار إليه، أثار البحث فيهما ليُظهر علمه، وكم في هذا من سوءةٍ، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب «التعالم»، والحمد لله رب العالمين.

الشرح:

الهر، تعرفون الهر «البس» إذا انتفخ وفتن يحكي صولة الأسد.

فالشاب الذي بدأ في أوائل العلم إذا أُعجب بنفسه، صار يتمدح ويمدح نفسه، ويمتحن الناس على معلوماته هذا الهر، يُقلد الهر، وفَرْقٌ بين الهر والأسد، لا تكن الهر، اعقل واثْبُت واثقل، فلذلك ينبغي للإنسان الأدب، وأنه يحرص دائمًا على الاستماع؛ لأنه بالاستماع يستفيد، لكن إذا تكلم يُحرم العلم، وبعدين يُنبئ عن جهله؛ لأنه عَلِم شيئًا وغابت عنه أشياء، وأهل العلم المختصون إذا سمعوه دروا أنه ليس على شيءٍ، ولذلك يستهجنونه ويتثقلونه.

نعم.

المحذور الخامس: تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية، والذي نهايته تحبير الكاغد، فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تُسَجِّل به عارًا، وتُبدي به شنارًا.

الشرح:

يعني إنك ما تجعل همتك التأليف وأنت حدث؛ ما علمت شيئا، تبغي تؤلف، كل واحدٍ يُطلع رسالته، تجد المطابع الحين توسط؛ ويؤلف رسالة، هذا غلطٌ.

اجعل همتك الكتابة لنفسك، تقييد العلم، تقييد المسائل، وبعدين راجعها، ما بين مرحلةٍ أخرى من مراحل عمرك، ولا تؤلف إلا في آخر عمرك؛ إذا عرفت التأليف والقاعدة من التأليف والفائدة منه ولم يكفيك غيرك.

أما أن تعرض عقلك على الناس وأنت سفيه، هذه حماقةٌ، وفي نفس الوقت قد تكون سبب ضلالة، تلَقَّفها من يُحسن الظن بك ويحسب أنك على شيءٍ وأنت لست على شيءٍ، فلذلك احرص على التقييد، تقييد العلم، ولا تُظهر تقييدك، دعه لك.

وفي سنةٍ من السنين -قبل ثلاثين سنة أو أكثر- زُرتُ واحدًا من القضاة ممن أحيلوا على التقاعد، وعنده محفظةٌ مجلدةٌ، كاتبها هو وجَلَّدَها، ويُقلبها ويقرأ فيها، قلت له: ما شاء الله، ما هذا الذي معك؟، قال: هذا الذي كتبته من تقارير مشايخي، -تقارير مشايخه في الدرس قبل مائة سنة- وإني احتفظ به، وخدمت في القضاء حتى أُحلت على التقاعد، ما أشكلت علي مسألةٌ إلا وجدتها في هذه المجلدة هذه؛ لأنه احسن الانتقاء، وبعدين احتفظ بها، فكان كل ما عنده من تقارير المشايخ على الدروس بس، ووَفَّر على نفسه الجهد والعناء، دخل القضاء وخرج؛ كل ما احتاج إليه وجده، الصيد في جوف الفراء. **نعم**.

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه، وتمرس به بحثًا ومراجعةً ومطالعةً، وجردًا لمطولاته، وحفظًا لمختصراته، واستذكارًا لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

ولا تنس قول الخطيب - رحمه الله تعالى -: من صنف فقد جعل عقله على طبقٍ يعرضه على الناس.

المحذور السادس: موقفك من وَهْمِ مَنْ سَبَقَك:

إذا ظفرت بوهمٍ لعالمٍ، فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، لا سيما المكثرين منهم.

وما يُشغب بهذا ويفرح به للتنقص إلا مُتعالمٌ يريد أن يُطِبَّ زكامًا فيُحدث به جذامًا.

نعم، يُنبه على خطأٍ أو وهمٍ وقع لإمام غُمِرَ في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه، والحط عليه فيغتر به من هو مثله.

الشرح:

يعني اعرف لأهل العلم أقدارهم ومنازلهم، المتقدمين والمعاصرين، فهم مَشَوا في الطريق قبلك، وَوَصلوا إلى الغاية، وبذلوا جهدهم في التحصيل، وفي التدقيق، وفي التحري للراجح، ومع ذلك ليسوا معصومين، العصمة للرسول ﷺ وحده.

يقول **مالكٌ** - رحمة الله عليه -: ما منا إلا رَادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر، ويشير على قبر النبي ﷺ.

ومن كلام الشافعي: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ.

فالعلماء جدوا واجتهدوا وأخلصوا، ومن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ وخطأه مغفورٌ.

فلا تعتقد فيهم العصمة؛ هذا غُلُوٌّ من عقائد الرافضة الباطلة، وكل عقائدهم باطلة.

ولا تجفو في حق أهل العلم، تتنقصهم وتتهمهم بالمداراة والمداهنة لأجل الدنيا أو التقصير في البيان؛ فهذا منهج الخوارج الذين اعترضوا على النبي ﷺ في قسمته، واعترضوا على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعلى الخلفاء الراشدين، واتهموهم في دين الله، لا تكن خارجيًّا لا

رافضيًّا، خُذِ الفائدة، ومن استفدت منه فاعرف له فضله، وترحم على الجميع، ولا تُشهر الأخطاء والزلات، ولا تتبع عورات الناس، ولا تشمت في المخطئين، واسأل ربك التسديد والهدى والسداد. **نعم**.

المحذور السابع: دفع الشبهات:

لا تجعل قلبك كالسِّفِنجة تتلقى ما يَرِد عليها، فاجتنب إثارة الشُّبه، وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خَطَّافةٌ والقلوب ضعيفةٌ، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب، المبتدعة فتوقَّهم.

الشرح:

نعم؛ ولذلك لا تتلقف الشبه، ولا تقرأ في كتب أهل الأهواء أصلًا، ولا تسمع لإيرادهم، بل اقرأ في ردود أهل السنة عليهم حتى تُبصر وتُدرك الحق، وتكون فيه منجاةٍ من الهلاك والشكوى، لا تَتَّبع الشبه.

وهكذا في مسائل الأحكام: إذا كان قولٌ لأحدٍ من أهل العلم شذ فيه أو أخطأ لأنه عزب عنه الدليل، أو أنه لم يثبت عنده الدليل، أو لم يثبت عنده وجه الاستدلال أو غير ذلك، اترك كلامه وانظر كلام المحققين، ومَنْ نَبَّه على خطأ هذا المؤلف أو هذا الإمام، كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُترك، إلا النبي ﷺ.

لذا قال الأئمة: لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا حتى يعلم من أين أخذناه.

وقالوا: إذا وجدتم كلامي يُخالف القرآن والسنة، فاضربوا بكلامي عرض الحائط. **نعم.**

المحذور الثامن: احذر اللحن:

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكَتِب، فإن عدم اللحن جلالةٌ، وصفاء ذوقٍ، ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني.

الشرح:

اللحن: هو الخطأ في إعراب أواخر الكلماتِ.

فالإعراب هو الحُكم، حُكم أواخر الكلمات:

١. يكون حُكم آخر الكلمة مرفوعًا وهم الضم، بالضمة الظاهرة أو ما ينوب عنها.

٢. أو مفتوحًا وهو النصب، بالفتحة الظاهرة أو ما يقوم مكانها.

٣. أو مخفوض وهو الكسر، بالكسرة الظاهرة أو ما يقوم مقامها.

٤. أو مجزومٌ وهو التسكين، بالسكون.

فهذه أحكام أواخر الكلمات، يكون أحيانًا الحكم هذا بسبب العوامل التي تُغَيِّر أواخر الكلمات، مثل: الحروف الناسخة والأفعال الناسخة وغير ذلك، أو بالإضافة، أو بالعطف، أو بالبدل، فهذا لا بد من ضبطه، وهذه قواعد الإعراب.

مثل ذلك: التصريف، تكوين الكلمات نفسها.

فلذلك هذا له قواعد وكُتُبٌ مصنفةٌ فيه، ولا يمكن ضبطه هذا بالضبط إلا بالممارسة وبالامتحان، أن تُمتحن تُسأل وتُجيب، وتصحح لك الإجابة إذا أخطأت.

وأقرب وأسهل طريقة لضبط الإعراب وتلافي اللحن والخطأ في تصريف الجمل والكلمات أفضل طريقة هي: القراءة على المشايخ؛ تضبط ولو ما حفظت القواعد، تقرأ قراءةً سليمةً حتى لو لم تحفظ القواعد؛ لأن هذا ممارسة، وهذا أقصر طريق.

واللحن أحيانًا يترتب عليه أشياء كبيرة، قد يترتب عليه كفرٌ، قد يترتب عليه معصيةٌ خلاف الحق، قد يترتب عليه أن تُنتقد من أهل العلم، يُعرف أنك لا تدري، كأنك تمشي بالطين، يعرفك أهل العلم والاختصاص أنك ما تحسن، ويكون الكلام ممجوج، ويصير الإنسان متخبط إذا كان ما يحسن الإعراب، فلذلك اتق اللحن، ادرس النحو والتصريف، وطبق على أهل العلم. **نعم**.

فعن عمر - رضي الله تعالى عنه – قال: تعلموا العربية، فإنها تَزيد في المروءة.

وقد وَرَدَ عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن.

وأسند الخطيب عن الرَّحبي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحانٌ، فكَتَبَ عن اللحان لحانٌ آخر، صار الحديث بالفارسية.

وأنشد المبرد - رحمه الله تعالى -:

اللحن يسقط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مُقِيم الألسن

وعليه فلا تحفل بقول القاسم بن مُخيمرة - رحمه الله -: تَعَلُّم النحو أوله شغلٌ وآخره بغيٌ.

ولا بقول بشرٍ الحافي - رحمه الله -: لما قيل له: تعلم النحو. قال: أضل، قال: قل ضرب زيدٌ عمروًا، قال بشر: يا أخي لم ضربه، قال: يا أبا نصر ما ضربه وإنما هذا أصلٌ وُضِع، فقال بشرٌ: هذا أوله كذبٌ ولا حاجة لي فيه.

رواهما الخطيب في اقتضاء العلم العمل.

يعني المراد من الإعراب والتصريف تقويم الكلام، حتى لا يُخطئ الإنسان في كلام الله - جل وعلا-، ولا في حديث رسوله ﷺ، فما لا بد منه لا بد منه، والتكلف نهينا عنه.

فالإعراب والنحو لطالب العلم مثل التجويد لتالي القرآن، تحتاج من التجويد أن تُقيم كلام الله عز وجل، تقرأه على وجهه، وأما التكلف والتشدق وغير ذلك نعم ما له داع. **نعم**.

المحذور التاسع: الإجهاض الفكري:

احذر الإجهاض الفكري بإخراج الفكرة قبل نضوجها.

المحذور العاشر: الإسرائيليات الجديدة:

احذر الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين من يهودٍ ونصارى، فهي أشد نكايةً وأعظم خطرًا من الإسرائيليات القديمة، فإن هذه قد وضح أَمْرُها النبي ﷺ الموقفَ منها، ونَشْرُ العلماء القول فيها.

أما الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورة الحضارية واتصال العالم ببعضه ببعضٍ، وكبح المد الإسلامي، فهي شرٌّ محضٌ وبلاءٌ متدفقٌ، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سِنةٌ، وخفض الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيها. وقى الله المسلمين شرها.

الشرح:

يقول: احذر الإسرائيليات الجديدة، يعني: كتابات المستشرقين عن الإسلام، وجناياتهم على تاريخ الإسلام، عن قصدٍ وحقدٍ، أو عن جهلٍ وحماقةٍ بسبب العجمة، لا تغتر بهذا ولا تغتر بالذين يسمونهم الليبراليين والعلمانيين، الذين أخذوا عن المستشرقين، جاؤوا بمفاهيم للإسلام مصنوعةً ما هي من الإسلام، مخالفةً للفطرة، ومخالفة للذوق السليم، ومخالفة للدين قبل ذلك، لا تغتر بهذا.

وأصل الإسرائيليات ما نقله بعض أهل العلم المتقدمين من أخبار بين إسرائيل واليهود والنصارى في كُتُبِهم، هذه الإسرائيليات القديمة التي فُسرت بها آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ عند بعض المؤلفين.

يقول: الإسرائيليات الجديدة هي أفكار المستشرقين ومفاهيمهم عن الإسلام وأحكامه، وعن الرسول ﷺ وعن القرآن، وعن المسلمين الأوائل، لا تغتر بهذا.

وفيه الإسرائيليات الأَجَدُّ، أجد من الجديدة وهي: خرافات وخزعبلات الروافض، التي بدأت تنتشر في الإنترنت الآن، فيما يتعلق بآل البيت والكلام في الصحابة وغيرهم، في تشويه الخلافة الراشدة، وتشويه خلافة دولة بني أمية وبني العباس، ترى هذه الإسرائيليات الأجدّ وأطم وأخطر، وهم يدخلون على الناس بنعومةٍ، ولا يسمون أسمائهم بحيث يتبين أنهم روافض، لأ، يجيبون أسماء مخترعة، يتكلمون على أساس أنه الغيرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصحيح المفاهيم وغير ذلك، وهم يريدون نَشْر التشيع الغالي المنحرف، والتشكيك فيما عليه أهل الحق. **نعم**.

المحذور الحادي عشر: احذر الجدل البيزنطي:

أي: الجدل العقيم أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة، والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم.

الشرح:

من الجدل البيزنطي: أن أصاغر الطلبة يتكلمون فيما بينهم في المسائل الكبار، لا عند المُتكلم حقٌّ، ولا عند السامع جواب، هذا جدلٌ، وهذا يسبب قسوة القلوب ويسبب التعصب للرأي، ويدخل منه الشيطان على الإنسان، هذا ما ينبغي، كلام الصغار في المسائل الكبار وفي مجتمع الصغار هذا فتنةٌ وشرٌّ، من عنده مسألةٌ أشكلت عليه يذهب إلى أهل العلم، ويسأله عن المسألة فيما بينه وبينه، وينتهي الموضوع، لكن إيرادها على الناس غلط، ليش توردها على الناس؟؛ وأنت ما عندك جواب وما فهمتها أصلًا، ولست أهلًا لفهمها لصغر سنك، حداثة سنك وقلة علمك، احذر هذا.

كذلك: إنه ما يكون العلم بالتشهي، يعني تأخذ من العلم ما أعجبك وتترك ما لا يعجبك، لا، العلم طلب الحق بدليله، وتعلم ما لا يسعك جهله أولًا، تعلم أحكام الطهارة وأحكام الصلاة، هذا المطلوب.

لا أنك تأتي تبدأ تبحث في مسائل الغيبيات ومسائل الكبار والرد على أهل الاهواء، وأنت حَدَثٌ في أول عمرك ما هو صحيح، غلط؛ تشغل نفسك بما لا يفيدك، بل يضرك ويشككك في العلم، فلا ينبغي، العلم ما هو بالتشهي. **نعم**.

وهكذا الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

وهَدْيُ السلف الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع.

كما قال الحسن إذ سمع قوما يتجادلون: هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقل ورعهم فتكلموا. رواه أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية».

ومن أشقى الأمور الكلام في أهل العلم الأكابر والقدح فيهم، وتقييمهم من الصغار والجُهال والأَحْداث؛ هذا من المصائب والدواهي، مَنِ ابتُلي بهذا في أول طلب العلم حرم منه، لذلك احذر هذا، أنت الآن تتعلم وتروح تقيم الأكابر؟، تتكلم بالجرح والتعديل وأنت ما عندك شيء في هذا الباب ولا سُئلت ولا استُفتِيتَ ولا أنت مرجع؟، هذا خذلان، وهذا من لعب الشيطان بعقول الشبان، احذر هذا الشيء لا تدخل فيه.

فأول إمارات الحرمان: الجدل.

والجدل هو التساؤل الذي ليس فيه فائدة بل فيه مضرة. **نعم**.

المحذور الثاني عشر: لا طائفيةٌ ولا حزبيةٌ يُعقد الولاء والبراء عليها:

أهل الإسلام ليس لهم سمةٌ سوى الإسلام والسلام.

فيا طالب العلم بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع على الله تعالى على طريقة السلف.

ولا تكن خَرَّاجًا وَلَّاجًا في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادةً ومنهجًا.

الشرح:

طلب العلم من أجل غايات محددة، احفظها:

الأولى: معرفة الحق بدليله؛ لتَصْحِيح ذهنك ومفاهيمك، أن تعرف الحق بالدليل، هذا أول شيء.

الثانية: أن تعمل به أنت، تَعَبُّدًا لله عز وجل رغبةً ورهبةً.

الثالثة: أن تنفع به خاصتك وذويك ومن يلتقيك، فتكون هاديًا مهديًا مباركًا أينما كنت.

الرابعة: أن تَجِدَ في العلم من الترغيب ما يحملك على دوام أداء الواجب وحُسْنِ الأداء، وما يزجرك عن المحرم ويبعدك عن حماه؛ فتتعلم ما يحملك على الصبر على الطاعات، فلا تسأمها وتتركها، وعن المخالفات فلا تتجرأ عليها وتقتحمها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تسخطها وتعترض عليها، وعلى الأهواء المضلة فلا تُصغي لها وتُعير سمعك لدُعاتها.

هذا المطلوب من العلم هذه الأربع:

الأول: أن تعرف الحق بدليله، وأحق الحق أن تعرف الله عز وجل بأسمائه الحُسنى وصفاته العلى وأفعاله الحكيمة وأفضاله العظيمة.

والثاني: أن تعمل بالعلم ابتغاء وجه الله ﷻ؛ لتَعْبُد الله عز وجل وتدعو إليه على بصيرة.

والثالث: أن تهدي أخص الناس بك وأولاهم ببرك وإحسانك ومن حولك ومن يلتقيك، هدايةً للخلق إلى الحق؛ لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم، ومن دعا إلى هدى كان له أجور من تبعه، من دل على خير فله مثل أجر فاعله.

والرابعة: الصبر؛ أن تجد في العلم ما يحملك على الصبر على الطاعات والحسبة مهما طال الزمن وتنوعت الظروف، وعلى الصبر على السيئات والمخالفات، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا تسخطها أو تعترضها، والصبر على الأهواء المضلة فلا تُصغي إليها ولا تتلقى شبهاتها، هذا المطلوب من العلم. **نعم**.

فالإسلام كله لك جادةً ومنهجًا، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

الإسلام: القرآن العظيم، والسنة الصحيحة، وما عليه سلف الأمة الصالح الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ والتابعون وتابعوهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم.

هذه الثلاثة تأمر بثلاثة أشياء، كلها تلتقي على ثلاثة أشياء:

الأول: الإخلاص لله عز وجل في القصد والنية، فيما تقول وفيما تفعل، ما تعمل: فعلًا وتركًا أن يكون قصدك وجه الله عز وجل، هذا واحد.

الثاني: النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، من تعرف منهم ومن لا تعرف، والنصيحة: هي حيازة الحظ للمنصوح له، وأن تحب له من الخير مثل ما تحبه لنفسك، وأن تكره له من الشر مثل ما تكره لنفسك.

والثالثة: أن تلزم إمام المسلمين وجماعتهم؛ فإن دعوتهم تُحيط من ورائهم.

أي أحدٍ يُكلمك أو يُرشدك إلى شيءٍ يقدح في إخلاصك احذره، في إخلاصك لله عز وجل، وأي أحدٍ يحملك على غش المسلمين، أئمةً أو عامةً احذره، وأي أحدٍ يدعوك إلى مفارقة جماعة المسلمين؛ الأمة والجماعة، احذره؛ تراه داعي بدعةٍ وصاحب شرٍّ وفتنةٍ.

احذر هذه الأشياء، انتبه.

فأنت اعرف أن الواجب عليك: أن تُخلص العمل لله ﷻ.

والثاني: أن تنصح وتحب الخير لأئمة المسلمين وعامتهم وتكره الشر.

والثالث: أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وتنهى عن مفارقة الجماعة والإمام.

يقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يُغِلُّ عليهن قلب امرئ مسلم**» لا يجتمعن والغل، إذا وجدن في الشخص أخرجن الغل من القلب، وإذا تركهن الشخص دخل الغل في قلبه والفتنة «**إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**».

هذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥].

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢].

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥]. **نعم**..

وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نَهَّابًا بين الفِرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علمٍ على الجادة، تقفو الأثر وتَتَّبع السنن وتدعو إلى الله على بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر – رحمك الله تعالى – أحزابًا وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرًا، وتُفَرِّقه هدرًا، إلا من رحمه ربك، فصار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عند علامة أهل العبودية: العلامة الثانية: قوله «ولم ينسبوا إلى اسم»، أي: لم يشتهروا باسمٍ يُعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق.

الجماعة، جماعة المسلمين: هم من كانوا مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، هم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم الناس، وهم خير أمة، وهم السواد الأعظم، وهم أهل الحق، فإذا دعاك شخصٌ لتنتسب إلى جماعةٍ غير أهل الإسلام لا تنتسب ولا تقبل هذه الدعوة، لا تكن إخوانيًّا ولا تكن تبليغيًّا ولا تكن حزبيًّا ولا رافضيًّا ولا كذا ولا كذا، كن على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وعليه السلف الصالح: الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم ومن سار على منهاجهم ومنوالهم، هم أهل السنة والجماعة، هذا الذي ينبغي أن تكون.

لا ترفع شعار ولا تنتسب لطائفة غير السلف الصالح.

والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١- ٧٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني من بعد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ غير المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وقال في المخالف لهؤلاء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]. **نعم**.

وأيضًا فإنهم لم يتقيدوا بعملٍ واحدٍ يجري عليهم اسمه، فيُعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا أفةٌ في العبودية، وهي عبوديةٌ مقيدةٌ.

وأما العبودية المطلقة فلا يُعرف صاحبها باسمٍ معينٍ من معاني أسمائها، فإنه مجيبٌ لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبوديةٍ نصيبٌ يضرب معهم بسهمٍ، فلا يتقيد برسمٍ ولا إشارةٍ، ولا اسمٍ ولا بزيٍ، ولا طريقٍ وضعيٍّ إصلاحيٍّ بل إن سُئل عن شيخه قال: الرسول، وعن طريقه قال: الإتباع، وعن خرقته قال: لباس التقوى، وعن مذهبه قال: تحكيم

السنة، وعن مقصده ومطلبه قال: يريدون وجهه. وعن رباطه وعن خانكاه قال: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ} (النور٣٦-٣٧).

وعن نَسَبِه قال:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه إذا افتخـــروا بقـــيسٍ أو تمـــيم

وعن مأكله ومشربه قال: ما لك ولها، معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء وترعى الشجر حتى تلقى ربها.

واحســرتاه تَقَضَّــى العمــر وانصــرمت ســـاعاته بـــين ذل العجـــز والكســـل

والقـــوم قـــد أخـــذوا درب النجـــاة وقـــد ســـاروا إلـــى المطلـــب الأعلـــى علـــى مَهَـــل

ثم قال: قوله أولئك ذخائر الله حيث كانوا، ذخائر الملك، ما يُخَبَّأ عنده ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحدٍ، وكذلك ذخيرة الرجل ما يَذْخُره لحوائجه ومهماته.

وهؤلاء لما كانوا مَسْتُورين عن الناس بأسبابهم، غير مشارٍ إليهم ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريقٍ أو مذهبٍ أو شيخٍ أو زيٍ، كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة.

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات؛ فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الإصلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة، هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله وهم لا يشعرون.

والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة والسير إلى الله، وهم -إلا الواحد بعد الواحد- المقطوعون عن الله تعالى بتلك الرسوم والقيود.

وقد سُئل بعض الأئمة من السنة فقال: ما لا اسمٌ له سوى السنة، يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم يُنسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس في مكانٍ لا يجلس في غيره، أو مشيةٍ لا يمشي غيرها، أو بزيٍّ وهيئةٍ لا يخرج عنهما، أو عبادةٍ معينةٍ لا يتعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخٍ معينٍ لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله وإلى رسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه؛ قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزلٍ، ومنزلتهم منها أبعد منزلٍ، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعًا له عن الطريق، فإذا ذُكِر له الموالاة في الله والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولًا وشرًّا، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك، أخرجوه من بينهم وعدوه غَيْرًا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة، والله أعلم.

نواقض هذه الحلية

يا أخي، وقانا الله وإياكم العثرات، إن كنت قرأت مُثُلًا من حلية طالب العلم وآدابه، وعلمت بعضًا من نواقضها، فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

إفشاء السر، ونقل الكلام من قومٍ إلى آخرين، والصَّلف واللسانة، وكثرة المزاح، والدخول في حديثٍ بين اثنين، والحقد، والحسد، وسوء الظن، ومجالسة المبتدعة، ونقل الخطى إلى المحارم.

الشرح:

يعني هذا المذكور في الكلام يُخل بأدب الطلب، طلب العلم، وتكون سببًا في الحرمان من العلم، وتكون سببًا في الإثم والنقص والخسران، فاجتنب هذه الأشياء. **نعم**.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، وأقْصُر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت، وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيفٌ، لَعَّابٌ، مغتابٌ، نمَّامٌ، فأنى لك أن تكون طالب علمٍ يُشار إليه بالبنان، مُنَعَّمًا بالعلم والعمل.

سدد الله الخطى، ومنح الجميع التقوى، وحسن العاقبة في الآخرة والأولى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والمعنى: اجتهد في أداء الطاعات، ولن تتقرب إلى الله عز وجل بأحب مما افترض عليك، ثم كَمِّل الفرائض بما تيسر إليك من النوافل المستحبة، تحببك إلى الله عز وجل وتُكَمِّل عملك، وتزيد أجرك، وتُكفر من خطيئتك، وتفتح الباب لمثلها من الخير، واجتنب المحرمات: الكبائر والموبقات، ولن يحصل ذاك لك كما ينبغي حتى تتقي الشبهات،

وتجنب وسائل المحرمات، مواطن الريب، فابتعد عن المحرمات ومظانها وأسبابها وأهلها، حتى يعصمك الله ﷻ منها، هذا الذي ينبغي لك.

وجاهد نفسك على الاشتغال بذكر الله عز وجل، والإحسان إلى خلقه، فإن ذلك مما يعينك على الطاعة ويكفك عن المعصية، ويُعظم أجرك ويحول بينك وبين الفتنة، وعليك بموالاة الاخيار ومجانبة الأشرار، ومعاداتهم؛ فإنه لابد من الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والمعاداة والبغض لإبليس والشرك والمشركين والفُسَّاق المبتدعين؛ حتى يسلم لك دينك، فلا ولاء إلا بالبراء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الفهرس

هو الشيخ العالِم الرباني عبد الله بن صالح بن محمد القصير رحمه الله تعالى، نشـــأ على ملازمة أهل العلم، فكان شـــابًّا مع العلماء، ونشأ مع العلماء، ومات من العلماء. توفاه الله وقد بلغ من العمر ٧٥ سنة.

أخذ العلم عن كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، إذ لازمه قرابة ٣٠ ســـنة، كمـــا كانت له علاقة وثيقة ممتدة مع الشـــيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله لأكثر من ٥٠ سنة، وأخذ كذلك عن: الشـــيخ صالح البليهي، والشـــيخ صالح الخريصي، والشـــيخ صالح الســـكيتي، والشـــيخ صالح الأطرم، والشـــيخ علي الضالع وغيرهم من العلماء.

وكان رحمـــه الله كثير العلم، كثير العبادة، حريصًا على الدعوة إلى التوحيد والســـنة ومنهج الســـلف الصالح، مـــع العناية بالتحذير مـــن الجماعات والأحـــزاب الضالة، وقد مكث في ذلـــك أكثر من ٥٠ ســـنة، فكان الإمام الخطيب، والداعية، والمعلّم، والمرشد.

كما اســـتمر رحمه الله في خطابـــة المسجد لأكثر من ٥٠ ســـنة، وفي إمامة المسجد لأكثر من ٤٥ ســـنة، وقد كان من عنايتـــه بالتوحيد أنه شرح كتاب التوحيد لأكثر من ٥٠ مرة.

وله رحمه الله تعالى نتـــاجٌ علميٌّ غزير؛ فقد خلّف أكثر من ٣٠ كتابًا مؤلَّفًا، وأكثر من ٣٠٠ مقـــالٍ محرَّرًا، وأكثر من ١٠٠٠ خطبةٍ محرَّرة، وأكثر من ٤٠٠٠ مادةٍ صوتية، وغير ذلك من الآثار العلمية النافعة، رحمه الله رحمةً واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

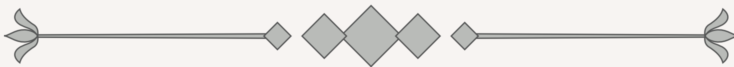
سِلْسِـــلَةُ تُراثِ فَضِيــلَةِ الشَّيْخِ ١

شَرْحُ حِيَلْةِ طَالِبِ العِلْمِ

الشَّيْخِ بَكْرٍ أَبُو زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّه

شَرْحُ رِسَالَةِ آدَابِ المُعَلِّمِينَ وَالمُتَعَلِّمِينَ

الشَّيْخِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّه



لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ العلامة

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ الْقُصَيِّرِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النسخة الأولى

التَّعْلِيقُ عَلَى رِسَالَةِ

آدَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السِّعْدِيِّ

رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنْهُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

عَبْدِ اللّهِ بْنِ صَالِحٍ الْقُصَيِّرِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، أما بعد:-

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا وللحاضرين والمُستمعين وعموم المُسلمين.

قال المؤلِّف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَنا اللهُ تَعَالَى وإياه في رسالته "آداب المُعلمين والمتعلمين":

"فائدةٌ تشتمل على نُبذةٍ من آداب المُعلمين والمتعلمين".

يتعيَّن على أهلِ العِلم من المُعلمين والمُتعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم، الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله بهذه العبادة، التي هي أجَّل العباداتِ وأَكملها وأنفعُها وأعمُها، ويَتفقدُوا هذا الأصلَ الجليل في كل دقيقٍ من أمرهم وجليل.

الشرح:

الحمد لله وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المُراد: إن الإنسان يُوحد الله جَلَّ وعَلَا ويبتغي وجهه في طلب العلم، والتعب فيه والعمل بِهِ وتعليمه؛ رجاء أن يجعله الله تعالى ربانيًا مُربيًا، صالحًا، ولا يكون الإنسان ربَّانيًا إلا إذا كان حريصًا على طلب العلم أو فهمه ابتغاء وجه الله جَلَّ وعَلَا في العمل بالعلم وفي أن يكون واسطة في تبليغ العلم لمن بعده إلى آخر الأمة.

وأن يكون أسوةً للناس في تطبيق العملِ به على الوجه الشرعي الذي عرفهُ بطلبه، وأخذه عن شُيوخه؛ فبذلك يكون مُباركًا أينما كان، أينما حلَّ نفع كالغيث، فلا يكون الإنسان مباركًا أينما كان جعلني الله وإياكم مباركين أينما كُنَّا؛ إلا إذا كان عالمًا بالحق بدليله، وعمالًا به لله

تعالى ابتغاء وجهه، ومُعلمًا إياه الناس حِسبة، يبتغي المثوبة من الله جَلَّ وعَلَا ورجاء أن يجعله الله حلقةً في سلسلة سَندِ العلم إلى آخر الأمة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولذلك جرت عادة المُصنفين من العلماء رحمة الله علينا وعليهم أنهم يفتتحون مُصنفاتهم بحديث: «إِنَّما الأَعمالُ بِالنياتِ، وإِنمَا لكُلِ امرئٍ مَا نَوَى»، من أجل أن يُنبهوا القارئ والمتعلم والعالم على ضرورة إخلاص النية في طلب العلم، ألا يبتغي به حُظوظ الدنيا ولا العصبية لأحد ولا المُباهاة، ولا غير ذلك من مقاصد الدنيا الدنية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن درسوا أو دارسوا، أو بحثوا أو ناظروا، أو أسمعوا أو استمعوا، أو كتبوا أو حفظوا، أو كرروا دروسهم الخاصة.

الشرح:

درسوا أو دارسوا: يعني أنه الواحد يدرس يقرأ الكتاب بنفسه أو يقرأه على شيخِه، ثم بعد ذلك موضوع الدرس يكون له مع نُخبة من زملائهِ في الطلب جلسة يتدارسون فيها ما درسوا؛ حتى يتفهمون ويتذكرون ويرسخ في أذهانهم، ويتصحح ما قد يكونون قد التبس عليهم أو أخطأوا في فهمه، فهذه المُدارسة.

وكان من أئمة السلف وخصوصًا من المُحدثين الذين يحفظون الحديث بعد كتاب الله تعالى ويحفظون المُتون، كانوا يُخصصون وقتًا للحِفظ والغالب أنه يكون قبل صلاة الفجر من آخر الليل، ووقتًا للدراسة والحضور عند المشايخ ويكون بعد الفجر إلى أن ينتصف الضحى أو ما بعده، ويجعلون وقت المُدارسة ظُهر حين يكون في كلل وملل فيما بينهم ومن لم يُدارس يجعل ذلك للكتابة.

فإذا لم يتيسر لهم كتابة الفوائِد التي تلقوها في الدرس بعد الدرس؛ جعلوا هذا بعد الظُهر لأنه وقت كلل وكسل (قيلولة) فيجعلون هذا للمُدراسة، وقد يجعلونه بعد العِشاء قُبيل النوم، فهذه طريقة طلبة العلم الذين هم على منهاج السلف الصالح، ما يُضيعون من الوقت شيئًا كل شيء له ما يُناسِبه.

أو راجعوا عليها أو على غيرها الكُتب الأُخرى، أو جلسُوا مَجلس علمٍ.

الشرح:

قد يُراجعون مثلًا لتخريج حديث، معرفة خُلاصة ما قاله مختصون في حُكم الحديث من جهة صِحة السند أو حُسنها أو ضعفها أو نكارتها أو وضعها أو غير ذلك.

الأمر الثاني: من جهة فقه الحديث، المسائِل التي اشتمل عليها الحديث وخُصوصًا المسائِل ذات الشأن، التي فيها خلاف بين أهل العلم؛ فيعرفون الأقوال، ومآخذ الأقوال او مُستند الأقوال والراجح بالدليل الذي رجَّحه المُحققون من أهل العِلم أهل الخِبرة والاختصاص بأقوالِ أهل العِلم.

ومعرفة قواعد العُلماء أهل الترجيح في الفقه؛ لأن كل إمام من الأئمة الأربعة وأقرانهم له قواعِد في هذا، فما اجتهدوا إلا بناءً على قواعِد هم استنبطوها من أدلة العلم وصاروا يُرجحون بمقتضاها، الإمام مالك له قواعد، والإمام أحمد له قواعد، والشافعي له قواعد، وأبي حنيفة له قواعد وهكذا أقرانهم، ما هو أن واحد يقرأ كتاب أو كتابين يُرجِّح يصير فتوى لا.

ولذلك فتاواهم تنضبط على قواعدها، منضبطة حتى يكاد يُقال إن قول الإمام الفلاني في المسألة هو كذا وكذا، يعني الذي يُقارب قوله، يعني منضبط بمنهج، هكذا فلا يكون الإنسان من أهل الاجتهاد والترجيح إلا إذا بلغ هذه المرحلة، وإلا فقل إنه ينقل كلام أهل العِلم، خُصوصًا من اشتهر فقههم ومذهبهم في بلدهم صارت الفُتيا الغالبة عليها.

أو نقلوا أقدامهم لمجالسِ العِلم، أو اشتروا كتبًا أو ما يُعين على العِلم، كان الإخلاصُ للهِ واحتسابُ أجرهِ وثوابهِ ملازمًا لهم؛ ليصير اشتغالهم كُله قُربةً وطاعةً وسيرًا إلى اللهِ وإلى كرامتهِ.

الشرح:

يعني أنه كُل ما يُعين على تحصيل العلم وفهمه ابتداءً من القلم والمِحبرة والورق وكذا وكذا، إلى التلقي والفهم والتدوين للفوائِد، كل هذا يُحتسب ويُبتغى بهِ وجه الله جَلَّ وعَلَا؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد والغايات، يكون له نية، حتى قُصاصة الورق ما يُمزقها لأي شيء، إذا كانت ذات حجم وكذا، يحتفظ بها حتى يكتب فيها فائِدة في يوم من الأيام، ما يُضيع شيء، له نية، لأنك اشتريت هذه قصد، استعملها ولا تمزقها وترميها، وكذلك بري الأقلام يوم كانوا يحتاجون بري الأقلام يُخصصون لها أوقات، وصِناعة الحبر يُخصصون لها أوقات، يحتسبون، الأوقات التي ما فيها شُغل بالعلم، حتى ما تضيع مع العوام ومع أهل الغفلة.

حتى ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: **"إني ابتليت بناسٍ فضوليين، يُحبون المجالس والكلام، ويأتون يُضيعوا علي وقتي فلما رأيت أني إن تركتهم اتهمت بالكِبر وإن جلست معهم ضاع علي وقتي وأثمت؛ صرت أجمع الأقلام والحبر وأشتغل فيها إذا حضروا (تقطيع الأوراق) حتى أستفيد من وقتي"**.

ومن ذلك أن الإنسان في الدرس يستوعب ويسمع ويُركِز، يجعل عينيهِ سماعات وأذنيهِ سماعات، ووجهه سماعات، كل شيء ليستوعب الفكرة ويفهمها، وإن كانت مُختصرة قيَّدها ثواني، وإن كانت طويلة قرر أنه يكتبها فيما بعد؛ حتى لا يضيع عليه الوقت، ولذلك يقولون

لك: أحسِن الاستماع، واحفظ أحسن ما سمعت، واكتب أحسن ما حفظت، وتكلم بأحسن ما كتبت، وراعي في كلامك المناسبة وحاجة الناس ومُستوى الناس وعُقول الناس.

وليَتحققوا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيهِ علمًا سهَّل اللهُ لهُ طريقًا إلى الجَنةِ»، فكل طريق حسي أو معنوي يسلكه أهل العلم يعين على العلم أو يحصله فإنه داخل في هذا.

الشرح:

العِلم وطلب العِلم أفضل من الجهاد في سبيل الله، لمن تأهل لذلك وصدق في الرغبة وعرف أنه يُدرك العِلم، يعني أحسن الظن بالله بالمُقدمات وشهادات مشايخه ومن عرفه، فلو تفرغ وأخذ زكاة المُسلمين فهو مأجور، لأنه يحفظ الله به سند العِلم، بقاء سلسلة العلم على آخر الأمة، ولأنه يكون مرجعًا للناس عند الحاجة إليه، فهو أفضل من الجهاد في سبيل الله، أفضل نوافل العلم طلب العلم، نوافل العبادة طلب العلم، وقد يجب على بعض الناس.

ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية وما يُعين عليها من علوم العربية، وتفصيل هذه الجملة معروف.

الشرح:

يعني التي تُسمى علوم التي تسمى علوم الآلة، معرفة النحو والإعراب والصرف، ومعرفة أصُول الفقه، ومقاصِد الفقه، ومقاصد الشريعة، والقواعد الفقهية، ما لابد من معرفتهِ حتى ما يتعلق بشِعر الحِكمة والمثال وغير ذلك؛ لأن هذه تُحلِّي الكلام والبحث والاستشهاد وغير ذلك، ويكون فيها طُرفة وتُخفف على النُفوس، وتُزيل الملل، ففي وسائل في علوم الآلة ضرورية، وفي مُكملات مُزينات، تكون من قبيل الحاجيات والتحسينات.

وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المطلوب الذي قصده، وأن ينتقي من مصنفاتِ الفن الذي يَشتغلُ فيهِ أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدة.

الشرح:

أكثرها، المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه في الإعراب، والحكم الإعرابي هو النصب.

ويجعل جُلَّ همهِ واشتغالهِ بذلك الكتاب حفظًا عند الإمكان، أو دراسة تكريرٍ، بحيث تكون المعاني معقولةً له محفوظةً.

الشرح:

يعني الحفظ هو أنه يتردد فيه ويأخذه أجزاء أسطرًا أو جزء من الوجه، من الورقة أو الوجه كاملًا أو أكثر من ذلك حتى يحفظ المتن، والمتون المختصرة لكل فن في الفقه، في الحديث، في الفرائض، في أصول الفقه في غير ذلك، كل فن من أهل العلوم له مُختصر، له متن، اختصره أهل العلن تسهيلًا على الطلبة.

وأما الدراسة: هو أنه يقرأ الكتاب من أولهِ إلى آخره ويُقيِّد ما يلفت نظره من المسائِل ذات الشأن، الفوائِد، الطرائِف، وكذا كذا، ويُشير إلى أرقام الصفحات أو الأجزاء أو كذا، يكون يعني قرأ الكِتاب بعناية من أولهِ إلى آخره، ولا يستعجل في قراءته، حتى أنه يتفهَّم في شروح المتون، خصوصًا الشروح المُختصرة.

ثم لا يزال يُكرر ما مرَّ عليهِ ويعيدهُ وعلى المُعلم أن ينظر إلى ذِهن المُتعلم وقوةَ استعدادهِ أو ضعفهِ.

الشرح:

يعني إن المُعلم الذي يجلس لطلبة العلم يستوصِي بطلبة العلم خيرًا؛ لأن هذا امن وصِية الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، هذا تنبيه على العناية بمن نذر نفسه لطلب العلم.

وجاءت أحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا، ولذلك كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُرحبون بالتابعين، صِغار الصحابة عندما يأتونهم لطلب العِلم ويقولون: "مرحبًا بوصيةِ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ويتلطفون لهم ويستبشرون بهم، ويتواضعون لهم، ويحرصون على تفهيمهم.

فالمُعلِّم يعرف مدارك الطُلاب فيُعطي كُلًا على قدر مُستواه الذي يُحسِنه ويستطيعه ولا يشق عليه، ويأخذون بالتدريج من الأدنى إلى الأعلى، وقيل لهم: "لكن كونوا ربانيين" يعني أنكم تُعلمون صِغار العِلم قبل كبارهِ، تتدرجون في طلبة العِلم، مثل الصُعود في الدرَج أو السُلَّم، حتى يعتاد الطالب ويسهل عليه الترقي.

وعلى المعلِّم أن ينظر إلى ذهن المتعلم وقوة استعداده أو ضعفه، فلا يدعه يشتغل بكتابٍ لا يُناسب حاله؛ فإنَّ هذا من عدم النصح، فإن القليل الذي يفهمه ويعقلهُ خيرٌ من الكثيرِ الذي هو عرضةٌ لعدم الفهم والنسيان، وكذلك يُلقي إليه من التوضيحِ والتقرير لدرسهِ بقدر ما يتبع فهمه لإدراكه.

الشرح:

ولذلك كان من منهج أئمة الدعوة النجدية رحمة الله علينا وعليهم في التعليم: أن طلب العِلم أولًا يُجيد القرآن تِلاوة، يُجيد القرآن الكريم تلاوة، ويجعلون مُعلِّمين خاصِين لتعليم الناس ضبط تلاوة القرآن، ما هو بالتلحين، لا، يفظ بالقرآن لفظًا صحيحًا هذا أول شيء، ثم يجعلونهم يبتدؤون بالمُختصرات، **"الثلاثة الأصول"** و **"القواعد الأربعة"** وهكذا، و**"الأربعين النووية"** وما اشبه ذلك، ثم ينقلونهم بالتدريج مراحل، ويجعلون لكُل مُستوى من الناس درس.

يجعلون وقتًا خاصًا، لصِغار الطلبة والعوام والغالب يكون بعد الصلوات، يكون الدرس مُختصرًا بعد الصلوات، ويجعلون المتوسطين بعد ذلك، وإذا طلعت الشمس وارتفت صارت الساعة سبعة أو سبعة ونصف وكذا، جعلوه للذين يقرؤون المُطولات، إلى أن ينتصف الضُحى أو يدنو الزوال، يأخذونهم بالتدريج وهكذا في آخر النهار مساءً، ومن ذلك أنهم يجعلون للعوام درس في المسجد بين الآذان والإقامة العشاء وأحيانًا يجعلون درسًا خاصًا عند أحد من الوجهاء في بيتهِ بعد العِشاء.

ولا يخلطُ المسائلَ بعضَها ببعض، ولا ينتقلُ من نوعٍ من أنواعِ المسائلِ إلى نوعٍ آخر حتى يتصور ويُحقِق السابق، فإنه دَرَكٌ للسابق وليتوفر فهمه على اللاحق، فإذا أدخل المسائل بعضها ببعضٍ قبل فهم المتعلم فإنه سببٌ لإضاعةِ الأول وعدم فهم اللاحق، ثم تتزاحم عليه المسائل التي لم يُحققها فَيَمَلُّها ويضيق عَطنهُ عن العَودِ إليها، فلا ينبغي أن يهمل هذا الأمر وعلى المعلِّم النُصح للمتعلمِ بكل ما يقدر عليه من التعليمِ والصبر على عدم إدراكه، وعلى عدم أدبِهِ وجفائه، مع شدة حرصه على ما يقوِّمه ويُحسِّن أدبه.

الشرح:

يعني أنه يتألَّف طالب العلم المُبتدئ ويتحمل جفاءه أو سُرعة مللهِ أو سُوء عبارتهِ أو ما يُستغرب من استفسارهِ أو أحيانًا إحراجهِ بسؤال في غير موضِعه، يدري أنه جديد مُبتدئ فيتعلم حتى أنه يصبر عليه حتى يتعلم ويسلك الجادة، لا يُنفِّره، لأنه قد يكون هذا المُبتدئ أقدر على حِفظ العلم وفهمه من كثيرٍ من الذين قطعوا مراحِل في الطلب، ما تدري لا تستقل أحدًا أو تحتقر أحدًا حتى تُجرِّبه وتعرف حاله ووضعه لابد من هذا، ثم إذا عرفتهُ وجِّهه لما يستطيع وأميل إليه العِلم.

ذكروا أن الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى على ذكائه وحِذقه ولطافتهِ طلب من الخليل بن أحمد الفراهيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يتعلَّم عليه فن العَروض موازين الشِعر، فوافق فجاء الأصمعي وجلس عنده عدة مجالس، هو حافظ الأصمعي حافظ؛ ولكنه لم يتيسر له فهم العَروض، هذا الفن الذي اخترعه الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو من أئمة اللغة، أئمة الأدب.

فقال له يوم من الأيام: يا أصمعي قال نعم، قال: قطِّع هذا البيت، قطَّع الأصمعي البيت بيت شِعر، فقال: **"إذا لم تستطع شيئًا فدعهُ وجاوزهِ إلى ما تستطيعُ"**، فعرف الإشارة

الأصمعي واشتغل بحفظ شواهد اللغة ونُكت أهل اللغة وأهل الشِعر وغير ذلك ما أهو أسهل عليه وأخص منه من غيره.

لأن المتعلِّم له حقٌّ على المعلِّم حيث أقبل على العِلم الذي ينفعه وينفع الناس، وحيث توجَّه للمُعلِّم دون غيره، وحيث كان ما يحمِلهُ من العِلم هو عين بضاعة المعلِّم يحفظها ويُنميها، ويطلبُ بها المكاسِب الرابحة، فهو الولد الحقيقي للمعلم الوارث له، قال تعالى:

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٥-٦].

والمُراد وراثة العِلم والحِكمة، فالمُعلم مُثابٌ مأجورٌ على نفسِهِ وتعليمه، سواءٌ فهم أو لم يفهم، فإذا فهم ما عِلمهُ وانتفع به بنفسه ونفع غيره كان أجرًا جاريًا للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلًا متصلًا.

الشرح:

يعني إن المعلم يحتسب الجلوس للطلبة، والصبر على ما لا يُعجبهُ من تصرفاتٍ في ابتداء الأمر وغير ذلك، يعني لأنه يرجو أن يجد منهم أذنًا صاغية وقلبًا واعيًا، وعقلًا حاويًا للعِلم، لا يستعجل حتى أنه يجد بُغيته، يصير عنده نُخبة من خواصِ الطلبة، كلٌ في فن من فنون العلم، فيصير العلم ينتشر بواسِطة هذا الطالب أو ذاك، ولا يحتقر أحدًا، فلذلك الراهب الذي قصته معروفة في رياض الصالحين في الصحيح.

الراهب على قِلة عِلمهِ يبذل ما عرف، ولا يقول على الله ودينه بِدعة، فقيَّض الله له الغلام ففهم منه وأخذ عنه، وصار أقوى منه، فكان سببًا في هدايةِ أمة من الناس، الملك ومن دونه في زمانه، لما أنه قال: إذا أردت أن تقتلني فخُذ سهمًا من كنانتي وضعه في كبد القوس، وانصُبني على خشبة، ثم قُل بسم اللهِ رب الغُلام، وارمني بالقوس تُصيبني، فنفَّذ الملك فلما أصاب السهم الغُلام قال الناسُ كُلهم آمنا برب الغلام، قال الملك: آمنا برب الغلام، كلهم دخلوا الإسلام، والذي عذَّبهم ملكٌ آخر ليس هو نفسه، الذي عذَّب الناس هؤلاء أصحاب الأخدود هذا ملكٌ آخر يهودي ظالم.

وهذه تجارة بمثلها يتنافس المُوفقون.

الشرح:

نسأل الله التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة الحق بدليله والعمل بِهِ ابتغاء وجهه، وتعليمه للناس على أحسن وجوههِ.

وهذه تجارة بمثلها يتنافس المُوفقون، فعلى المُعلم أن يسعى سعيًا شديدًا في إيجاد هذه التجارة وتنميتها، فهي من عمله وآثار عمله قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢] ، **فما قدموا: ما باشروا عمله، وآثارهم: ما ترتب على أعمالهم من المصالح والمنافع أو ضدها.**

الشرح:

مثل ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»**، وذكر: **«علمًا يُنتفع، وولدًا صالحًا يدعوا له، والصدقة الجارية»**، قال: **«إنَّ أطيبَ ما أكلتُم مِن كَسبِكُم، وإنَّ أولادكُم من كسبكُم»**، فأولاد العالِم هم طلبته، ولذلك الغالب أن يكون أولاده ما هم من نسله، كثير هذا، فهم طلبته الذين حملوا العلم عنه، وأخذوا بنهجه وهديهِ، بارك الله فيهم ولهم، ونقلوا علمه.

ومن الذي نقل علم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا ابن القيِّم ونُظراؤه، شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما تزوج ولا وُلد له، فهذا دليل أن أولاد العالِم في الغالب هم طلبته، الذين يحملون علمه، ويبرونه، ويعرفون فضله وفضائِله ويذكرونه ويدعون له حيًا ويترحمون عليهِ ميتًا، وأدركنا مشايخنا رحمة الله عليهم الأموات والأحياء حفظهم الله وثبتهم ومتعنا منهم على عملٍ صالح، إذا ذكروا مشايخهم بكوا وتأثروا لما رأوا من رقتهم ولطفهم في تعليمهم

وصبرهم عليه، وفرحهم بما يُحصِّلون من العلم وحُزنهم على ما يفوتهم أو يتأخر منهم أحد عن العِلم وعن طلب العلم.

وليُرغِّب المتعلمَ بكل طريق ولا يُملَّه باشتغالِهِ بما يَعسر على فهمِهِ مِن أنواعِ العُلوم ومُفرداتها، وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ويتأدب معه حسب ما يقدر عليه لما له من الحق العام والخاص.

الشرح:

ونقلوا عن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقبله الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم من العُلماء أنهم كانوا أطفالًا ويذهبون لحِلق العِلم في المساجد، فيأتي أقرانهم من الشباب الغافلين ويُحاولون منعهم عن طلبِ العلم، فيتحملونهم، وكانوا يتخلصون منهم ويذهبون يبكون في حِلق العِلم، ومضت الأيام وصار هؤلاء أئمة وأولئك من العوام ما حصَّلوا شيء، وهؤلاء أئمة يُترحم عليهم إلى اليوم وإلى أن يأتي اللهُ بأمرهِ.

وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ويتأدب معه حسب ما يقدر عليه لما له من الحق العام والخاص، أما العام: فإن معلم الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه.

الشرح:

الربيع بن سُليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر أدبه مع الشافعي لطلب العِلم على الشافعي رحمة الله عليه، ثمانية عشرة سنة يقول: إني كُنت أقلب الورقة للكتاب برفق خشية أن أُزعجه، يعني صوت قلب الوقة يُزعج؟! لكن هذا من الأدب العظيم الجَّم، ويقول بعضهم إني جلست أمام شيخي كذا، سنين والله ما ملأت عينيَّ منه من الأدب والإجلال.

فإن معلم الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه فحقه على الناس حق المحسنين.

الشرح:

اللّهم اجعلنا من متعلمي الخير ومعلميه ابتغاء وجهك على أحسن حال ووجه.

ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسانٍ من يُرشد الناس لأمر دِينهم، ويُعلمهم ما جهلوا ويُنبههم لما عنه غفلوا، ويحصل بِسبب ذلك من الخير، وانقماع الشر ونشر الدين والمعارف النافعة، ما هُو أَنفعُ شيءٍ للموجودين ومن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم، فلولا العلم كان الناس كالبهائمِ في ظلمةٍ يتخبطون، وفي غيِّهم يعمهُون، فهو النور الذي يُهتدى به في الظُلمات، والحياةُ للقلوبِ والأرواحِ والدينِ والدُنيا.

والبلدُ الذي ليس فيهِ من يُبين للناسِ أمر دِينهم ويُرشدهم لما ينتابهم مما هم مُضطرون إليه، لا خير في الإقامة فيه؛ فمن كان هذا إحسانهُ وأثرهُ كيف لا يجب على كل مسلم محبته وتوقيره والقيام بحقوقه؟

وأما حقه الخاص على المتعلم فَلِمَا بذله من تعليمه، والحرص على ما يُرشده ويوصله إلى أعلى الدرجات، فليس نفع الآباء والأمهات نظيرًا لنفعِ المعلمين والمربين للناس، بصغارِ العلم قبل كبارِهِ، الباذلين نفائسَ أوقاتهم وصفوة أفكارهم في تفهيم المُسترشدين بكُل طريقٍ ووسيلة يقدرون عليها.

وإذا كان من أحسن إلى الإنسان بهديَّةٍ ماليةٍ ينتفع بها، ثم تذهب وتزول، له حقٌّ كبيرٌ على المحسن إليه، فما الظن بهدايا العلمِ النافع الكثيرة المتنوعة؛ الباقي نفعها ما دام العبد حيًا وبعد مماتِهِ المتسلسل بحسبِ حال تلك الهدايا، فحينئذٍ يعرف حقهُ ويُوقرهُ ويُحسن الأدب معه، ولا يخرج عن إشارته وإرشاده، وليجلس بين يديه متأدبًا ويظهر غاية حاجتِهِ إلى عِلمه، ويدعو له حاضرًا وغائبًا.

الشرح:

يعني مُراعاة الأدب مع المُعلِّم لأسباب الانتفاعِ بعِلمهِ، من الأمور المُعينة للمتعلم على الانتفاع بعِلمه، ومن أسباب التيسير للتعليم أن المعلم، ينشرح صدرهُ وتطمئِن نفسُه، وتجتمع ذاكرتهُ، ومشاعره، يكن هذا من أسباب استحضار العِلم وحُسن أدائِه، إذا صر في تشويش وحركات وأشياء ينشغل البال وتغيب مسائِل عن الذاكرة وأدلة على الذاكرة.

ولا يخرج عن إشارته وإرشاده، وليجلس بين يديه متأدبًا ويظهر غاية حاجتهِ إلى عِلمه، ويدعو له حاضرًا وغائبًا، وإذا أتحفه بفائدةٍ وتوضيحٍ لعِلم فلا يُظهر له أنه قد عرفه قبل ذلك وإن كان عارفًا له.

الشرح:

بل لو كان أنك تحفظ مسائِل عن الفقه، وحضرت الدرس عند المُعلِّم وجاءت هذه المسألة فاستمع لها، واستمع إلى تقريرها، والكلام فيها وبيان الراجح إذا كانت مسائل خلاف وكذا كذا، ولو أنك عندك خطأ لأنك إذا قلت أنا أعرف فالمُعلم أو الشيخ ما طرح عليك المسألة ولا على غيرك فإنك تحرم نفسك مزيد فائِدة، وتكون أسأت الأدب؛ لكن استمع فإذا حصل المقصود كفى، وإذا نقص شيء عن المقصود يمكن التنبيه عليه بإشارةٍ لطيفة بسؤال أو بكذا أو كذا وقد يكون المُعلم ترك المسألة التي أنت تذكرها لأنها غير مناسب إيرادها في المقام أو المستوى الذي أمامه.

بل يُصغي إليه إصغاء المُتطلبِ بشدةٍ إلى الفائدة، هذا فيما يعرفه! فكيف بما لا يعرفه؟! ولهذا كان هذا الأدب مُستحسنًا مع كل أحدٍ في العُلومِ والمُخاطبات فِي الأُمورِ الدِينية

والدُنيوية، وإذا أخطأ المُعلم في شيء فليُنبهه بِرفقٍ ولُطفٍ بحسبِ المقام، ولا يقول له أخطأت أو ليس الأمر كما تقول.

الشرح:

أربعة من الناس، أربعة أصناف من الناس لمن لقيهم معهم أدبٌ خاص جدًّا خاص، كلٌ له أدب يخصهُ: فالوالد، والثاني: السُلطان ولي الأمر العام، والثالث: العالِم، والرابع: ذي الشيبة المُسلِم الذي يظهر عليه الصلاح والتقوى، فكل هؤلاء كُل واحد في أدب معه، أدبٌ شرعي، جاءت به النُصوص، كل واحد أدلٌ خاصٌ له، في التعامل معه، لا يُتعامل مع غيره مثلِهِ، وأعظم وأكبر وأخطر من يُتعامل السُلطان، الإنسان يكون يعرف قواعد التعامل مع السُلطان منهج أهل السُنة والجماعة في التعامل مع ولاة الأمور، لأنه في أعلى منزلة في المجتمع فمقامه ما يكون فيه غيره وهو موجود خلاص.

العالِم، والوالد، وذي الشيبة المُسلم: تحت السُلطان، والعالم: في مجلسهِ وفي التلقي عنه، وفي قبول فتاواه وعلمه وكُتبه وغير ذلك تناول خاص، الوالد له تعامل خاص في البيت، وذي الشيبة المُسلم إذا قابلته في المسجد في الطريق في مكان في كذا أو كذا؛ لابد من مراعاة هذه الأصناف من الناسِ كُل واحد له خُصوصية، له تعامل يليق بمقامهِ وحقه.

بل يأتي بِعبارةٍ لطيفةٍ يُدرك بِها المُعلم خَطأه مِن دُون أَن يَتشوش قَلبه، فإنَّ هذا من الحُقوق اللازِمة، وهو أدعَى للوُصولِ إلى الصواب، فإن الرد الذي يصحبهُ سوء الأدب وانزعاجُ القلبِ يمنع من تصور الصوابِ ومن قصدهِ.

وكما أن هذا لازمٌ على المُتعلم، فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق، ولا يمنعه قولٌ قاله ثم رأى الحق في خلافهِ من مراجعةِ الحق والرجوع إليه، فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق، فالواجب اتباع الصواب سواء جاء على يد الصغير أو الكبير.

الشرح:

لأن الحق أحق أن يُتبع، ومن رجع ما يُخالف الحق إلى الحق فقد تواضع، وأخذ بسبب النجاةِ يوم القيامة، وما يسع أي أحد يؤمن باللهِ واليوم الآخر أنه يُصِّر على خطأ وهو يعلم، حتى لو قاله، لو قاله مدة وعاش وانتهى عليه، يقول: كنت أرى كذا وتبين لي الراجح بالدليل كذا وكذا ورجعت إلى هذا، نقف عند هذا حتى يؤذَّن.

ومن نعمةِ اللهِ على المُعلم أن يجد مِن تلاميذهِ من يُنبهه على خطئِه ويُرشده إلى الصواب، ويزول استمرارهُ على جَهلهِ، فهذا يحتاج إلى شُكر اللهِ ثُم إلى شُكر مَن أَجرى الله الهُدي على يديه متعلمًا أو غيره.

الشرح:

لأنه إذا حصل التنبيه في الدرس أمكن التصحيح، ولا ينصرف احدٌ من الدرس على فهمٍ خطأ، أو على قولٍ ترجيح قولٍ مرجوح، فيُسأل عنه، المسألة فيها خلاف أن الراجح مثلًا لو أخطأ المتكلم المُعلِّم، أو يُسأل عن صِحة الحديث ونحو هذا يصير من باب التنبيه أو أن ما يتضمنه هذا الحديث من الفقه حتى يتبين يعني، يكون في شيء من التذكير بأسلوبٍ لطيف.

ومن أعظم ما يَجب على المُعلمين أن يَقولوا لِما لا يعلمونه: الله ورسوله أعلم، وليس هذا بناقصٍ لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم، ويُستدلُ به على دِينهم وتحرّيهم للصواب.

الشرح:

نعم هو لأنه سيقول الله أعلم: نسب العلم إلى الله، وهذه فتوى صحيحة، نسبة العلم إلى الله جَلَّ وعَلَا، واعتذار أنه لا يعلم لهذا شيئًا، يخرج من المسئولية وهذا أسهل من كونه يقول بلا عِلم: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

الْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، نُهلكه، وحاشا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول على الله بغير علم، ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٧].

فإذا نسب العِلم، وقيل إن سبب سفر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للقاء الخَضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خطب في بني إسرائيل خطبة عظيمة بليغة مُفيدة، فسألهُ سائِل بعدها، يا نبي الله هل تعلم أحدًا أعلم منك (يعني على الأرض) فقال لا، وهذا جوابٌ صحيح، لأنه ما يعلم، هذا مبلغ عِلمه هو؛ لكن الله تعالى عاتبهُ إذ لم ينسِب العلم إليه، ما قال الله أعلم، فقال الله تعالى: بلى عبدُنا خضر أعلم منك، يعني عنده علم ليس عندك، عنده علم خاص ليس عندك.

فما كان من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أن الله عَزَّ وَجَلَّ بيَّن له إلا قال يا رب كيف الوصول إليه؟ لأذهب أتعلم؛ فأرشده الله إلى ذلك، جاء له علامة إذا وجدها عرف أنه قد وصل إليه لأن الطريق مجهول لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان ما كان مما ذكر الله تعالى في سُورة الكهف، فلذلك اختلف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كلاهما نبي على الراجح لأن الخضر نبي.

لذلك قال في جوابه، هو من عند الله، هو من عنده، ﴿ ومَا فَعلتهُ عَنْ أَمْرِى ﴾، لأنه من أمر الله، كان موسى عنده علم ما يتعلق بالشريعة ولذلك استنكر خرق السفينة، وقتل الغُلام وكذا، والخضر عنده عِلم يتعلق بالمقادير (القدر)، ما وراء ذلك والحكمة منه، يُسمى العِلم اللدُني، كشف الله له ذلك، فكُلٌ على علمه، لكن الاخضر كان عرف هذا قال: لموسى: لا تسألني عن شيء، أي شيء أنا أفعله لا تسأل حتى احدث لك منهُ ذِكرًا، ولم يُطق موسى مواصلة السير مع الخَضر، لأنها أمورٌ فوق طاقته، وهذا يدل على تفاوت الناس في العِلم وأن الله يُعطي أحدًا من الفهم ما لا يُعطيه للآخر، وغير ذلك.

وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة. منها: أن هذا هو الواجب عليه.

الشرح:

الواجب عليه دينه، أن لا يقول على الله بلا عِلم، وقال أهل العِلم في هذا: أنك قبل ما تُجيب على السؤال فكِّر هل لو جعلت بينك وبين النار يسترك من النار أم لا؟ هذا الميزان يعني، هل يسترك قولك من النار أم لا؟ إذا كان ما تطمئن أنه يسترك لا تقل، في عافية أنت، ولذلك لما سُئل مالك رحمة الله عليه، جاءه رجل غريب من شُقةٍ بعيدة، يسمع بهِ أنه إمام جار الهجرة في زمانه، وسأله عن أربعين مسألة، أجاب عن ثلاث مسائِل أو أربعة، واعتذر عن البقية، قال: سبحان أنت مالك؟! وتقول لا أدري، قال: أخبر من وراءك أن مالكًا لا يدري.

قال هو لأحد طلبته ينصحه قال: إذا جاءك السائِل يسألك يستفتيك، لا تقل لعلي أجد له مخرجًا حتى تنظر مخرجك من الله، يعني ترحمه، ترحم وتعذب نفسك وتقول على الله بما لا تعلمه في دينه، وتفتري على الله الكذب، ارحم نفسك أولًا، لا تقل لعلي أجد له مخرجًا حتى تعلم مخرجك من الله أنك مسئول عن هذه، مِثل ما إنك تُسأل عن كتمان العلم، وتؤجر على بيان ما تعلم وتيسير حاجات الناس كذلك تُسأل على القول على الله تعالى في دينه بغير علم، اعرف نفسك.

ومنها: أنه إذا توقَّف وقال: لا أعلم، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك.

الشرح:

يعني حري أن الله عَزَّ وَجَلَّ يُلهمه، ويُسدده، فيفتح الله عليه بالجواب السديد، دليل ذكره الله، قاعدة ذكره الله، كلام أهل العلم مر عليه سابقًا، لماذا؟ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، هذه في العلم، إذا اتقيت الله علَّمك الله، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

(٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، والعلم بالحق أفضل الرزق، انتبه لهذا، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وأهل العلم هم أهل خشية الله تعالى وتقواه، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، كلما قلَّت الخشية دل ذلك على قلة العلم وقلة الفقه، وقلة التوفيق نسأل الله العافية والسلامة.

أنه إذا توقَّف وقال: لا أعلم، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك إما من مراجعته أو مراجعة غيره، فإن المتعلم إذا رأى مُعلمه توقف جدَّ واجتهد في تحصيل عِلمها وإتحاف المعلم بها، فما أحسن هذا الأثر.

الشرح:

كُنت في فترة من الفترات في أول الطلب يسألني بعض الجماعة مسألة تتعلق بالصلاة والعبادات والطهارة فأقول له: إن شاء الله غدًا أخبرك، وأقرأ فيها، وهذا من الثانوي أولى ثانوي او ثانية ثانوي، فإذا انتهيت إلى قول أحضر الدرس للشيخ صالح الفوزان الله يحفظه، وفي الفجر أسأله عن الجواب عن المسألة هذه ويُجاوبني بالجواب.

المغرب أحضر درس الشيخ صالح الأطرم، وأسأله نفس السؤال وآخذ منه الجواب، فعرفت من خلال عِدة أسئلة أن فهمي صحيح، جوابي صحيح، صار عندس شيء من الفرحة أو الفخر، ذات مرة سألت الشيخ صالح الفوزان وأجابني، وسألت الشيخ الأطرم وأجابني هذا الفجر وهذا بعد المغرب.

كأنه ما أعجبني جواب الشيخ صالح الأطرم، فقلت له، وكان السؤال عن إمامة المتنفل بالمُفترض وأنا قرأت في الكتاب حاشية أنها تصح إمام المتنفل بالمفترض، قال أبو العباس: ذلك جائز، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لفعل مُعاذٍ مع صحابةِ أحمدِ، يُصلي بهم نفلًا وهم ذوو فريضةٍ.

قلت للشيخ: أحسن الله إليك، ما كان مُعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُصلي بجماعتهِ بعد ما يُصلي مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: أنت مُفتي لا تسألني، لا تحضر عندي، فاجئني بجواب كِدت أن أُصعق من شِدة غلوظةٍ، وصارت أدب لي إلى الآن.

ومنها: أنه إذا توقف عما لا يعرف كان دليلًا على ثقتهِ وإتقانهِ فيما يجزم به من المسائل، كما أن من عُرف مِنه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم كان ذلك داعيًا للريب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة.

الشرح:

يعني هذه فوائد تُقيِّد، فوائِد كون الإنسان يقول لا أعلم إذا سُئل عن شيء وهو لا يستحضِر دليل ولا تقرير لأهل العلم ولا شيء؛ فمن الفوائد أن الإنسان يعتذر ويقول لا أعلم.

ومِنها: أن المُعلم إِذا رأى منه المُتعلمون توقُفه عمَّا لا يعلم كان ذلك تعليمًا لهم وإرشادًا إلى هذه الطريقة الحسنة.

الشرح:

هذا ورع، وأدب وخوف من الله جَلَّ وعَلَا.

كان ذلك تعليمًا لهم وإرشادًا إلى هذه الطريقة الحسنة والاقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال، ومما يعين على هذا المطلوب أن يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل والاحتجاج عليها.

الشرح:

يعني يُورد عليهم المسألة ويسألهم عن الجواب، حتى أنه يُحرك أذهانهم بعض الشيء ثم يُرجِّح ما يترجح من الجواب، وهذا أو ذاك يكون، جئت بعشرين بالمائة مثلًا من الجواب، وخمسين هذا، وهذا ستين، والجواب هذا هو الصحيح، ويكون هذا من باب التدريب والتهيئة.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطرح السؤال على أصحابِهِ في المناسبات، ثم إن أجابوا أكرمهم، وإن لم يُجيبوا بيَّن لهم إن لم يُجيبوا، وإلا أجاب هو، ومن ذلك ما حدث أنه سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رؤيا، فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول اللهِ دعني أعبرها، فقال: **«اعبرها»**، فعبرها أبو بكر، قال يا رسول الله بأبي وأمي نبأني أصبت أم أخطأت؟ قال: **«أصبت في شيء وأخطأ في شيء»**.

وأن يكون القصد واحدًا وهو اتباعُ ما رجَّحتهُ الحُجة والأدلة، فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم تنورت الأفكار، وعرفت المآخذ والبراهين واتُبعت الحقائق، وكان القصدُ الأصلي وتوابعه معرفة الحق واتباعه والحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين؛ وهو أن يجعل القصد من المناظرة نصر القول الذي قاله.

الشرح:

يعني أن يكون التعصب للحق الذي هو دين اللهِ جَلَّ وعَلَا، أما القائِل فهو أن أصاب فيُغبط أن الله وفقه للصواب ويؤخذ عنه ويُدعى له، لأنه اجتهد وتحرى، ووفقه اللهِ، والآخر

يُعتذر عنه لأنه معروف من تحريه للحق والصواب وأن هذا مبلغ عِلمه، وقد يكون الدليل عزف عن ذهنه أو غاب عن ذهنه وقد يكون كذا كذا؛ لذلك يكون التعصب للحق، ما هو للأشخاص.

ولذلك القاعدة عند السلف رحمة الله عليهم: كلٌ يؤخذ بقولهِ ويُترك إلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وسُنته بعد وفاتهِ، فهو عيب أن الإنسان يخطئ؛ لكن الكلام في من إذا تبيَّن له الحق، هنا هذا هو الذي يُثنى عليه ويُشكر، وأما من إذا تبيَّن له الحق أصَّر قوله لأنه قول شيخه أو جده أو كذا، لا هذا خطأ، تعصب لغير الحق، والحق أحق أن يُتبع، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس: ٣٢]، لا تكن من أهل الضلال.

والحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين؛ وهو أن يجعل القصد من المناظرة نصر القول الذي قاله أو قاله من يعظمه، فإن التعصب مُذْهِبٌ للإخلاص مزيل لبهجة العلم، مُعْمٍ للحقائِق، فاتح لأبواب الخصام والحقد.

الشرح:

وربما أنه يُعاقب الإنسان، لأنه اختار الضلال، ماذا بعد الحق إلا الضلال، فيُعاقب أنه رد الحق وهو يعلم وقال بالضلال وهو يعلم، فقد يزيغ قلبه كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، زاغوا عن الحق عمدًا، تركوه، وهكذا اليهود الذين كانوا في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، عرفوا الحق، وكلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق وموافق لما عندهم كتموه، فلذلك ما اهتدوا، ومن شهد بالحق للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفقه الله للهدى.

كما أن الإنصاف هو زينة العلم، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح، وليحذر مِنْ طلب العلم للأغراضِ الفاسدة والمقاصد السيئة؛ من المباهاة والمماراة والرياء والسمعة أو أن يكون له وسيلةً إلى الأغراض الدنيوية والرئاسة.

الشرح:

يعني ينبغي أن يُطلب العلم الشرعي للتفقه في دين الله، والعمل به لله جَلَّ وعَلَا، وهداية الخلق إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وخصوصًا الأقربين منك، الوالدة والوالد لزوجة، الولد، البنت، الأخ، الجار، والصديق، والشريك في العمل وكذا كذا، أن تهدي إلى الحق، تكون من الهُداة إلى الحق، تهدي الخلق إلى الحق هذا المطلوب، ولا ينال هذا لا مُستحي ولا مُتكبر، ولا متعصِّب، ولا مُتبِّع هوى، احذر هذه الأشياء، لا ينال هذا مُستحي ولا مُتكبر ولا مُتعصب، ولا مُتبع للهوى.

فليست هذه حال أهل العِلم الذين هم أهلهُ في الحقيقة، ومن طلبَ العِلم واستعمله في أغراضِهِ السيئة أو رياءٍ أو سمعةٍ فليسَ له في الآخرةِ مِن خلاق، ومن أعظم ما يتعين على أهل العلم الاتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال والتعليم، فهم أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة والتخلي من كل خلق رذيل.

الشرح:

نقف هنا، وإن شاء الله لنا لقاء آخر، إن كان الله أحيانا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هو الشيخ العالِم الرباني عبد الله بن صالح بن محمد القصير رحمه الله تعالى، نشأ على ملازمة أهل العلم، فكان شابًّا مع العلماء، ونشأ مع العلماء، ومات من العلماء. توفاه الله وقد بلغ من العمر ٧٥ سنة.

أخذ العلم عن كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، إذ لازمه قرابة ٣٠ سنة، كما كانت له علاقة وثيقة ممتدة مع الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله لأكثر من ٥٠ سنة، وأخذ كذلك عن: الشيخ صالح البليهي، والشيخ صالح الخريصي، والشيخ صالح السكيتي، والشيخ صالح الأطرم، والشيخ علي الضالع وغيرهم من العلماء.

وكان رحمه الله كثير العلم، كثير العبادة، حريصًا على الدعوة إلى التوحيد والسنة ومنهج السلف الصالح، مع العناية بالتحذير من الجماعات والأحزاب الضالة، وقد مكث في ذلك أكثر من ٥٠ سنة، فكان الإمام الخطيب، والداعية، والمعلّم، والمرشد.

كما استمر رحمه الله في خطابة المسجد لأكثر من ٥٠ سنة، وفي إمامة المسجد لأكثر من ٤٥ سنة، وقد كان من عنايته بالتوحيد أنه شرح كتاب التوحيد لأكثر من ٥٠ مرة.

وله رحمه الله تعالى نتاجٌ علميٌّ غزير؛ فقد خلّف أكثر من ٣٠ كتابًا مؤلَّفًا، وأكثر من ٣٠٠ مقالٍ محرَّرًا، وأكثر من ١٠٠٠ خطبةٍ محرَّرة، وأكثر من ٤٠٠٠ مادةٍ صوتية، وغير ذلك من الآثار العلمية النافعة، رحمه الله رحمةً واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.